هيرالد ماركوس

تاريخ أثيوبيا العام

تاريخ إثيوبيا العام

بقلم :

هيرالد ماركوس

ترجمة :

نشوان زيد علي عنتر

٢٠٢٥م

تمهيد:

بدأت كتابة هذا الكتاب في يناير عام ١٩٨٦م و عكفت طوال الوقت على اكماله حيث استغرق مني ستة اشهر متواصلة ، و على الرغم من معرفتي الكثير من القصة ، الا انني اكتشفت انني بحاجة لتعلم المزيد ، العديد من الكتب و المقالات الجديدة اضطرتني للاقتناع بذلك و لم اكن مضطرا لبذل بعض من المهارات القديمة لقراءتها مجددا ، في غضون ذلك ، اشتعل وتيرة الصراع الاهلي و بالتالي ازدادت التساؤلات حوله آنذاك ، و اثارت العديد من حركات التحرر المسلحة الجدل ضد اثيوبيا كأمة و تعرفه حصريا في مصطلح الدولة الامبراطورية ، سجن وطني للشعوب ، هذا باعتقادي ما كنت قد اشرت اليه بخصوص اثيوبيا التي قمت بدراستها اواخر عام ١٩٥٠م ، و ادركت ان داخل حدودها كانت الشعوب المتعددة الاعراق كالتيغراي و الامهرا من سكان المرتفعات الارتيرية و التيغر و الويلو و الجوندور و الشوا و الغوجام الاسلاف المجسدين للفلسفة المسيحية الارثوذكسية و تقاليدها السياسية يمتهنون الزراعة لزرع الحبوب و تربية المواشي و الاغنام و الماعز.

و جعلهم انتمائهم المبكر للكنيسة الارثوذكسية ينتظمون في مقاطعات كهنوتية و القساوسة و القديسين المتصوفين يتولون الحفاظ على طهارة المسيحية العليا و تنقية اتباعها المؤمنين بسموهم الديني و الاخلاقي ، و قد حافظ الكهنة على بقاء اسطورة الامبراطورية المسيحية التي ترجع اصول اكسوم الى نبي الله سليمان ملك اسرائيل .

و يوجد داخل اثيوبيا اعداد ضخمة من السكان المسلمين الذين يتحدثون باللغات الكوشية كالعفر و الساحو و الصوماليين في المنخفضات الصحراوية بالأجزاء الغربية من ارتيريا و التيغر و الويلو و الهرريين و المتحدثين باللغات السامية كالأدريين من سكان هرر ، يتجلى الاسلام ايضا بشكل جيد في الجماعات التجارية الضخمة لسكان غوندور و اديس ابابا و غيرها من البلدات الرئيسية.

فمنذ الاطاحة بالامبراطور هيلاسلاسي عام ١٩٧٤م حتى انتشر الاسلام في ارجاء اثيوبيا و الدليل على ذلك الارقام الكبيرة للمساجد المبنية حديثا في اقاليم غيبي و هرر و ارصي و تجاوزت المليون مسجد ، الارومو الذين ينحدرون الى العرق الكوشي هم مسلمون و يقطنون اقليم بورينا و مئات الاف منهم تقليديين ، و كذلك نظرائهم في ويليغا و الويلو و جنوب شوا اما الملايين الاخرين من الارومو المعتنقين للمسيحية فالعديد منهم يتكلمون الامهرية كلغتهم الام ، و مثل غالبية السكان و معظمهم بشكل واسع رعاة رحل فان الارومو في الوقت الحاضر يشكلون على الاقل عشرين تجمعا لهم في عشر محافظات ، فما يزيد على ثلاثة قرون الاخيرة تحول معظمهم بانفسهم الى مزارعين على الرغم من انهم استمروا في الحفاظ على الحيوانات المتواجدة في اقاليم بحيرى الواقعة جنوب اثيوبيا و تعيش انماط متنوعة من الشعوب فيها و التي من اهمها غوراج السامية و الكونسو و السيداما الكوشيتين و هم مزارعون يتمهنون الزراعة و حرث الارض ، معظم الغوراج مسلمين الا ان بعضا منهم مسيحيين يعيشون جنبا الى جنب ، اما السيداما فيشملون المسلمين و

المسيحيين و التقليديين مع ان الكونسو مازال معظمهم يمارسون طقوسهم التوحيدية الافريقية التقليدية (الارواحية).في الاطراف من البلاد تعيش الشعوب الناطقة بالاوتومية في الاقليم المتاخم لاومو و هم تشكيل سكاني مهم من شعوب سودانية عاشت على طول الحدود الغربية الاثيوبية و من بينهم الكومان و الكوناما و البيرتا و الانواكا الذين يتحدثون اللغات النيلية جنوب الصحراء و يقطنون بشكل واسع كمجتمعات منفصلة على الرغم من ان هولاء و نظرائهم من المجموعات الاخرى كانوا بشكل اساسي مهشمين في اجزاء رئيسية من تاريخ دولة المرتفعات الاثيوبية ، حاليا درس العلماء تاريخهم الاجتماعي لكي يشملوهم في سجلاتهم العلمية ، و ليس مفاجئا بانهم بحثوا عن ملاذ لمعاناتهم و شكاويهم ضد بناة الدولة الشمالية باعتبارهم حكامها الحصريين و الابطال المدافعين عن سيادتها بلا منازع.

حكومة مانغيستو هيلو مريم (١٩٧٧-١٩٩١م) كانت هي ايضا مهتمة بالوفاق الوطني و للعوامل المؤدية الى الديكتاتورية الشمولية السياسية والمنبثقة من الايدولوجية الماركسي – اللينيني و وضعتها كمنقذ و حام لشعوبها و خصوصياتها الثقافية و سعادتها المرتبطة بالوطن الاشتراكي الذي بنته لهم و المعروف حينها بالمقدسات العريضة نما بتزايد مضطرد المتطفلين و الناطقين باسم نظام مانغيستو هيلو مريام الحاكم و نهجه السلطوي ، كما ان الشعور القومي مثل تحديا معاديا لحروبه الدعائية التي شنها ضدهم و سياسات حكمه ، و اتسمت التصريحات التي ادلى بها الاثيوبيين داخل البلاد و خارجها غالبا بالتشوية او عدم الحيادية الى

حد الغلو و التطرف دون ان تؤثر في قطاع واسع من علماء الاثيوبيات لتعارضها مع مجال تخصصاتهم العلمية ، و تركوا الدراسات الاثيوبية او اضحوا مسيسين في سبيل مقاومة المجموعات المتحاربة.

و كما عاصرت تلك الفوضى الفكرية و داومت على مواصلة بحثي فقد وصلت الى قناعة مفادها ان تاريخ اثيوبيا يحتوي على البراهين العلمية التي تثبت صحة قراري معتبرا الاتساع الجغرافي لإثيوبيا و ما حولها مطابقا لمناقشاتي المتزايدة من زمن لآخر ، فهي امة كبرى تحطمت الى اجزاء اساسية الا انها لم تختف من على وجه البسيطة ابدا كفكرة و حقيقة ثابتة دائمة الانتشار.

ربما انهارت الامبراطورية الاكسومية بعد القرن السابع الميلادي ، الا ان مملكة زجاوة استمرت حتى القرن الحادي عشر الميلادي و بالطبع فان السلالة السليمانية التي حلت محلها قد شكلت دولة ذات مؤسسات متينة حكمت على الاقل ثلثي مساحة البلاد في الوقت الحاضر ، و في القرن السادس عشر الميلادي بدأت تخسر سيطرتها على الحكم بعد اقتحام الجيوش المسلمة تشن حربها المقدسة عليها ، كما تعرضت في القرن السابع عشر الميلادي الى غزو ناجح من قبل الاورومو الذين خربوا المرتفعات و طردوا سكانها منها ، مع ان الملكية السليمانية ضعفت في القرن الثامن عشر الميلادي ، الا ان التقاليد الامبراطورية بقيت راسخة في اديرة اثيوبيا و كنائسها الريفية ، كما ان الفلاحين في المناطق الشمالية و تحت وطأة تردي اوضاعهم المعيشية كان يتوافدون الى الجنوب سعيا وراء البناء المبكر لبلادهم و يندفعوا لتشييد نهضتها

الحضارية منذ العام ١٨٩٦م حتى عام ١٩٠٧م ، فلقد وجه الامبراطور منليك الثاني (١٨٨٩-١٩١٣م) جهوده للعودة و اعمار الى الاقاليم الجنوبية و الغربية المهجورة منذ القرن السابع عشر الميلادي ، و حدث تحسنا استراتيجي في سياسته عندما امتلك جنوده للأسلحة النارية الحديثة ، لكن اخلاقياتهم العسكرية ارتكزت على سعيهم الدائم لامتلاك الغنائم ما بعد الحرب و ايمانهم العميق باسترداد الاراضي التي كانت ذات يوم جزءا من دولتهم المسيحية ، و مع نهاية حملاته التوسعية عام ١٩٠٦م وصلت اثيوبيا (دون إرتيريا) الى حجمها الجغرافي الحالي ، شاملة في طياتها المرتفعات و شبكة من منابع الانهار الرئيسية و قاعدة الدولة المركزية الخاضعة لحزام منطقة الحدود الحاجزة الممتدة من السهول المنخفضة حتى المناطق المدارية و القاحلة و العائدة زمنيا الى فترة حضارة اكسوم.

فانتقل التاريخ العام لإثيوبيا من الشمال الى الجنوب ، و في القرن العشرين تطورت الدولة كثيرا و قطعت اشواطا عديدة على طول هذا الطريق ، فحكم منليك و حكام مقاطعاته سكان البلاد المتعددي الاعراق بشكل غير مباشر و واسع من خلال التكيف و الخيار المشترك.

حصر الامبراطور هيلاسلاسي سلطات الدولة في يديه و نظم المجتمع المدني الاثيوبي بما يتلاءم و التوازن بين القوى العرقية المختلفة و دعم الوحدة الوطنية من خلال تطوير الجيش النظامي و الاقتصاد الموجة و الاتصالات الحديثة و الثقافة الرسمية التي اضحت الصوت الرئيسي للشعب عبر تداول اللغة الامهرية في نظام الحكم و التعليم.

تتبنى اثيوبيا الاقتصاد الرأسمالي عام ١٩٦٠م ، و انتشرت المبادئ الاشتراكية العلمية بسرعة و جذبت الناس اليها في المحافظات المدمرة و المتضررة من نظام وحدة التراب الوطني الاثيوبي ، و فعلا تمرد الارتيريين بملء ارادتهم سعيا وراء انفصال شعبهم منها بسبب خبراتهم المكتسبة ابان الحكم الاستعماري الايطالي ، فما بين حقبتي الستينيات و السبعينيات لجات السلطات الى الشرطة و الجيش لقمعها حفاظا على وحدة اثيوبيا القائمة او زبائنها الاساسيين الداعمين لحكومتها ، نفس الشئ ينطبق على قضية اوغادين.

تم الاطاحة بحكم الامبراطور هيلاسلاسي عام ١٩٧٤م و استبداله بنظام شمولي موجه استهدف اقتلاع أية منظمات مدنية منافسة او نشاط عرقي ، فلقد ادى القمع الوحشي للاتجاهات الايدولوجية المعادية الى تجميد نمو الحركات القومية و استمرار الحروب الاهلية ، فحصرت الحكومة العسكرية السلطات في يديها بإحكام و صادرت اراضي الاقطاعيين و تأييدا لشعارها التقدمي)) السياسات الاشتراكية الاستئصالية ((و المتعلق بارتباط الفلاحين التاريخي بالدولة و الارض و اعادة توطينهم و دعمهم ، و قد نظرت المنظمات السياسية و الاقتصادية الموجة بأكملها لتنفير الناس من ولاءاتهم الطبيعية ، ما ادى الى فشل الدولة سياسيا و شجع على انهيار الامة الضخمة فيما بعد.

لو ان التاريخ كان مرشدنا فسيمنحنا تطويره الاسلوب الحتمي لتجديد الوحدة الوطنية ابتداء من مبادئ الجغرافيا و الاقتصاد و التقاليد و الثقافة السياسية مرة اخرى حتى مجئ الهيمنة السياسية ، بعض الناس قد لا

يتفقوا مع هذه الاطروحات او النظريات الاخرى في كتابي ، فانا لا التمس اعذارا و لكني افضل نقل كتاباتي المتحدية و اثبات خطئي و توضيح افكاري و اسراري حيث يكمن الضعف في كتابي هذا و حيثما نعرض ربما التحليلات الاخرى و الحسنة التي فيها ، فلو ان هذا الكتاب يساهم في اثراء و تنمية معرفتنا بالتاريخ الاثيوبي ، فعندئذ سيثبت قيمته التي يستحقها كمرشد عابر و يسبر غور تفاصيل قصته المعقدة و الصعبة .

فهذا الانجاز هو املي الكبير في هذا الاصدار الناتج عن عمل مضني دام سنوات عديدة و ارتكبت العديد من اخطائي فيه مما جعلني اتلقى اللوم من اصدقائي و زملائي و طلابي ، فلقد ساعدني نقدهم على جلب الكتاب الى اتمامه جيدا كجون هينانت و دونالد كرومي و جيمس ماكين و غولوما غيميدا و دانييل كينيدي و باتريك غيلكس و ازكيل غيبيسا و شارلز ماكليلان ، يعقوب فيسيها ، ويليام هيكسون ، دافيد روبنسون ، ريتشارد جرينفيلد ، جاي سبولدينغ.

و مرة اخرى اعرض تقديري الخاص لسوزان درابيك التي مازالت على قيد الحياة اثناء تحملها طويلا معي عناء تأليف كتابي ، و الى مركز الدراسات الانسانية الذي تولى حقا النشر النهائي للقسم الاول منه الذي كتبته بعنوان (الطرف الجنوبي من السماء) و اقدم خالص مشاعري وامتناني العميق و تمنياتي القلبية لهم و لمجلس البحوث و العلوم الاجتماعية و الجمعية الفلسفية الامريكية و الى جامعة ميتشغان الحكومية ، و اقول ان

يرفع هذا العمل الجيد من و يدعم العلم و البحث و الفكر بقيمته العلمية ، و اشكركم جزيلا على ثقتكم بي.

من البدايات المبكرة حتى عام ١٢٧٠م :

منذ اربعة ملايين سنة و بالقرب من هدار في اقليم ويلو الواقع اقصى الجزء الشرقي من اثيوبيا ، و وجد علماء العصور الحجرية هناك فيها بحيرة في منطقة خضراء يليها منطقة جافة محاطة بها كنز مفيد لهم في المستقبل : ففي عام ١٩٧٤م ، عثروا في شواطئها الضحلة على بقايا مجمدة تعود للإنسان الاول لوسي الموجودة في اقليم العفر و هي امراة شابة تنتمي لفئة الانسان العاقل.

بدأوا يسبرون غور اسرار جمجمتها الكاملة و تصنيف ملامحها المتناسقة بان تطورها يدل على تمتعها بالذكاء ، و ينتمى حجم مخها الصغير الى النوع الثالث من الانسان العاقل ، كما ان جسدها الممدد و القاسي تبدو من النظرة الاولى على ان طولها اقل من متر و وزنها حوالي ثلاثين كيلوغرام ، و وضعية الحوض و الساقين صلبة بشكل كاف يعطيها القدرة على السير السليم و المستمر بقدميها و ان لم تسرع في خطاها ، فهي و قرينها الذكوري كانا يصنفان من اكلة اللحوم لا النباتات حيث كانوا يصطادان الحيوانات الصغير و يجمعون الفواكه و الخضروات و الجذور و الاوتاد النباتية من خلال الاحجار و العصي المصقولة ، لكنهم لا يصطادون بها ، و يقضون معظم حياتهم يجمعون و يلتقطون غذائهم قرب المياه و الاشجار المثمرة.

حتى مع مواردهم المحدودة فان الانسان الغير عاقل العفري ظل على قيد الحياة لأقل من مليون سنة قبل ان يحل محله ابن عمه و نظيره الافريقي في الوقت الحاضر منذ حوالي ثلاثة ملايين سنة في اقليم اومو بإثيوبيا و

يأتي بعده الانسان العاقل الذي عاش على هيئة مجموعات بشرية تجمعت في المناطق المحاذية للمياه العذبة المحمية من الاثيوبيين الذين كان يطلق عليهم لفظ دنكنيش (القتلة المدهشون.)

كانوا يصنعون من الحجارة السكاكين و المعاول اليدوية و الفؤوس الحادة و ادوات الحفر الاخرى للاستعمال اليومي و صيد الحيوانات ، بينما النساء و الاطفال يعدون علف الماشية و يجمعون 75% من طعام المجموعة الواحدة لمؤنة الشتاء ، اما الذكور فعادة ما يحرسون المنطقة بحثا عما يرضي فضولهم.

و ارتبط الري بالمصلحة المشتركة و الاستراتيجية المهنية لتعوض عن الصيادين ضعف امكانياتهم و بطئها ، و ما ساهم في نجاحها الحاسم جودة الاسلحة المحمولة من قبلهم بيسر لحماية المجموعات السكانية و تمويلها بصادرات الانتاج الحجري و عمالها الحرفيين المختصين بها و قدموا خدمة جليلة في تحسين مستوى الصيد الناجح آنذاك .

و يأتي السكان جميعا في المساء ليأكلوا معا اللحم و يدافعوا عن انفسهم ضد الوحوش المفترسة و التي وجدت رسوماتها في كهوف سالفوس الصخرية.

و في الحقيقة ، تمركز البشر الاوائل و انتشروا حول اجزاء واسعة من غابات السافانا الافريقية في تلك الفترة حيث كانوا ناجحين في حياتهم منذ مليون سنة قبل الميلاد و انتقلوا الى مرحلة انسان اريكتوس او الانسان المستقيم جسديا الذي كان من اقوى و اذكى الانسان العاقل

لوقت طويل خلال ما تبقى من حقبة العصور الحجرية المتأخرة) العصر الحجري الحديث ، العصر الحجري النحاسي (حيث كانت جمجمته الواسعة تحتوي على حوالي ١٠٠٠ سنتيمتر مكعب من الخلايا او الانسجة العصبية الداكنة اللون ، و مظهره جميل بحوض و جسد مستقيمين ضعفي حجم نظرائه العفريين.

في اثيوبيا ، انتشر فئة انسان اريكتوس من الساحل الشرقي الى ما حول اقليم هرر و وادي اواش و جنوب وادي اومو و بحيرة توركانا ، و يعتقد ان بشر الاريكتوس انتشروا بشكل واسع في ارجاء افريقيا و السيطرة عليها ، فنموهم السكاني اجبر بعض المجموعات البشرية من الرحيل عن اوطانها الاصلية ، و منذ حوالي مليون سنة مضت و هم يسافرون بحثا عن ارضا صالحة للاستقرار الى ان وصلت جماعات منهم الى اسيا و اوروبا ، و لذلك ، فان انسان اريكتوس كان معروفا لدى العديد من نظرائه و من ابرزهم انسان بكين) الصين (و ابن عمه انسان جاوة((اندونيسيا)

عثر في شرق افريقيا التي تقع اثيوبيا ضمن نطاقها على بقايا معدات انسان اريكتوس الغامضة المصنوعة من قبلهم كالصيادين المغامرين القادرين على نصب الفخاخ للحيوانات الكبيرة و قتلها حيث بعد قتلها يقطعون لحمها قطعا صغيرة بمهارة فائقة بسكاكين و قواطع و مكاشط و فؤوس متقنة الصنع ، و من حوالي ٧٠ مليون سنة قبل الميلاد بدأوا باستخدام النار لتحضير شرائح اللحم المفرومة و الساخنة التي ظلت مصدر غذائهم الرئيسي الذي يمدهم بالبروتين ، و استخدم نيرانها للتدفئة

و حماية الناس من الحيوانات المفترسة و تنظيم احتفالاتهم الدينية اليومية لممارسة معتقداتهم الروحية و الفكرية الحرة التي ربما تنير لهم الطريق حول معنى الحياة ، فحرارة حفلات السمر دعمت التطور البطيء لإنسان اريكتوس الى الانسان العاقل في اثيوبيا ، فقد عرض في اقليم دري دوا البقايا الاثرية لأفراد يعودون الى عصور متأخرة من حوالي ٦٠ مليون سنة مضت و وجد مثلهم بعد فترة وجيرة في ميلكا كونتور بوادي اواش مع هيكل دماغي طول ١٣٠٠ سنتيمتر.

كان ذكائهم الحاد تعبير فوري بالكاد عن قدراتهم الصناعية لمقابض الادوات و الازاميل الحادة و الاسلحة ، و سمح التحسن التكنولوجي بتأسيس معامل موسمية عديدة مرتبطة اكثر ام اقل بمراكزها البعيدة عنها .

من خلال قطع الصيد يمكننا تفحص كمياتها بشكل اعمق ، و نتج عن ذلك على وجه العموم نموا و تنوعا اعظم على مستوى السكان و صحتهم ، و عبر اراضي السافانا السهلية المنخفضة انتشر الانسان العاقل سريعا في ارجاء التلال القريبة وسط اثيوبيا و مرتفعاتها ، خاصة في الغرب و الشمال الغربي منها الى حد الاختلاط بسكان وادي النيل و حضاراتهم فيما بعد ، و ما يؤكد على ذلك بقوة ان مجموعة اللغات الآفرو اسيوية (الحامية – السامية) تطورت و تجاوزت الحدود الاثيوبية – السودانية ، و هناك بدأت المجموعتين الكوشية و السامية في الانفصال عن بعضهما البعض ، ففي اثيوبيا ، نما الفرع السامي الى مجموعتين ، احداهما في المناطق الشمالية و عاشت فيها قومية التيغراي ، و الاخرى في المناطق الجنوبية و عاشت فيها قومية الامهرا ،

و انتشرا ذكرهم بشكل اساسي في الشرق الاوسط [1] ، و بعد الف سنة ، عادت في صيغة مكتوبة تكاثر على اثرها ابناء عمومتها لمرات عديدة مضت ، فلقد اتى معظم التطور اللغوي لها بعد الالف الثامن قبل الميلاد ، فبينما زاد عدد السكان تتابع استئناسهم و تجميعهم للماشية و الاغنام و الماعز و الحمير و مجموعة اساسية من المحاصيل البرية ، استمر ربما هذا التطور الى مطلع الالف الثالث قبل الميلاد عبر تجميعهم ٣٦ نوعا من المحاصيل بغض النظر عن اهميتها الغذائية من ناحية التصنيف في اثيوبيا سواء كانت ضرورية ام كمالية ، اهمها كان محصول التيف (التيف الراجروستي) و هي بذور فاكهة مزروعة في الحشائش و يصنع من دقيقها خبزا سميكا دائري الشكل متعدد الطبقات ، و هذا النوع مازال مفضلا لدى العديد من الاثيوبيين ، و الانسيت (و الذي يسمونه اهل عدوليس خطا بالموز) ، و لب ساق نبتة الكاس ، بعد معالجة معقدة يصنع منها دقيق الخبز او العصيدة التي مازالت وجبة اساسية في معظم ارجاء جنوب و جنوب شرق اثيوبيا ، و اعظم تنوع لهذه الاطعمة الزراعية اعدها الانسان الاثيوبي الاول سيساهم في تحسين السهول و تعديلها و تنظيفها من الشوائب و التي زرعها بطريقة الحرث اليدوي مما افاد المرتفعات و الزراعة فيها منذ القدم ، بينما المحاصيل في الاراضي الشرقية الوسطى و لاسيما الشعير و القمح الى جانب الفخار المجلوب من السودان فقد انتشروا هناك ابان الالف الثاني قبل الميلاد .

[1] لم يذكر المؤلف شيئا عن الموطن الأصلي للشعوب السامية في إثيوبيا ألا و هو اليمن لا من قريب أو من بعيد (المترجم) .

سكان الشمال الناطقين باللغات السامية قدموا الى السهول و سيطروا عليها ، و يرجع وجودهم الى اتصالهم بالتجار السبئيين الذين يتشاركون معهم الثقافة و الوطن الاصلي ذاته[٢] ، فأسلاف الاكسوميين كونوا دولة على النمط اليمني القديم الا و هي مملكة دعمت التي شملت المرتفعات الشرقية كإقليم التيغراي من عاصمتها يحا فصدرت العاج و دروع السلاحف و الذهب و الفضة و العبيد مقابل البضائع المصنعة الجاهزة كالملابس و الأقمشة و الادوات و المعادن و المجوهرات .

و ما بين ٣٠٠ و ١٠٠ قبل الميلاد حول المنافسين التجارة و التجار الى مدن جديدة كملازو و كسكاسي و مطرة في وسط و شرق السهول التيغرينية و الارتيرية حيث يمر البحر الاحمر اليها بسهولة ، انهارت دعمت و حلت محلها دويلات صغيرة كانت اماكن تواجد الاثيوبيين الذين جلبوا معهم عادات و تقاليد و اديان قادمة من جنوب الجزيرة العربية ، فاستقت المدن المجاورة نظام الري و الزراعة الراسية و الخزانات المائية من النموذج السائد في جنوب الجزيرة العربية ، و من جهة اخرى ، اظهرت التنقيبات الاثرية ان زراعة الاراضي الجافة التقليدية طبقت بنجاح في المنطقة المجاورة لأكسوم مستعملين كافة التقنيات الزراعية و مكونين تناسل حيوي ، و احدهما اثبت بالبرهان القاطع في المستوى العالي للحضارة ان البقايا النقشية القديمة المتطورة تظهر لنا بانها سبئية ، لكن المتمعن لها عن قرب يقترح بانها من الممكن انها تشكلت من تأثيرات خارجية و داخلية فقط انحدرت منها الجعزية اللغة

---

[٢] يتعمد المؤلف هنا إنكار إنتماء الأحباش أو الشعوب السامية في إثيوبيا إلى وطنهم الأصلي اليمن و لا سيما أوسان التي كانت تسيطر على سواحل البحر الأحمر في القرن الثالث قبل الميلاد تحت تأثير مدرسة التوراتية في التاريخ و التي تدعي بأن الأحباش و الساميون في إثيوبيا من أصل يهودي قح (المترجم) .

السامية المحلية في البلاد ، و اضحت سيطرة الثقافة القومية اكثر بروزا و انتشارا من ذي قبل بعد القرن الرابع قبل الميلاد ، و تظهر لنا الحقيقة بجلاء المعالم الباقية منها و لاسيما في الهندسة المعمارية و المنحوتات الموجودة في يحا و هاولتي و ملازو .... الخ .

صممت الاشكال الصلبة على نحو ثقيل على هيئة رقم طينية ، التحول النمطي للأيادي على الركب و ثنيات لثوب داخلي نسائي طويل يشبه الفستان ربما اقتبس من عينات مماثلة قادمة من جنوب الجزيرة العربية الا انها بعد فحصها اكسومية بامتياز .

نماذج سطحية اساسية لأوصاف رجال يعتقد بانهم اثيوبيون بامتياز ، لكن طبقات وجوهم الشحمية في اوضاع متكلفة يمكن ان يرى بانهم من المحتمل قدموا من اماكن ممتدة من مصر الى ايران ،كانت التماثيل و المذابح الدينية تزين بالرموز الدينية اليمنية القديمة ، على سبيل المثال هلال المقه و دائرة الشمس ، و ليس برموز الههم التقليدي الثعبان و من الالهة الاثيوبية الاخرى .

و هكذا حسب الفكر الأيدلوجي التحقت اثيوبيا بركب الشرق الاوسط و شاركت في تاريخها الديني الشديد الثراء ، و في نفس الوقت ،كان لها نصيب في تطور الحياة التجارية للاقتصاد في اقليمي البحر الاحمر و شرق المتوسط ، فلقد جلبت التجارة الثراء الذي سمح بنمو النخب الحاكمة فيها و اعطتهم المكانة الرفيعة و تحقيق طموحاتهم و صنع امجادهم السياسية و العسكرية عبر حروبهم التوسعية ، و جلبت مواهبهم

و حظوظهم المزيد من التحالفات الخارجية و الداخلية على حد سواء ، و قادهم النجاح ثروة اعظم و المزيد من الاتباع و الاطماع السياسية .

شهد قبل خمسمائة سنة من التاريخ الميلادي صراعا زاد حول الحكم بينما اضحت المخاطر اعظم من ذي قبل ، و كان الرابح منها دولة صاعدة اسمها اكسوم ، فاستولت على عكيلي و غوزاي و اجام و سيطرت على المناطق الخصبة بالمواد الغذائية حتى اقاليم شعب الاجاو الفلاحين الواقعة في جنوب شرق اثيوبيا .

نمت اكسوم و سيطرت على السواحل المحلية حتى التيغراي و تابعت حملاتها العسكرية المصاحبة و من دون ان يظهر ارتباط اثيوبيا بمقدار مساهمتها في التجارة الاقليمية و التجارية الا في عهدي البطالمة حكام مصر (٣٣٠ – ٣٢٠ ق.م) و من بعدهم الرومان .

عندما نهضت دولة اكسوم و اتسعت اكثر في تاريخ مبكر نهاية القرن الاول الميلادي الى ان اكتملت اركانها بان اضحت دولة تجارية و ان لم تكن تحسن الخوض فيها بعد ، فقد ذكر المؤلف المجهول لدليل البحر الارتيري عن الميناء الرئيسي في اثيوبيا آنذاك عدوليس الذي يبعد حوالي عشرين ميلا عن خليج زولا (زيلع) حيثما ترسو السفن الاجنبية في رصيفه الطبيعي لحماية انفسها من هجوم ليلي للسكان المحليين العنيفين ، الا ان عدوليس قدمت للدولة عائدات كافية لاستقبالها المستمر

لسيل من البضائع التجارية تشمل العاج و الاقمشة المتنوعة و الاواني الزجاجية و الادوات و المجوهرات الفضية و الذهبية و النحاس و

الحديـد الفـولاذ الهنـدي المسـتخدم فـي تصـنيع الاسـلحة الفائقـة الجـودة ، و اضـحى مواردهـا الماليـة عنصـرا اساسـيا فـي الاقتصـادي الاثيـوبي ، فقـد كانـت عـدوليس مكـان محاطـا بالمنـازل و المعابـد المبنيـة مـن الحجـر و سـد لـري الاراضـي الزراعيـة الممتـدة الـى غـرب و شـمال غـرب مدينـة اكسـوم مـدة خمسـة ايـام ، و هـذه المدينـة احتكـرت تجـارة العـاج القادمـة مـن غـرب السـودان ، فلـم يكـن زعمـاء الدولـة يحتكـرون تجارتهـا فحسـب بـل احتكـار طرقهـا الرئيسـية و مصـادر تمويلهـا ، فعلـى سـبيل المثـال خـلال القـرن الخـامس المـيلادي اجتاحـت الجيـوش الاثيوبيـة المنـاطق الشـمالية للسـيطرة علـى طـرق التجـارة الممتـدة مـن مينـاء سـواكن (السـودان) البجـا و السـاحل (ارتيريـا) مـرورا بالقوافـل المتجهـة الـى عـدوليس و جنـوب تيكـزي الـى اقلـيم الاجـاوه الـذي يمـتهن سـكانه الانتـاج الزراعـي ماعـدا المنـاطق الصـخرية فيهـا ، و انتهـاءا بالمنـاطق الجنوبيـة الشـرقية باتجـاه صـحراء العفـر الـذي يقودنـا الـى طريـق البخـور و يجتـاز البحـر الاحمـر و يشـق طريقـه بقـوة نحـو الحجـاز (محافظـة فـي المملكـة العربيـة السـعودية) لـدفع الجزيـة و ضـمان السـيطرة على التجارة البحرية .

و معظـم معلوماتنـا مسـتمدة مـن النقـوش المكتوبـة فـي عـدوليس بتـاريخ ٥٢٥م عبـر البحـار كوزمـاس انديكوبلسـتيوس و نشـرت علـى الارجـح فـي كتـاب الطبوغرافيـا المسـيحية (رقـم ٥٤٧) حيـث يكشـف مـن خـلال الاجـزاء المقطوعـة مـن العمـلات و النقـود المسـتوردة منـذ القـرن الاول المـيلادي كانـت تسـتعمل كنقـود فـي الاسـواق الاثيوبيـة حيـث كانـت مهمـة للتجـارة و متطلباتهـا بشـكل اسـهل مـن المقايضـة ، و مـن جهـة اخـرى ،

تولت اكسوم مسئولية اصدار عملاتها النقدية اواخر القرن الثالث الميلادي .

كانت المسكوكات الاولى تشكل بشكل رئيسي عند الاغريق بقطع و فواصل رومانية الطابع ، ما يشير الى استعمالهم لها مبكرا في التجارة العالمية ، و كانت المسكوكات الاولى تشكل بشكل اساسي عند الاغريق بفواصل رومانية الطابع ، ما يشير الى ان هذه العملات استخدمت مبكرا في التجارة العالمية ، فلقد اثبتت النقود الاكسومية وجودها الفعلي و جعلت التجارة الاثيوبية تلعب دورا اساسيا مع الشرق الادنى حيث فارس و كوشانا في الهند و روما مصدرة عملاتها الذهبية ناشرة الناطقين بالجعزية في ارجائها ، الا انها ظلت تتداول الملح التقليدي و القضبان الحديدية كنوع من النقد و ابقت على سيطرتها من الاحداث التي لم تنقل لها التجارة فحسب بل المسيحية الى شواطئ اكسوم ايضا ، فرسخوها في عملاتهم و صلبانهم ضمن النخب الحاكمة فقط التي اهتمت بنشرها داخل دائرتها منذ القرن الثالث الميلادي ، و حتى قبل ذلك ، تعلمت النخب الاكسومية ذو الثقافة الهلنستية اصول الدين الجديد من التجار المسيحيين ، بالنسبة للملك و حاشيته فقد سلموا جدلا بوجودها الأيدلوجي لا اكثر ، و اصبحت تحتل نصوصها مكانا رفيع المستوى في السلطة و القوانين السياسية و الاقتصادية من بداية القرن الرابع الميلادي ، لتضحى المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) ، فمنذ سيطر الرومان على التجارة في البحر الاحمر ، اصبح ذلك دافعا لتغلغل المسيحية في ارجاء اكسوم ، لكنها انتشرت ببطء و

انحصرت في المدن الصغيرة و الواقعة على طول طرق التجارة ، اتسع نطاقها خلال الثلث الاول من القرن الرابع الميلادي ، فقد عثرنا فجأة على عملات معدنية منقوش عليها الصليب ثم تنقيبات اثرية تحمل صفة نقوش امبراطورية بدا سكها على يد المصلين المسيحيين .

و وفقا لسجلات الكنيسة الاثيوبية فان الشابان السوريان ايديسيوس و فرومنتيوس هما من نشرا المسيحية في اثيوبيا ، فاضرحة ضحايا العبودية تشير الى انهم حضروا الى البلاد كعبيد يعملون عملا متعبا بالسخرة تحت امرة الامبراطور الاعميدا (نهاية القرن الثالث الميلادي) ، و مرت السنين ، اكتسب ايمانهما و عقيدتهما و خصوصا فرومنتيوس المزيد من الحكمة و المعرفة يمدا ملكهم بفيض من علمهم الغزير و يعينا امينا سر ملكيان له تقديرا لهما على ذلك و بالتالي يعتقا من العبودية بامر منه ، فطلبت ارملة الامبراطور الوصية على العرش البقاء في القصر و تقديم الراي و المشورة لها حتى يبلغ طفلها عيزانا الرشد حيث كان مؤهلا لتولي العرش ، فما ان وعدها فرومنتيوس بذلك حتى قابل العديم من التجار المسيحيين و شجعهم على تاسيس الكنائس و التعاون الكامل معهم على نشر كتب الانجيل في ارجاء البلاد ، و عندما تولى الملك الشاب السلطة (٣٠٣ م) سافر فرومنتيوس الى الاسكندرية لحث بطريرك كنيستها القبطية على تعيينه اسقفا في اثيوبيا لنشر مذهبه المينوفيزي في ارجائها ، لم يكن متفاجئا منذ حياته المتقلبة ان يسمع خبر تنصيبه اسقف تابعا للأولى ، و عند عودته الى اكسوم حوالي ٣٠٦م تقريبا (؟) ان يبدا مشواره الاساسي في التبشير بالإنجيل بين الناس الاكسوميين ، لدرجة ان

عيزانـــا خـــرج علـــى معتقداتـــه التقليديـــة ، كمـــا ربـــط التجـــارة بالمســـيحية مستعرضـــا منجزاتهـــا المفيـــدة لمملكتـــه حـــوالي ٣٥٠م ، فتـــابع الامبراطـــور عيزانـــا بفضـــلها توســـعه التجـــاري نحـــو الغـــرب فـــامن تجـــارة اكســـوم صـــوب وادي النيـــل مـــن العـــاج و الســـلع الاخـــرى و ســـيطر عليهـــا لان دولـــة مـــروي الســـودانية خـــلال ســـقوطها لـــم تكـــن قـــادرة علـــى حمايـــة طـــرق القوافـــل مـــن هجمـــات او غـــارات قبائـــل البجـــا البدويـــة عليهـــا ، فواجـــه الجـــيش الاكســـومي الـــذي لـــم يلقـــى مقاومـــة تـــذكر اثنـــاء توجهـــه الـــى الســـودان نظيـــره الكوشـــي و تقـــاتلا فـــي منطقـــة عطبـــرة علـــى نهـــر النيـــل الازرق ، و ذاع صـــيت عيزانـــا بعـــد ذلـــك و هـــو الـــذي وصـــف حملاتـــه العســـكرية المـــذكورة ســـلفا بالناجحـــة و الســـهلة و شـــكر رب المســـيحية علـــى حمايتـــه و عونـــه ، و بالنســـبة للقـــرون القادمـــة لـــم يكـــن هنـــاك دولـــة مشـــهورة قـــادرة علـــى تحـــدي احتكـــار اكســـوم للتجـــارة علـــى الجانـــب الافريقـــي للبحـــر الاحمـــر ، فلـــم تجلـــب التجـــارة لهـــا الثـــروة فحســـب بـــل ســـاهمت فـــي التحـــولات الثقافيـــة المهمـــة فيهـــا ، فبقيـــت اليونانيـــة لغـــة النخبـــة ، لكـــن الجعزيـــة اضـــحت بشـــكل اساســـي لغـــة العامـــة ، و غالبـــا مـــا كانـــت النقـــوش الملكيـــة تســـتخدم اللغـــة الدارجـــة ، و كـــان هنـــاك ادلـــة جديـــدة و قديمـــة علـــى انمـــاط اللغـــة الجعزيـــة و التـــي زعمـــت بقاياهـــا انهـــا ترجمـــت مـــن روايـــة للأناجيـــل اثنـــاء حقبـــة القديســـين التســـعة الـــذين اتـــوا مـــن سوريا الكبرى اواخر نهاية القرن الخامس الميلادي .

فـــالمنهج التعليمـــي الفلســـفي الحـــديث يشـــك كثيـــرا حـــول دور الســـوريين المتنفـــذ فـــي مملكـــة اكســـوم الاثيوبيـــة لكـــنهم لـــم يجـــدوا دلـــيلا واحـــدا علـــى اثبـــات مصـــدره الاصـــلي ، فيمـــا بعـــد زعـــم الطـــابع الشـــعبي للأســـطورة المنســـوجة

حـول رجـال الـدين التسـعة انهـم كـانوا مينـوفيزيين صـالحين مـؤمنين بـان المسـيح لديـه طبيعـة واحـدة (انسـان ذا طبيعـة الهيـة) ، و صـورت الرؤيـة الدينيـة لشخصـية البطـل المنقـذ عبـر قساوسـة بطريركيـة الاسـكندرية و نقلـت الى اثيوبيا من قبل الاسقف فرومنتيوس قبل ١٥٠ سنة .

فلقـد اجبـر رجـال الـدين التسـعة علـى النفـي مـن وطـنهم بعـد صـدور قـرار مجمـع كاليكـدونيا الـديني عـام ٤٥٠م ((يعتبـر فيـه المسـيح يحمـل فـي طياتـه الطبيعيتـين البشـرية و الالهيـة معـا ، فمـن الطبيعـة الاولـى يحمـل صـفة الابـوة و نظيرتهـا الثانيـة صـفة الرجولـة دون تقسـيم او انفصـال او اضـطراب او تغييـر)) ، و عنـدما رحلـوا وجـدوا ضـالتهم المنشـودة فـي جنـة اثيوبيـا حيـث نعمـوا بـدفء ترحيـب اهلهـا لهـم ثـم توجهـوا الـى شـرق اكسـوم و لاسـيما الريـف لنشـر مـذهبهم الجديـد بـين سـكانه الهمـج و اقنـاعهم بمبادئـه السـامية و اثبـت القديسـين التسـعة لهـم خطـا الالهـة القديمـة و ضـلالتها مـن خـلال تأسيسـهم لمراكـزهم الدينيـة الخاصـة بهـم حيـث تتواجـد بـالقرب مـن المعابـد و الاضـرحة الموجـودة هنـاك ، مـن بينـهم كنيسـة دبـرا دامـو الشـهيرة التـي مازالـت نشـطة و فاعلـة فـي المجتمـع ، و صـنفوا مفهـومهم و دورهـم البسـيط بخصـوص الشـيوعية ، العمـل الجـاد و الانضـباط و الطاعـة ، علـى الـرغم مـن انهـم قـدموا التقشـف و التـدين العائـد معظمـه الـى القـانون الجزئـي المشـكل مـن قبـل مجمـع نيقوميـديا الـديني عـام ٣٢٥م و الـذي مـنح الكنيسـة الارثوذكسـية سـلطة تسـمية كرادلتهـا و اسـاقفتها التـابعين لهـا و تعميـدهم حصـريا و التـي كانـت مـن اختصـاص سـلطة كنيسـة الاسـكندرية مـدة ٦٠٠ سنة .

الإحتلال الحبشي لليمن :

بعد تربية و تدريب علماء اللاهوت الشباب المعمدين حديثا ذهبوا الى الريف التزاما بالتقليد السائد آنذاك حيث سيصبحون فيما بعد الرواة الاساسيين للأناجيل الاربعة في اثيوبيا .

بمذهبهم الجديد اتى التجار من كل حدب و صوب سعيا وراء الاستزادة منهم للرد على تساؤلاتهم الدينية الحائرة باتجاه عدوليس ، المركز التجاري للدين الجديد ، فقد كانت محطة استقطاب اختيارية لبيزنطة و التجار الاخرين الساعين لشحن بضائعهم الى الجزيرة العربية و الهند و البلدان الواقعة في اقصى الشرق الادنى ، فكانوا يأتون الى عدوليس في شهر يوليو سنويا لإدارة اعمالهم قبل قدوم سفن البحرية الاثيوبية عارضين اجود الاواني المصنوعة من الالواح المحاكة و المربوطة بالحبال الضيقة ، فيغادروها صيفا مع قدوم الرياح الموسمية ، و خلال رحلاتهم في شهر سبتمبر سيبيع تجار اكسوم بضائعهم المصدرة و المشحونة عبر السفن ، و عندما يتغير مسار الرياح في شهر اكتوبر يبحرون عائدين الى عدوليس حيث يستقبلون التجار الاجانب الساعين بأنفسهم لشراء السلع المطلوبة في شرق البحر المتوسط عائدين بها الى بلدانهم .

غالبا ما تعلقت الشئون التجارية بتامين طرق التجارة و السماح بإقامة الاسواق الاجنبية وقتما يكون فيه ثمة تهديدات امنية ، فقد تولت الامبراطورية الاكسومية زمام الامن للتجارة البرية كما هو الحال في جنوب الجزيرة العربية مطلع القرن السادس الميلادي .

و كانت الديانة اليهودية حاضرة بدورها في المنطقة و اضطهد اتباعها المسيحيين و لاسيما الاكسوميين منهم الذين يتعاطون التجارة معهم ، فوجه الضحايا الناجين و العابرين للبحر الاحمر طلبا للنجدة من اكسوم التي لبت ندائهم عام ٥١٧م و ارسلت قوات بحرية استولت على اهم النقاط الاستراتيجية في اليمن القديم ، فتغلغل اليمنيين اليهود بدورهم في ارجاء البلاد و تحكموا بها و احدثوا تحولات في الشعور الوطني الرافض للحكم الاجنبي ، فأغاروا على المدن التجارية في اليمن و تحكموا بسير الواردات و الصادرات فيها .

و ما بين عامي ٥٢٣م و ٥٢٤م ، قرر الامبراطور كالب المعروف في بعض النقوش المسندية بايلا اصبحا (٥٠٠ – ٥٣٠م) غزو اليمن ، و على اثر ذلك حصل على الدعم و التمويل من قبل بطريرك الاسكندرية و الحكومة البيزنطية التي كانت لها مصلحة قوية من تامين التجارة لصالح حملته العسكرية الاساسية ضد الزعيم اليمني اليهودي الديانة ذو نواس حيث امر كالب ببناء سفينة عسكرية ضخمة في عدوليس مزوده بكافة التجهيزات و ضمت عددا كبيرا من الجنود ، و هو بنفسه قاد الحملة الى اليمن .

و بعد قتال شرس ، هزم ذو نواس و استسلم جيشه ، و كما هي عادته فبعد انتصاره اسس كالب في البلاد ادارة انتقالية بوضع متذبذب غير مستقر حيث سرعان ما عاد اليهود اليمنيين للإغارة على المقرات الحكومية و القواعد العسكرية من مراكز تأييدهم في الجبال و الصحراء .

و في عام ٥٢٥م ، عاد كالب بجيش آخر لتصفية قوات المتمردين المرابطة و قواعدهم الرئيسية قرب البحر العربي بالتدريج ، إشمئز أحد الشهود من الكارثة التي حلت على اليمنيين خلال هذه الحرب و دفعت الملك الحميري ذو نواس إلى الإنتحار عن طريق إغراق نفسه و هو على متن حصانه الضحضاح في مياه البحر إثر هزيمته الساحقة أمام الأكسوميين و تنصيب ملكهم كالب إمبراطورا على الحبشة و اليمن معا .

كان أبرهة أحد قادة الجيش الأكسومي في اليمن و نائب الملك كالب عليها حيث تركه هناك و معه جيش نظامي مؤلف من خمسة آلاف جندي عائدا إلى وطنه للإحتفال بإنتصاره العظيم الذي جعل بلاده في أوج قوتها و عظمتها أكثر من ذي قبل ، فتطورت ديانتها المسيحية على قدم و ساق و إنتشرت بسرعة البرق على إمتداد إمبراطوريتها المترامية الأطراف و لا سيما في جنوب التيغراي حول مناطق واغ و لاستا حيث تم زراعة المناطق المتاخمة لإقليم الأجاوة (ويلو الجنوبية) كاملة مما أدى إلى تحسين صادرات أكسوم و تنوعيها بشكل أفضل ، و عبر أقليم الأجاوة أيضا إزدهرت تجارتها النهرية و البرية مع السودان و لا سيما تجارة الذهب من صاصو[٣] و إليها حيث ساهمت في بناء إمبراطوريتها و إنهيارها لاحقا .

في عام ٥٤٣م ، تمرد الجنرال أبرهة على أكسوم و أعلن إنفصاله و يستقل بولاية اليمن عنها[٤] ، فدخل الملك كالب و خلفائه في صراع

[٣] تعرف حاليا بمنطقة فازوغلي و هي أقليم سوداني واقع على النيل الأزرق (المترجم) .

[٤] أبرهة لم يتمرد على الملك كالب و لم ينفصل بولاية اليمن عن أكسوم كما يزعم المؤلف ، كل ما في الأمر أن منح صلاحيات أوسع من قبل أكسوم لإدارتها بشكل مستقل توفيرا للنفقات المالية و التكاليف العسكرية فحسب (المترجم) .

شرس معه دون أن يؤثر سلبا[٥] عليه أو على سلطته المطلقة هناك بل ساعدته في تعزيزها أكثر من ذي قبل ، سيما بعدما أحكم سيطرته بنجاح على الطرق التجارية المؤدية إلى اليمن شرقا مما حسن نشاطات بلاده التجارية على المستويين المحلي و الدولي ، بعد ذلك أعلن نفسه ملكا على اليمن في إحتفال مهيب شهدته عاصمة البلاد صنعاء[٦] دون أن يقطع أواصر الصلة ببلاده أكسوم عبر دفعه الجزية السنوية لها و لأباطرة الفرس الساسانيين[٧] ، و خلال حكمه إنتعشت اليمن و عم الرخاء و الإزدهار أرجاءها الشاسعة حيث إزدهرت الأشغال العامة و بنيت المعالم الهامة و الكنائس بغية تحويل اليمنيين الخاضعين له إلى دينه المسيحي ، لذا قرر أن يقوم بتوسعة رقعة ملكه و السيطرة على طرق القوافل التجارية عبر حملات عسكرية وجهها ضد مكة المكرمة ، إلا أن تلكم الحملات عرقلت سير حركة التجارة البرية في الصحراء و تسببت بأزمة تجارية كبرى أضرت بحلفائه الفرس الساسانيين[٨] الذين رأوا أن مصالحهم التجارية المرتبطة بطريق البخور باتت في خطر ، ما دفعهم إلى التدخل بعدما حل محل أبرهة على عرش اليمن حكاما ضعاف للغاية غير قادرين على إحكام سيطرتهم على البلاد و لا على جيشهم النظامي ، فضلا عن أنهم أثيوبيون و مازالوا على ولائهم لوطنهم الأم أكسوم التي كانوا يدفعون لملكها

---

[٥] لم يعلن أبرهة الحرب ضد وطنه الأصلي الحبشة كما يزعم المؤلف بل إنه إقترح على ملكه كالب أن يحول اليمن إلى إيالة مستقلة تابعة للتاج الأكسومي شريطة أن تدير نفسها بنفسها تحت حكم إبرهة و عائلته بأمر من الأخير أسوة ببقية الأقاليم الأخرى لأكسوم و تخفيضا للتكاليف الباهظة من الحكم الأكسومي المباشر ، فوافق كالب على الفور مقابل جزية سنوية يدفعها أبرهة لخزينة الدولة (المترجم) .

[٦] لم يذكر المؤلف سنة التتويج و لا مناسبتها حتى و هي لحظة افتتاح سد مأرب بعد ترميمه مجددا عام ٥٤٥م (المترجم) .

[٧] لم يكن أبرهة تابعا لهم أو واليا يأتمر بأمرهم حتى يدفع الجزية إليهم بل حليفا لهم بينه و بينهم إتفاقيات رسمية تعطيهم بعض الإمتيازات الحصرية في اليمن تحت إشرافه التام (المترجم) .

[٨] الساسانيون (٢٤٠-٦٤٠م) هم آخر سلالة إمبراطورية حكمت إيران في العصور الوسطى قبل سقوطها على يد المحمديين بقيادة سعد بن أبي وقاص عام ٦٤٠م (المترجم) .

الجزيــة الســنوية أيضــا و علــى ولائهــم لحليفــتهم الأعظــم و شــريكهم التجــاري الأول بيزنطــة ، لــذا فنجــاح الغــزو الفارســي للــيمن يعتمــد بدرجــة أساســية علــى ضــعف حكامهــا الســالفي الــذكر الــذين لــن يحركــوا ســاكنا تجــاه هجــومهم المباغت عليهم .

فــي عــام ٥٧٠م[٩] و هــو العــام الــذي ولــد فيــه رســولنا الكــريم (ص) حســبما أعتقــد [١٠]أرســلت فــارس حملــة بحريــة مكونــة مــن ثمانيــة ســفن علــى متنهــا ثمانيــة آلاف جنــدي (ألــف جندي/الســفينة) رســت علــى ســواحل الــيمن الجنوبيــة و إقتحمــوا المنــاطق الداخليــة و تمكنــوا بشــكل نظــامي مــن إســقاط الحكــم الإثيــوبي فــي صــنعاء بمســاعدة مــن اليمنيــين[١١] الــذين حكمــوهم الأكســوميين بالحديــد و النــار و إرتكبــوا بحقهــم مجــازر بشــعة ينــدى لهــا الجبين .

مــا إن علمــت أكســوم بســقوط الــيمن بيــد الغــزاة الفــرس حتــى أدركــت فعــلا بــأن ســلطتها السياســية و العســكرية فــي شــبه الجزيــرة العربيــة قــد زالــت إلــى الأبــد دون أن يــؤثر ذلــك ســلبا علــى نشــاطاتها التجاريــة داخــل الــبلاد و خارجهــا حيــث ظلــت مزدهــرة مــع مكــة المكرمــة و إنتعشــت علــى إثــر ذلــك الحركــة الملاحيــة و نقــل الركــاب الإثيــوبيين مــن تجــار و جنــود و ســفن مدنيــة و عســكرية بــين خلــيج مينائهــا الرئيســي الشــعيبة[١٢] و نظيــره الأكســومي عــدوليس [١٣]، إلا أنهــا ســرعان مــا إنهــارت منتصــف القــرن الســابع المــيلادي

---

[٩] تاريخ الغزو الفارسي لليمن هو عام ٥٧٣م و ليس عام ٥٧٠م كما يزعم المؤلف (المترجم) .

[١٠] المؤلف يشك في تاريخ ميلاد رسولنا الكريم (ص) دون دليل و هو يعلم علم اليقين بأنه ولد عام ٥٧٠م (المترجم) .

[١١] لم يذكر المؤلف من بينهم ملكهم الحميري الذي طلب مساعدة الفرس الساسانيين سيف بن ذي يزن (المترجم) .

[١٢] أصبحت تعرف حاليا بجدة و هي العاصمة الإقتصادية و الميناء الأول للمملكة العربية السعودية (المترجم) .

[١٣] أصبحت تعرف حاليا بمصوع و هي العاصمة الإقتصادية و الميناء الأول لجمهورية أرتيريا (المترجم) .

إثـــر إنتصـــار الإســـلام فـــي شـــبه الجزيـــرة العربيـــة و مـــد المســـلمون نفـــوذهم السياســـي و العســـكري علـــى كامـــل أراضـــيها فـــي القـــرن الثـــامن المـــيلادي[١٤] دون أن تـــؤثر ســـلبا علـــى حركـــة الملاحـــة البحريـــة للســـفن الإثيوبيـــة التـــي ظلـــت تمخر عباب البحر الأحمر و المحيط الهندي ردحا من الزمن .

[١٤] قصد المؤلف بشكل غامض الفتوحات الإسلامية التي شهدتها المحمدية منذ عهد الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه (٦٣٢-٦٣٧م) حتى عهد الخلفاء الأمويين (٦٨٦-٧٤٠م) دون تحديد دقيق و مفصل لها (المترجم) .

إنهيار أكسوم و صعود مملكة الزاجوي :

تبدلت الأوضاع في دولة أكسوم و أضحت معزولة عن منطقة البحر المتوسط و ثقافته العريقة اللذين تركا بصمات راسخة في ثقافتها التقليدية و الدينية و دعم إقتصادها الضعيف لقرون طوال أكثر من ذي قبل ، فلقد خسرت المنطقة الساحلية منها مكانتها الإقتصادية كقطب تجاري مهم في البحر الأحمر و أصاب ميناء عدوليس و غيرها من المنافذ التجارية البرية و البحرية و النهرية الركود البطيء ، و لم تعد الدولة قادرة على تحقيق الإكتفاء الذاتي من عائداتها المالية الناتجة عن ضرائبها الجمركية جراء إنخفاضها الحاد من كساد الحركة الملاحية لموانئها الرئيسية ، و لم يطل الأمر كثيرا حتى ألقى بظلالها السوداء على جيشها النظامي الضخم و جهازها الإداري المعقد و خدماته المدنية و العسكرية .

أضحت ثقافتها و حضارتها المرتبطة بالخارج بسرعة البرق في دائرة النسيان و تقصلت حدود إثيوبيا إلى الداخل بعدما خسرت تحت لواء قواتها الضعيفة الساحل المطل على البحر الأحمر و القدرة على التحكم بطرق التجارة الداخلية و إحتكارها المديد لتجارة العاج و الذهب ، و سعيا وراء إنقاذ نفسها اليائسة من السقوط ، أقدمت هذه الدولة المسيحية على غزو المناطق الجنوبية – الشرقية من بلاد الأجاوة[١٥] الغنية بأراضيها الزراعية بالحبوب .

في مطلع القرن التاسع الميلادي ، برزت مملكة جديدة أسست حديثا في جنوب البلاد على ضفاف نهر بشلو (تعرف حاليا بمنطقة أغنوت ، و

[١٥] هو إقليم مقسم بين الصومال و إثيوبيا تسكنه قبائل الأجاوة الكوشية (المترجم) .

هي تقع بالقرب من والدا ديلانتا غرب وسط إقليم ويلو) تميزت قيادتها الجنوبية بثقافة الإقطاع العسكري عبر تكوين المستعمرات العسكرية و إعتبار سكانها أعضاء مؤسسين إقطاعيين شبيه بالحالة الإجتماعية القائمة على القدرة الإنتاجية لمزارعي الأجاوة وقت السلم الجنود وقت الحرب أيضا حاملين معهم زوجاتهم و أي شئ يساعد في توسيع دولتهم و لكن وفق تعليمات كهنتهم و رهبانهم المتعلقة بإستيعابهم ثقافيا و تهدئتهم روحيا .

سرعان ما نمت و توسعت هذه المملكة الصغيرة عسكريا أكثر من اللازم خلال عشر سنوات (٩٠٠-١٠٠٠م) و سمحت لجنودها المشاة النحيلي الأجساد بأن يشكلوا غالبية قواتها المسلحة و يحتلوا مقدمتها خلال هجماتها المرتدة ، فحسب بقايا المعلومات المدونة في السجلات الملكية الأكسومية أدركنا أيضا بأنهم كانوا في حال حروب مستمرة و مناوشات متقطعة ضد حصونهم الحكومية المعزولة .

تدريجيا خسرت أكسوم مكانتها ، كنائسها دمرت و الآلاف من أتباعها المسيحيين ماتوا ، و إقليم بيجيمير و منطقة جنوب نهر جيما تمردوا عليها و خرجوا عن سيطرتها .

تخبرنا إحدى المراجع التقليدية بأن ملكة الأجاوة جوديث إضطهدت المسيحيين الأكسوميين و حاربت مملكتهم ، و في ضوء الأحداث اللاحقة يتبين لنا بأن شعب الأجاوة الجبليين المحكومين من قبل إمراة قد تمكنوا فعليا من تدمير مملكة أكسوم و قضوا على طبقتها الحاكمة

في نهاية القرن العاشر الميلادي رغم أن ملكتهم لم تعش طويلا لترى كل ما حققه أفراد شعبها السائر على نهجها العقائدي و الفكري .

ظلت الحكومة المركزية لأكسوم على قيد الحياة تدار من قبل ضباط جيش الأجاوة و موظفيها و حثالة المجتمع من أبناء جلدتهم ، فمعظم قادتهم الأكثر نجاحا و تفوقا كانوا أكثر إقبالا على تبني الثقافة السامية و نشرها بين نخبهم الحاكمة ، فمن بين صفوفهم ظهر جيل جديد رائد منهم يمزج بين الثقافتين السامية و الكوشية رغم إحتفاظهم بالتقسيم السياسي و الإجتماعي في أكسوم ، فالحكام الجدد قدموا مما تبقى من مملكتها المسيحية المعروفة بشريط لاستا الجبلي الطويل حيث سرعان ما إعتنق سكانها الأجاوة الدين الجديد و إلتحق نبلاؤهم المحليين بالحكومة الأكسومية التي إهتمت بهذه المقاطعة إهتماما إستراتيجيا لوقوعها على خطوط الإتصال بين شمال البلاد و جنوبها ، فليس من المستغرب أن ينتمي أمراؤها إلى السلالة الأجاوية .

لقد شهد عهد مملكة الأجاوة إستمرار فرض الهوية الإثيوبية على الدولة الناشئة على الرغم من أن سكانها كانوا موضع سخرية و إزدراء من قبل السجلات السليمانية[١٦] الغامضة ، حتى في أوج قوة حكم الأجاوة للبلاد إعتبرهم رجال الكنيسة الإثيوبية مغتصبون حيث نسجوا حولهم أساطير مزيفة تتدعي إنتسابهم إلى نبي موسى عليه السلام ، و لمواجهة الأجاويين أصدر الإمبراطور لابيلا (١١٨٥-١٢٢٨م) أوامره الجديدة ببناء حوالي ١١ كنيسة من الحجارة المنمقة في عاصمة حكمه روها (تعرف حاليا

[١٦] يطلق المؤلف لفظ السجلات السليمانية على المدونات الكنسية الإثيوبية المدونة على الخشب و كتاب الملوك (كبرانجاست) لتعظيمها من شأن السلالة الإمبراطورية في البلاد التي تعود أصولها حسب زعمهم إلى نبي الله سليمان عليه السلام (المترجم) .

بلابـيلا) ، فخطـرت بباله فكرة إقامـة معـالم دينيـة هائلـة تـدعم إيمانـه القـوي تمثلـت بإنشـاء كنـائس حجريـة إنطلاقـا مـن جبـال لاسـتا علـى الـرغم مـن وجـود معابـد مماثلـة أخـرى فـي إثيوبيـا ، إلا أن صـروح روهـا و كنائسـها كانـت تثيـر الدهشـة و لا سـيما نظيراتهـا المنحوتـة فـي الصـخر بسـاحاتها الواسـعة و أروقتهـا الداخليـة المزركشـة بخطـوط هندسـية غايـة فـي الروعـة بطرازهـا الإثيـوبي البحـت ، بـل أن بعـض مـن هـذه الكنـائس كانـت مبنيـة وفـق الطـراز الأكسـومي و الـبعض الآخـر علـى الـنمط الحجـري التيغرينـي[١٧] مشـكلة معـا متحفا للآثار المقدسة هناك .

كـان مـن الصـعب مـن الناحيـة التقنيـة مـزج هـذه الأنمـاط الهندسـية المختلفـة العديـدة المنقطعـة النظيـر فـي قالـب هندسـي موحـد يطبـق علـى الطـرز المعماريـة للكنـائس و المبـاني الإثيوبيـة آنـذاك ، لـذا إسـتقدم الملـك لابـيلا مهندسـي و بنـائي الأريـاف و معـداتهم و أدواتهـم و نظـرائهم المصـريين و الفلسـطينيين لتعميـر أضـخم أحـد عشـر معلمـا هندسـيا فـي بـلاده بـدء مـن ميـدان عـاليم (منقـذ العـالم باللغـة الجعزيـة) و الـذي يبلـغ طولـه حـوالي ٣٣.٥ متـر و عرضـه ٣٣.٥ متـر و إرتفاعـه ١١ متـر و دعمـت صـفوفه الخارجيـة الممتـدة علـى جميـع جوانبـه الأربـع برفـوف مـن الجمالونـات جوانبهـا مغطـاة بـالأقواس المرتبـة ترتيبـا دقيقـا بغايـة الـذكاء فـوق أعمـدتها الصـخرية كافـة مـن اليمـين إلـى اليسـار ، و يوجـد بـداخلها ملجـأ شـمل بـين أروقـه و ممراتـه ميـدان مغطـى مـن الخـارج بالحجـارة المكسـورة و المقسـمة إلـى أربعـة صـفوف مـن الـدعامات أو الأعمـدة السـبعة المسـتطيلة الشـكل و

[١٧] هذا اللفظ يطلق على سكان و لغة قومية التيغراي الموزعين بين إثيوبيا و إرتيريا (المترجم) .

الحجم ، و جدرانها عبارة عن لوحات ضخمة مزينة برسومات أكسومية تذكارية قديمة ، و معظم نوافذها القليلة العدد الواقعة في الأعلى إضاءتها على الدور السفلي خافتة للغاية .

هناك صورة غير مرئية لكنيسة ميدان عاليم تم تصويرها من قبل بول هينز حيث ظهرت جدرانها غير مزينة بالرسوم و النقوش المزركشة الفائقة الجمال كغيرها من الكنائس الأخرى ، و هذا الغموض المرتبط بميدان عاليم أنار لنا الطريق لمعرفة فترة الزاجوي كاملة[١٨] .

فلقد تمتعت إثيوبيا آنذاك بعلاقات تجارية مع مصر و عدن[١٩] ، إلا أن البحارة العرب و المسلمين على ساحل القرن الإفريقي حازوا على نصيب الأسد من الأرباح و المكاسب بين الطرفين و لاسيما فيما يتعلق بتجارتهم الضخمة للرقيق إلى مصر حيث كانوا يستخدمون الإثيوبيين كجنود في الجيش النظامي هناك مقابل تصدير التجار القاهريين و الإسكندرانيين المنسوجات و الأقمشة و البضائع المصنعة إلى ميناء مصوع التي صارت أهم مركز تجاري في أثيوبيا قاطبة آنذاك .

لقد كانت العلاقات بين إثيوبيا و مصر ودية للغاية بالرغم مما يعتري النيل الأزرق المار بهما من نقص حاد لمياهه العذبة النابعة من أسفل شلالات تيسيسات خلال موسم الجفاف ، فضلا عن حل مصر السلطات الدينية و المدنية لسكانها المسلمين و المسيحيين الأقباط لأسباب عدة ، من

---

[١٨] لم يذكر المؤلف نهاية مملكة الأجاوة أو الزاجوي على يد الملك الإثيوبي يكونوا أملاك عام ١٢٧٠م لا من قريب أو من بعيد بالتفصيل الممل (المترجم) .

[١٩] يقصد المؤلف اليمن الجنوبي عن طريق ذكر عاصمتها عدن لحظة تأليف الكتاب (المترجم) .

بينها رفضهم إعطاء الكنيسة الإثيوبية حق تعيين أساقفتها و قساوستها و مساعديهم المدنيين .

أدى نقص الأساقفة الإقليميين إلى إعاقة تطور رجال الدين المسيحيين و بالتالي إنتشار المسيحية معهم ، فنادرا ما كان البطريرك المصري الذي تعينه الحكومة المصرية رئيسا للكنيسة الإثيوبية يفهم لغة سياستها أو ثقافتها الخاصة ، رأى مملكة زاجوي[٢٠] أن تنفصل عن سلطة مصر القضائية المفروضة عليها عن طريق إعلان ولائها لبطريرك أنطاكية[٢١] المينوفيزي[٢٢] ، و بالرغم من كونها مغامرة غير محسوبة إلا أنها كانت واحدة من الأمور التي لفتت أنظار الصليبيين[٢٣] إلى إثيوبيا و جعلتها محل إهتمامهم إيما إهتمام و ربطها بالعالم الغربي بأسلوب رومانسي مشوه للغاية حيث بدأت الأساطير الدينية في اوروبا خلال القرن الثاني عشر الميلادي تروج للناس عن هذا البلد الواقع أقصى الشرق و عن قوته السياسية و العسكرية و ثرواته الخرافية الخاضعة لحكم ملك مقدس من فئة رجال الدين و قائد عسكري فذ من الطراز الرفيع خاض العديد من المعارك ضد أعدائه الفرس و إنتصر عليهم فيها إنتصارا ساحقا ، فالأسقف بريستر جون كما هو معروف عنه للجميع تدينه المسيحي

---

[٢٠] مازال المؤلف يتعامل مع مملكة زاجوي على أنها مملكة مسيحية و هي ليست كذلك بل هي مملكة يهودية الديانة و مارست القمع الوحشي مع بقية الأديان الأخرى كالمسيحية و الوثنية قبل أن يقضي عليها ملك شوا يكونوا أملاك عليها و يستأصل شأفتها عام ١٢٧٠م (المترجم) .

[٢١] مدينة عريقة في تاريخها تقع على ضفة نهر العاصي و تطل على البحر المتوسط تأسست على يد الإمبراطور السلوقي أنطيوخس الثالث في القرن الثاني قبل الميلاد ، كانت فيما مضى جزء من سوريا قبل ١٩٣٤م و هي الآن عاصمة محافظة الإسكندرونة التركية و مقر للكنيسة المارونية و ليس الكنيسة المنوفيزية (المترجم) .

[٢٢] مذهب مسيحي شرقي متشدد ظهر في مصر بالقرن الثالث الميلادي و ينادي بالطبيعة الإلهية البحتة لنبي الله عيسى عليه السلام ، و أتباعه منتشرون في مصر و السودان و إثيوبيا و أرتيريا (المترجم) .

[٢٣] يقصد المؤلف رجال الكنيسة الكاثوليكية في روما و حكام الإمارات الصليبية في سوريا و لبنان و فلسطين و تركيا (١٠٩٦–١٢٩١ م) ، ثم أنه خلط بينهم و بين رجال الكنيسة المينوفيزية و هذا غير صحيح ، فكلاهما عدوان لدودان لبعضهما البعض منذ مجمع كاليدونيا الديني في القرن الرابع الميلادي (المترجم) .

المتشـــدد إدعـــى هيمنـــة المســـيحية و ســـيطرتها علـــى مملكـــة مهـــددة إســـتراتيجيا مـــن الطـــوق الإســـلامي المحـــيط بهـــا إحاطـــة الســـوار بالمعصـــم و تعـــج بشـــعوب غريبـــة و حيوانـــات متوحشـــة و مـــع ذلـــك فـــإن أراضـــيها المتحـــدة تحـــت لـــواء دولة واحدة تنعم بالسلام التام .

هـــذه الرؤيـــة الســـالفة الـــذكر ظلـــت مســـيطرة علـــى تصـــورات الاوروبيـــين حـــول إثيوبيـــا و ســـاهمت فـــي تغذيـــة أطمـــاعهم الدفينـــة حيـــال ثرواتهـــا الخرافيـــة لعقـــود طوال .

خـــلال موســـم الحصـــاد فـــي شـــمال شـــرق شـــوا[٢٤] و أثنـــاء حكـــم الملـــك لابـــيلا ، إزدادت مملكـــة زاجـــوي قـــوة أكثـــر مـــن ذي قبـــل تشـــكلت علـــى إثرهـــا إثيوبيـــا المكونـــة مـــن إقطاعيـــات عســـكرية تحـــت حكـــم إمبراطـــور قـــوي و مهـــيمن عليهـــا ، فـــأحرز الملـــك المـــذكور ســـلفا إنجـــازات ســـنوية عرفـــت النـــاس بـــه علـــى الصـــعيد المحلـــي حيـــث أنشـــأ المحكمـــة العليـــا الإثيوبيـــة للفصـــل بينـــه و بـــين حاشـــيته و تســـوية المنازعـــات السياســـية ، و إرتبطـــت سياســـته الإقتصـــادية الشـــاملة بـــالمزارعين الـــذي إعتـــادوا علـــى إســـتخدام المحاريـــث و الثيـــران لحـــرث و زراعـــة الســـهول العليـــا الغنيـــة بتربتهـــا البركانيـــة الشـــديدة الخصـــوبة صـــيفا خـــلال شـــهري مـــايو و يونيـــو فـــي موســـم البـــذور قبـــل بدايـــة هطـــول الأمطـــار الموســـمية الطويلـــة الأمـــد عليهـــا ، و بعـــد الحصـــاد فـــي شـــهري أكتـــوبر و نـــوفمبر يـــدفع المزارعـــون الضـــرائب الحكوميـــة علـــى القمـــح و المحاصـــيل الغذائيـــة الأخـــرى لســـيدهم الإقطـــاعي المحلـــي الـــذي كـــان يعـــيش مـــثلهم و يصـــنع معظـــم أدواتـــه المنزليـــة و ثيابـــه و أثاثـــه المحلـــي بيديـــه رغـــم إمتلاكـــه

[٢٤] العاصمة الأولى لإثيوبيا قبل عام ١٨٧٧م (المترجم) .

حاشية و بيتا أكبر و أفخم من بيوتهم نوعا ما و كلاهما يحظى بزيارة دورية فخمة من قبل الإمبراطور بجلالة قدره رغم إبتلائهما بقطعان من الجراد الأصفر لدرجة أنه يدفع بلاطهما المتحرك إلى ممارسة دوامه الرسمي متنقلا من مكان لآخر .

و مع ذلك لم يتمكن الزاجوي من فرض الوحدة الوطنية في مملكتهم الواسعة النطاق و الحفاظ عليها ، حتى أنهم لم يتمكنوا من إيقاف الصراع على العرش في موطنهم الأصلي و تحول الرجال و الثروة و المال عنهم و الذين كان بالإمكان تدعيم سلطة الأسرة الحاكمة لو تم إستخدامهم بشكل أفضل من غيرهم ، فعلى سبيل المثال و في أواخر القرن الثالث عشر لم يكن الزاجوي قادرين على السيطرة على مملكة مسيحية صغيرة الحجم تقع شمال إقليم شوا التي إزدهر إقتصادها إزدهارا منقطع النظير جراء تحول طرق التجارة البرية إليها عوضا عن نظيراتها التقليدية الممتدة من لاستا ، فلقد كان الشوانيين[٢٥] محكومين من قبل يكونوا أملاك[٢٦] (ت ١٢٨٥م) الذي يحظى بتأييد مطلق من رجال الكنيسة الإثيوبية بعدما وعدهم بتحويلها إلى مؤسسة شبه مستقلة ، فعندما ثار الشوانيين على مملكة الزاجوي و آخر ملوكها يتباريك الذي ظن بأنه الملك المختار ذو الإيمان العميق من قبل الكنيسة إلا أن الأخيرة ظلت على الحياد بين الطرفين .

و بعد سلسلة من المعارك الطاحنة الممتدة من لاستا إلى بيجيمدير هزم الإمبراطور يتباريك فيها هزيمة ساحقة و يسقط من الحكم إلى الأبد

[٢٥] نسبة إلى إقليم شوا (المترجم) .

[٢٦] تعني سيكون ملكا باللغة الجعزية (المترجم) .

بعدما لقي مصرعه في مذبح كنيسة غايتين الأبرشية على يد الملك يكونوا أملاك الذي أعلن عن نفسه هناك إمبراطورا على البلاد عام ١٢٧٠م .

و مثل أي مغتصب للسلطة ، واجه الملك الجديد مقاومة عنيفة بمجرد أن إستولى على إقليم التيغراي وفقا لتقاليده الأكسومية المتوارثة ، و بدأ و مؤيديه في نسج حكاية أسطورية عن أصله المقدسة المنحدر من سلالة ملك فلسطين نبي الله سليمان عليه السلام و زوجته ماكيدا ملكة سبأ[٢٧] و التي طبعا منحته و سلالته الحاكمة الشرعية التقليدية و القداسة الدينية كأباطرة مقدسين لدى الأثيوبيين لهم و ربطت تاريخ أثيوبيا الوطني و هويتها القومية بهم ردحا من الزمن .

[٢٧] مازال العديد من المؤرخين و المستشرقين الغربيين و من بينهم المؤلف يصرون على إعتبار مملكة سبأ جزء من تاريخ إثيوبيا القديم لا اليمن القديم حيث يعتبرون بلقيس ملكة سبأ اليمنية هي ماكيدا ملكة سبأ الحبشية إعتمادا على المصادر التوراتية لا على الأبحاث العلمية الموثوقة (المترجم) .

العهد الذهبي للسلالة السليمانية (١٢٧٠-١٩٧٤م) :

دام العهد الذهبي للسلالة السليمانية حوالي ١٥٠٠ عام ، فالمادة الثانية من الدستور الإثيوبي الصادر عام ١٩٥٥م تدعي أن السلالة الحاكمة المنحدرة من الملك منليك الأول إبن ملكة إثيوبيا ماكيدا و زوجها ملك فلسطين نبي الله سليمان عليه السلام سلالة مقدسة إلى يوم الدين .

غالبا ما يشتري السياح الزائرين للعاصمة أديس أبابا ٤٤ قصاصة من الرسومات الهزلية المعروفة بالميلاد الأسطوري العريق للسلالة السليمانية المستنبطة من كتاب كبرا نجاسي (مجد الملوك) ، و هو عبارة عن أساطير موسيقية تم تأليفها من قبل قساوسة الأسفار التغرينية مطلع القرن الرابع عشر الميلادي حيث أدعى رئيسهم المطاع يشاق أنه و زملائه ترجموا عن جدارة النسخة العربية للكتاب القبطي[٢٨] الأصلي إلى اللغة الجعزية ، و حقيقة الأمر أنهم مزجوا بين التقاليد الشفهية الإقليمية و المحلية بأساليب و مواد مستمدة من الوصايا العشر القديمة منها و الجديدة بنصوصها المتنوعة الملفقة بتعليقاتها اليهودية و الإسلامية و كتابات البطاركة ، فلقد الغرض الأولي من كتابة كبرا نجاسي هو إضفاء الشرعية على صعود الإمبراطور يكونوا أملاك إلى السلطة عبر ربطه بالسلالة السليمانية حيث تدور معظم سطوره نوعا ما حول أبوة منليك الأول (وفقا للقصة المروية عنه) و الملكة ماكيدا له حيث كانت الأخيرة تفتقر وقتها إلى الخبرة في الحكم عندما نودي بها ملكا لحظة تربعها على العرش في القرن العاشر الميلادي ، إنتابها شعور شديد بالنقص في إداء

[٢٨] كلمة يونانية تعني حرفيا من عاش على أرض مصر و إصطلاحا المصري المتأثر بالثقافة اليونانية القديمة ، و هذا اللفظ يطلق حاليا على أتباع الطائفة المسيحية في مصر (المترجم) .

مهامها ، فقررت السفر إلى عاصمة اليهود[٢٩] القدس بغية الإستفادة من خبرة الملك سليمان في الحكم و حكمته الرشيدة ، فما إن وصلت إلى هناك حتى إستقبلها بحفاوة بالغة في بهو قصره الفخم و وافق من فوره على التعاون معها بأطول فترة مما كانت تتوقعه ، فرغم ثرائها الفاحش إلا أنها عديمة الخبرة حيث ما لبثت أن وافقت على البدء في تعلم أصول إدارة الدولة الشرق الأوسطية التي لقنها إياها بشكل سليم .

لم تكن الملكة الشابة معجبة بالديانة اليهودية فحسب بل إعتنقتها بحماسة مفرطة على يده و منحت هداياها الثمينة من الذهب و التوابل و المجوهرات و الأحجار الكريمة له ، لكن سليمان طلب شيئا أكثر أهمية منهم حيث دعاها إلى عشاء فاخر إحتفالا بقدومها كذريعة ، فلقد طلب من طباخه أن يقدم لها أجود الخمور و يعد لها أطباقا تعج بالتوابل و كلاهما من الأصناف المفضلة لديها ، فبعد تناولهن بغاية السعادة و شربهن حتى الثمالة سقطت في سبات عميق أثناء ما كان سليمان يجتمع بقضاة المياه حيث حملها على حجره و وضعها على أريكتها ، و عندما إستيقظت ماكيدا من نومها إبتلعت بعضا من الماء و سمحت للملك سليمان يفرغ شهوته عليها .

تعرض هذه الرسومات الهزلية كتلة عملاقة تحت السرير و لغد رأسين ينبثقان من خد وجه إمراة متفاجئة تعصر تحت إبتسامة ملامح رجل مبتسم ، أفاق سليمان من نومه في تلك الليلة على وقع رؤيا إلهية من الله

---

[٢٩] يبدو أن المؤلف من أنصار علم الآثار التوراتي حيث يعتبر تاريخ فلسطين القديم تاريخا يهوديا بإمتياز و القدس عاصمة اليهود الإبدية و هذا تزوير للحقائق التاريخية التي تؤكد بأن تاريخ فلسطين القديم تاريخ فلسطيني بإمتياز صنعه الفلسطينيون منذ فجر التاريخ و القدس عاصمة أجداد الفلسطينيين الكنعانيين الذين بنوها في الألف الثاني قبل الميلاد (المترجم) .

تخبره بأن حكمه سينتقل إلى ذريته الجديدة الممثلة بإبنه المولود من رحم زوجته ماكيدا حيث أرسلها نوعا ما معها إلى موطنها الأصلي حتى تنجبه هناك شريطة أن ترسله إلى القدس كي يتعلم أصول الدين و القانون اليهوديين فيها ، و ما إن وضعت ماكيدا ولدها منليك الأول حتى سافر إلى القدس عندما بلغ سن الرشد حيث أسكنه والده معه في قصره و عرض عليه أن وليا لعهده ، إلا منليك الأول إشترط على أبيه أن يعود إلى مسقط رأسه في أرض الوطن ، فما كان من سليمان إلا أن عينه ملكا على إثيوبيا و عين مجموعة من النبلاء الإسرائيليين الشباب خدما و حاشية له التي لم تتمكن من إكمال حياتها معه دون سفينة العهد المقدس التي سرقوها حيث تمت هذه السرقة بموافقة الله عز و جل بعدما رفع الشباب و سفينتهم المقدسة إليه قاطعا بهم البحر الأحمر قبل أن يتم إكتشافهم من قبل سليمان و يأمر قواته المسلحة بمطاردتهم في أرجاء المعمورة .

توضح رسائل كبرانجاسي بأن منليك فضل أبيه على أن يعيش تحت وصاية أمه ماكيدا و إذلالها المستمر له ، ما دفع الله عز و جل أن أسبغ قداسته الروحية على رجل مرسل من قبله ألا و هو سليمان إلى إثيوبيا ليجعله ملكا على إسرائيل خلفا له .

بعد إعتناقهم للمسيحية أضحى الإثيوبيون شعب الله المختار و المقدس و المدعوم من قبل إخوانه المسيحيين كما تزعم الكبرا نجاسي التي أصبحت ملحمة وطنية تمجد السلالة الملكية الإستثنائية و تقاليدها

اليهودية – المسيحية العريقة الغير قابلة للإزالة من إثيوبيا[٣٠]، فوفقا للتقليد اليهودي سيبلغ الثالثة عشرة من عمره كي تثير في نفسه المشاعر الوطنية بالتفرد و تمجيد إثيوبيا و الإعتزاز بهويته المنبثقة من الأساطير الملحمية التي تجعله سليل الأسرة السليمانية و الإلتزام بالقواعد الأساسية في نهضة الكنيسة و الدولة معا المرتبطين بها .

و تحت لواء هذه السلالة الجديدة توسعت إثيوبيا جنوبا مؤكدة على هويتها السياسية المتمثلة باللغة الأمهرية و الكنيسة المينوفيزية اللذين أصبحا العنصرين المكملين لبعضهما البعض في التقاليد الإمبراطورية المهيمنة على الحكم حتى أواخر القرن العشرين ، فلقد كان التاج و الكنيسة مرتبطان ببعضهما البعض برباط وثيق للغاية ظهر جليا خلال عهد الإمبراطور امدا سيون (١٣١٤-١٣٤٤م) الذي كان قائدا عسكريا محنكا و رجل السلطة الخشن و العنيف لسلالته الجديدة الذي خاض غمار الحروب الطاحنة بسرعة البرق ضد أعدائه التيغراي و المجموعات الأثنية المتناثرة في هاديا و دموت و غوجام حيث بدت كما لو كانت بمثابة التحول الجذري من الحكم الذاتي الإقطاعي إلى فرض سيادة الدولة المركزية المستقلة عليها ، و على إثر إنتصاره العظيم على المقاطعات المتمردة ضده أعاد تنظيمه الإداري مجددا لهن بغية تسهيل حكمه المباشر عليهن عن طريق تحجيم سلطاتها القضائية و إخضاعه الإستراتيجي لهن لسيطرة الحاميات العسكرية الإمبراطورية مستخدما نفس الأساليب الممارسة في الأقاليم الجنوبية المحتلة من قبله حديثا

[٣٠] لم يذكر المؤلف بأن الكبرانجاسي و تقاليدها العريقة تم إزالتها من قبل الإمبراطور هيلاسلاسي عبر دستور ١٩٥٥م و النظام الشيوعي الذي أطاح بالملكية المقدسية للبلاد عام ١٩٧٤م (المترجم) .

حيث نشرت جيوشه فيها كتب الإنجيل المقدس بعدما فرضت الأمن و السلام في أرجاء إثيوبيا قاطبة و شددت من قبضة الإمبراطورية عليها ، و ينطبق الأمر على الإقتصاد أيضا حيث إستمرت تجارة الذهب و العاج و الرقيق من الجنوب إلى العاصمة المركزية لإثيوبيا ليتم تصديرها بحرا إلى الشرق الأوسط .

سرعان ما تدفقت السلع الإثيوبية إلى سواحل البحر الأحمر قادمة من ثلاث طرق برية ، الأولى طريق السودان – مصوع الواقعة شمال بحيرة تانا ، و الثانية تمتد من المقاطعات الوسطى عبر إقليم شوا الجنوبي حتى ميناء مصوع أو ميناء زيلع[٣١] ، أما الثالثة فتمتد من المقاطعات الجنوبية من زيلع حتى مرورها بإقليم شوا .

دعا الإمبراطور امدا سيون بمنتهى الذكاء المجتمعات الإسلامية المسيطرة على التجارة و طرقها البرية و البحرية في إثيوبيا و القرن الإفريقي إلى علاقة تعايشية بينهما تضمن إستمرار نشاطاتهم التجارية مقابل إعترافهم مرغمين بسلطته السياسية عليهم حيث ظلوا خاضعين له مقابل دفعه الدائم لضرائبهم المفروضة على السلع المارة بطرقهم البرية و البحرية على حد سواء .

صاغ امدا سيون صيغة براغماتية للإدارة المحلية إستمدها من الإقتصاد الطبيعي و أسلافه الزاجويين و الأكسوميين في بعض الأحيان ، و بإعتباره من الناحية النظرية المالك الفعلي لجميع أراضي البلاد فلقد عين الإمبراطور حكامها الإقطاعيين أتباعا له جديرين بثقته حيث

[٣١] مدينة صومالية على البحر العربي (المترجم) .

أداروا إقطاعياتهم دون قيود منه مقابل دعمه بالجنود و الحيوانات المدربة على القتال خلال فترة الحروب و طلب المساعدة منه و دفعهم الضرائب بكافة أنواعها لحكومته المركزية .

و قـد سـاهمت هـذه الإسـتحقاقات المتنوعـة علـى إسـتيلاء الإمبراطـور التوسـعي التـدريجي مـن منطقـة إلـى أخـرى بمـلء إرادتهـم بعـدما شـملهم بالأراضـي الخصـبة و الأمـن و الغـزوات الماضـية و الـدين و التماسـك الإجتمـاعي بغـض النظـر عـن الجزيـة المفروضـة علـيهم مـن قبلـه ، فبالكـاد كـان هـؤلاء الإقطـاعيون يتمتعـون بسـلطاتهم المحليـة التـي يمارسـونها بإسـم الإمبراطـور و تحـت أنظـار و رقابـة حامياتـه العسـكرية هنـاك ، فطبيعـة الأرض الإثيوبيـة القاسـية الخاضـعة لهـم و صـعوبة الإتصـالات فيهـا جعلـت الملـوك السليمانيين الأوائل غير قادرين على إنشاء سلطة بيروقراطية في دولتهم .

هاملت في حظيرة الإمبراطورية :

بالرغم من إدارة الإمبراطور المرنة للبلاد خلال زمن قياسي في ديمومة إحكام سيطرته عليها عبر أتباعه الإقطاعيين الذين حافظوا بهدوء على مناصبهم الإقطاعية و سلطاتهم القضائية و دفعهم للجزية بإنتظام و تمكنوا من توريثها لأولادهم ، بل إن تشخيص السلطة بات حقا من حقوقهم المتوارثة جيلا بعد جيل .

أما الأراضي المحتلة حديثا فلقد نصب عليها الإمبراطور مجموعة من الإقطاعيين العسكريين الذين إختارهم من وسط جنوده البارزين في جيشه النظامي ، بداية ، كانوا أكثر من مجرد أمراء حرب يتحكمون بإقطاعياتهم العسكرية و يديرونها من خلال مناصبهم القيادية في الجيش النظامي ، لكن مع مرور الوقت أضحت إقطاعياتهم من أهم المراكز التجارية و الإدارية في البلاد .

سعى الإمبراطور امدا سيون في أواخر عهده عام ١٣٤٤م إلى التحكم بجميع أراضي شوا – داموت لقطع الطريق أمام تصاعد نفوذ دول يفعات و هاديا و دوارو الإسلامية التوسعي فيها كي لا يستسلم لهم ، فمنذ العصور الزاجوية و القادة المسلمون سعوا إلى توحيد سلطاتهم القضائية تحت لواء دولة قوية و ضخمة الحجم بغية القتال من أجل الأرواح و الأرض و التجارة ، فقبل حلول عام ١٢٧٠م إستولى يكونو أملاك على المركز الإسلامي في إقليم شوا (يفعات) ، فردت سلطات القاهرة المملوكية على ذلك برفضها إرسال إسقف جديد لإثيوبيا ما أدى إلى إصابة كنيستها الأرثوذكسية بالشلل التام .

بيت الإمبراطور صيداما :

في بحثهم المتواصل عن شرعيتهم السياسية و دعمها ، قبل خلفاء الإمبراطور امدا سيون على الفور الهدنة مع يفعات بعدما شعروا بالضعف أمامها و غاراتها المتجددة ضدهم على طول الحدود وفقا لبعض الآراء ، ما جعل إمبراطورهم يضيق صدرا من إعتداءات يفعات و إعتراضات القاهرة ، فتوصل إلى نتيجة مفادها أنه بإمكانه مواجهة سطوة السلطان المملوكي على بلاده عبر إحكام سيطرته بسكانها المسلمين الذين سيسمحون له طبعا بإدارتهم و فرض الضرائب على تجارتهم المزدهرة ، ففي عام ١٣١٤م ، شن هجوما كاسحا على يفعات و إستولى عليها بسهولة و نهب عاصمتها و نهب و سلب الإمارات الإسلامية الأصغر منها و الواقعة جنوبها و شرقها ، قبل سكانها بسلطته المهيمنة عليهم و وافقوا بشروطه الجديدة و المتمثلة بدفعهم جزية سنوية مقابل منحهم الحكم الذاتي حيث إستخدمت يفعات فترة خضوعها السلمي و إنشغال امدا سيون بقمع التمردات المشتعلة في تيغراي و دموت و دوارو و هاديا و إحتلالها مجددا لبناء جيشها المحلي ، و في عام ١٣٢٠م تفجر نوع من الإهمال الملكي للبلاد ما دفع أمير يفعات صبر الدين بمنتهى الثقة إلى تنظيم جبهة إسلامية موحدة مكونة من الشعوب الرافضة للسيادة المسيحية و المرهقة من دفع الضرائب الباهظة الثمن حيث أعلن من خلالها عام ١٣٣٢م عن الحرب المقدسة ضد الدولة السليمانية و غزو أراضيها و تدمير كنائسها و إجبار أهلها على إعتناق الإسلام ، و ردا على ذلك أعلن أمدا سيون النفير العام في أرجاء إمبراطوريته و شن حملة

عسكرية دموية ضد يفعات و حلفائها ، حتى أنه بدأ أولى معاركه الحربية من الأراضي المنخفضة التي كانت الجيوش الإمبراطورية نادرا ما تتوجه إليها لأنها أراضي قاحلة ، فسرعان ما خسر العديد من جنوده جراء الأمراض و الأوبئة و العطش و الفرار من جبهات القتال ، و مع ذلك إستمر في محاربتهم جميعا و عاقدا العزم على وضع حد للخطر الإسلامي في الحال و إستبدال حكوماتهم المحلية بموظفيه الإمبراطوريين ، فقاد قواته إلى النصر الحاسم بعدما راوغ أعدائه و هاجم الوحدات الأضعف في جبهتهم الإسلامية دون أن يسمح لهم أبدا أن يردوا عليه بهجوم مضاد شامل ، وضع لجيشه المندفع حدودا لقوته المفرطة حتى بعد هزيمته لوحدات العدو الأقوى و المكونة من جنودها البدو الشديدو المراس .

كان تأثير هذه الإنتصار عليه عظيما حيث ساهم في فرض شخصيته الكاريزمية و هيبته كقائد ملهم على جميع أنحاء البلاد التي توحدت تحت لوائه و تدور حول فلك إمبراطوريته العظمى ، كما وصلت أصداءها أيضا إلى القوى المسيحية المناوئة له في وادي اواش و ما حولها ، و على إثر هزيمتهم أمامه ، إستنجد مسلمو يفعات بمصر المملوكية طلبا لمساعدتها ، و لم يكن مفاجئا أن يؤسس أبونا يعقوب حركته المسلحة في إثيوبيا لمقاومة امدا سيون و نجاحه العظيم عام ١٣٣٧م حيث شرع المطران الجديد على الفور في تكريس رجال الدين الذين كانوا في أمس الحاجة إليهم وتكريس الكنائس التي بُنيت قبل سنوات. وباعتباره إنجيليًا متحمسًا، نشر أبونا يعقوب فيلقًا من الرهبان في الإمبراطورية المحتلة

حــديثًا. وكانـــت الأهـــداف الواضـــحة هـــي وســـط وجنـــوب شـــيوا ودمـــوت (جوجــام) وبيتــا إســرائيل المنــاطق التــي يســكنها (الفلاشــا) فــي بيجمــدير، والتــي قســمها الأســقف وخصصــها لرهبــان معينــين. كانــت مهمــتهم محــددة لهــم، حيــث عملــوا بــين النــاس المتــدينين، الــذين حــارب كهنــتهم وشماســيهم بشــدة للإحتفــاظ بــولائهم. قُتــل أو جُــرح العديــد مــن الرهبــان علــى يــد أولئــك الــذين ســعوا إلــى تحــويلهم، خاصــة وأن المتطفلــين إختــاروا بنــاء الكنــائس علــى المواقــع المقدســة التقليديــة. ومــع ذلــك، فــاز المبشــرون فــي النهايــة، بنفس الطرق التي انتصر بها المبشرون المسيحيون دائمًا .

الصراع الكنسي مع السبتيين :

لقد كان هؤلاء الرهبان من بين أولئك الذين عملوا بين الناس المتدينين، الذين حارب كهنتهم وسحرتهم بشدة للحفاظ على ولائهم. وقد قُتل أو جُرح العديد من الرهبان على يد أولئك الذين سعوا إلى تحويلهم، وخاصةً أن المتطفلين اختاروا بناء الكنائس على المواقع المقدسة التقليدية. ولكن في نهاية المطاف، فاز المبشرون بنفس الطرق التي نجح بها المبشرون المسيحيون دائمًا، من خلال العمل الجاد والإيمان والمثابرة؛ من خلال إقناع النخب المحلية بأن التحول يضمن الاستمرار في المنصب؛ ومن خلال تجاهل بعض الممارسات الشعبية مثل السحر أو السحرة أو التفاني في الأرواح المنزلية لبعض الوقت. وعلى المدى الأطول، أصبح الناس أكثر تقليدية مسيحيين ولقد استوعبت مناطق الفتح بدرجة أكبر أو أقل في قلب سليمان .

كانت جودة المسيحية موضع إهتمام كبير لدى الرهبان الأكثر حماسة، الذين سعوا إلى دعم النغمة الأخلاقية للكنيسة وعقيدتها. وفي منتصف القرن الرابع عشر، صاغ الأب إيوستاتيوس (حوالي ١٢٧٣-١٣٥٢م) ، وهو رئيس دير في سراي، أيديولوجية رهبانية جديدة أكدت على أن الإستقلال الروحي يستلزم العزلة عن تأثيرات الدولة المفسدة. و إتهم رجال الدين العلمانيين بالإنحلال الأخلاقي والأرستقراطية، بالفساد من خلال المشاركة في تجارة الرقيق المربحة إلى شبه الجزيرة العربية والسودان ومصر "لقد صاح رئيس الدير بصوت عالٍ قائلاً: "يجب على

الشعب والكنيسة أن يعودوا إلى التعاليم العظيمة للكتاب المقدس، بما في ذلك مراعاة السبت لتكريم العهد القديم .

وفي الوقت نفسه، لم يقبل أتباعه أموالاً من أمراء الغول ولا دفع الجزية وغيرها من الرسوم التقليدية ، فسرعان ما توحدت مؤسسات الكنيسة والدولة لحماية مصالحها وهاجمت مفاهيم إيوستاتيوس التي تمسكت بها بعناد، لكن بره حصنه ضد الإفتراء وحصنه عقله ضد العقيدة التقليدية. وبعد أن تفوق عليه في الحرب اللاهوتية، إعتبره خصومه منحرفًا وفقًا لحرمة كنيسة الإسكندرية في القرن الثالث عشر لعادات العهد القديم. ولقد تعرض إيوستاتيوس وأتباعه للاضطهاد الشديد، وأُرغم الزعيم العنيد على النفي أولاً إلى الأراضي المقدسة ثم إلى أرمينيا هناك حيث توفي في عام ١٣٥٢م .

وفي إثيوبيا، رُفِضَت سيادة السبتيين حيث طُردوا من الأديرة والكنائس وطُردوا من البلاط الملكي أيضا، كما تم تخفيض رتبهم أو طردوا من المناصب الرسمية، بل و أُرغموا على مغادرة المدن والمناطق المأهولة ، و إنسحب المتعصبون إلى مناطق نائية في شمال شرق إثيوبيا حيث شكلوا مجتمعات معزولة هناك ، وربما كانت بعض المستوطنات في بيجمدير قادرة على "تطهير" مسيحيتهم إلى حد العودة إلى شكل من أشكال الديانة اليهودية ، ولا يوجد تفسير آخر يفسر الإيمان الفريد الذي سبق التلمود لدى بيتا إسرائيل، والذي تكثر فيه الإقتباسات المسيحية الإثيوبية.

ولكن في الغالب، كان الكهنة ورؤساء الأديرة العلمانيين الأقوياء هم الذين ضمنوا إستمرارية ممارسات إيوستاتيوس حيث كان السبتيون مملوئين بحماسة دينية فاضت في الأنشطة التبشيرية بين المجتمعات غير المسيحية المجاورة. وفي غضون بضعة أجيال، إزدهرت جماعة إيوستاتيوس بشكل لم يسبق له مثيل، وانتشرت أديرتهم ومجتمعاتهم، التي يهيمن عليها ديبري بيزن في المرتفعات الإريترية ، و قد أثار نجاحهم في تحقيق الرخاء بينما كانوا منبوذين قلق المؤسسة الرسمية ، وفي عام ١٤٠٠م ، تحرك الإمبراطور داويت الأول (حكم من ١٣٨٠م إلى ١٤١٢م) للسيطرة على الخارجين عن القانون ، ودعا السبتيين إلى المحكمة للمناقشة ظاهريًا للبحث عن تسوية، بينما كان في الواقع هو وأبونا بارتولوميووس (١٣٩٩-١٤٣٦م) يريدان التوافق فقط. وقد دافع زعماء السبتيين، بقيادة أبا فيليبوس من ديبري بيزن، عن قضيتهم بشجاعة كما فعل إيوستاتيوس قبل قرن من الزمان غافلين عن أي إحتمال للخيانة. لقد رفضوا مراراً وتكراراً إنكار السبت ، ما دفع الأب المحبط منهم إلى سجن الأب فيليبوس و رفاقه الآخرين .

إعتقد العديد من رؤساء الدير الملتزمين أن الحركة التي أصبحت بلا قائد ستتبدد، لكن طبيعتها المحلية ضمنت بقاءها بين الجماهير. تطور الإنقسام في الكنيسة إلى هوة اجتماعية، مما وضع الحكام في مواجهة حركة جماهيرية حيث أثبتت الأيام بأن سجن الأب فيليبوس كان خطأً فادحًا، وهو ما إعترف به داويت في عام ١٤٠٣م ، عندما أمر بالإفراج عنه ظاهريًا للإحتفال بأحد إنتصاراته العسكرية على المسلمين .

بحلول ذلك الوقت، كانت مشاعر القومية المسيحية مرتفعة، وكان من السهل والسياسي للإمبراطور أن يسعى إلى تسوية مع الأيديولوجية المحلية ، فأصدر مرسومًا يسمح للأيوستاتيين بمراعاة السبت والعودة إلى أنشطتهم الطبيعية، بما في ذلك التبشير. ولكن على نحو متناقض، قرر أن يحافظ في البلاط على وجهة النظر الإسكندرانية التي ترى أن الأحد هو السبت الوحيد .

وتمكن خليفة داويت، الإمبراطور زارا يعقوب (حكم من ١٤٣٤م إلى ١٤٦٨م) في النهاية من دمج الكنيسة والدولة المنقسمتين في وحدة واحدة. وكان تعليمه الممتاز في مدرسة ديرية إريترية رائدة قد جعله حساساً للقضايا المتعلقة بالجدال حول السبت. وبعد أن شهد النمو المذهل للجماعة الإثيوبية بعد مرسوم داويت بالتسامح، أدرك زارا يعقوب أن قناعتهم النشطة لابد أن تُستغل لتجديد الكنيسة كوسيلة للوحدة الوطنية .

خلال القرنين الماضيين، إجتذبت المسيحية الإثيوبية بلداناً بأكملها من المتحولين من لغات وثقافات مختلفة. وقد خدمتهم العديد من الأديرة والرعايا الجديدة التي إنتشرت في المشهد من الشمال إلى الجنوب، ونشرت رسائل مختلفة في كثير من الأحيان. حتى في البلاط كان رجال الدين يعرضون وجهات نظر متعارضة : وقف الأب، والهرمية، و رجال الدين العلمانيون مع الكنيسة الإسكندرية ، لكن القساوسة والرهبان الملكيين علموا قداسة السبت ، وعلى الرغم من أن عناد الإيوستاتيين قد

أكسبهم الإعتراف والشرعية، إلا أن رهبانهم إستمروا في رفض إنضباط الكنيسة.

لقد حانت لحظة التسوية عندما توفي أبونا بارتولوميوس في عام ١٤٣٦م حينما طلب زارا يعقوب إثنين من الأساقفة للمساعدة في إصلاح الكنيسة، وأرسلت أبرشية القديس مرقس بكل سرور الأبوين المشاركين ميكائيل و ناقشوا مع الإمبراطور بصراحة مشاكل الكنيسة و الحاجة الملحة إلى التوحيد اللاهوتي ، فلقد نصح زارا يعقوب الأساقفة المشاركين بأن قبول الإسكندرية للرأي الإثيوبي بشأن السبت من شأنه أن يعيد الوحدة الدينية ، و إستنتج أنه بمجرد إقرار الكنيسة بهذه النقطة ، فسوف يتعين على الإيوستاتيين قبول الكهنوت و الإنضباط الأسقفي .

وفي غضون ذلك، سافر زارا يعقوب إلى أكسوم في عام ١٤٣٦ لتتويجه وبقي في الشمال لمدة السنوات الثلاث التالية. وكان هدفه الرمزي هو التعريف بنفسه ودولته بالإمبراطورية الإثيوبية الأولى، ولكن التيجان التي أقيمت في كنيسة مريم بأكسوم كانت نيته الحقيقية هي البدء في المصالحة مع الإيوستاتيين ، وكان دفعهم للمستحقات الإقطاعية للإمبراطور بمثابة إشارة إلى نهاية الإنقسام بين المارقين والنخب الحاكمة، على الرغم من أنه لم يكن حتى١٤٥٠م في مجمع ميتماك أن وافق الأسقفان ميكائيل وجبرائيل على مراعاة السبت ووافق السبتيون على الكهنوت ، ومع رئاسة زارا يعقوب ، أضفى الحدث طابعًا رسميًا على أهمية التاج في تعزيز المصالحة الوطنية والإصلاح.

وبما أن التحدي الإسلامي كان في بعض الأحيان حقيقة واقعة وتهديدًا دائمًا، فقد واصل زارا يعقوب صياغة المسيحية في خط الدفاع الداخلي الرئيسي لإثيوبيا. فعمل رجال الدين والملك معًا على خلق إيديولوجية لدولة موحدة، وهي الفكرة التي نشرها العديد من الشمامسة والكهنة الذين تم تعيينهم حديثًا من قبل أسقفي زارا يعقوب. وفي المناطق الأكثر بعدًا، خصص الإمبراطور وهبًا سخيًا للأديرة والكنائس، ومنح الأراضي من الممتلكات المصادرة من الحكام المهزومين. حتى رجال الدين والرهبان الأكثر تطرفًا تم دمجهم في الإقتصاد السياسي، مما أدى إلى مزيد من توحيد الكنيسة والدولة. كان زارا يعقوب زعيمًا عظيمًا لإثيوبيا. كان ثابتًا بشكل ملحوظ في العمل من أجل وحدة إثيوبيا من إريتريا جنوبًا عبر شيوا إلى بلاد صيداما حيث كانت الخيارات التي إتخذها – المسيحية والإقطاع – عقلانية، بل حتمية، من حيث التضاريس و الإتصالات، وأدت إلى حكم سلمي ومزدهر إلى حد كبير.

كان الإمبراطور آمنًا بما يكفي لإنشاء عاصمة دائمة في شمال شوا في ديري بيرهان (جبل النور)، على هضبة قاسية وباردة وتعصف بها الرياح تعكس زهد الإمبراطور المشهور و خلال إقامته هناك لمدة أربعة عشر عامًا، أسس قصرًا كبيرًا وهب الكنائس، وبنى الماكويننت (النبلاء الكبار) ورؤساء الأديرة فيلات ، إجتذبت احتياجاتها الحرفيين والعمال والمزارعين والتجار. وباعتبارها أول مدينة رئيسية في إثيوبيا منذ قرون ، فقد جذبت المعلمين والعلماء من جميع أنحاء الإمبراطورية؛ حتى زارا يعقوب شارك في حياتها الثقافية الغنية من خلال إقراض اسمه للعديد من الكتيبات

الدينية ، حتى أن العاصمة الجديدة جذبت إهتمام العالم الخارجي، و هي النتيجة التي أسعدت الإمبراطور.

كان لديه وعي نشط، وإن كان غامضًا، بالوقت الذي كانت فيه إثيوبيا معروفة في العالم الخارجي وكان مهتمًا باستعادة العلاقات الدولية لبلاده، وخاصة مع القوى المسيحية .

كان الإثيوبيون يغامرون بالذهاب إلى القدس كثيرًا خلال القرن السابق، لفتح إتصالات مع إخوانهم في الدين[٣٢] ، كان الغرب بالطبع محتارًا برؤيته الجذابة و إن كانت مشوهة ، لإمبراطورية القس يوحنا، لكن الوصول إلى القرن الأفريقي كان مسدودًا بسبب تصميم حكام مصر على عدم السماح للأوروبيين بالسفر إلى إثيوبيا، خشية أن يبيعوا الأسلحة النارية الحديثة للأباطرة ، طوال عام ١٤٤٠م حاول زارا يعقوب كسر قبضة المسلمين على الوصول إلى إثيوبيا .

[٣٢] يدعي المؤلف هنا بأن المسيحيين الإثيوبيين كانوا ممنوعين من زيارة القدس الشريف من قبل المسلمين و لاسيما حكامها المماليك في مصر و هذا غير صحيح حيث كانوا ينتقلون بحرية تامة إلى هناك و يقيمون كنائسهم فيها أيضا (المترجم) .

ممالك الطراز الإسلامي (١٣٤٨-١٥٤٨م) :

في الشرق، قاد المسلمين أدال، خليفة يفعات المتشدد حيث كان قادرًا على السيطرة على طرق التجارة المؤدية إلى الساحل عند زيلع من مقاطعات إثيوبيا ذات الأغلبية المسلمة في يفعات، وفاتاجار، وداوارو، وبالي. من وقت لآخر، وعادةً عندما تكون العلاقات الإثيوبية المصرية متوترة، دخل فرسان أدال الصومالية والعفرية عالية الحركة الأراضي السليمانية، وبالتعاون مع إخوانهم المسلمين، خاضوا حرب عصابات ضد الحاميات المسيحية ، أصبح أدال مقلقًا بشكل خاص في أواخر ثلاثينيات القرن الخامس عشر تحت قيادة أحمد بادلاي، وهو زعيم طموح ومتحمس جسد الطبيعة العسكرية المتزايدة للإسلام الإثيوبي.

بين عامي ١٤٤٣م و ١٤٤٥م أدار حملات عسكرية قاسية وإن كانت متقطعة في مقاطعات إثيوبيا ذات الأغلبية المسلمة قبل أن يسقط في معركة داوارو، وبالتالي كسر معنويات جيشه تماما .

في مقابل السلام، أُجبرت أدال على دفع جزية باهظة ولكن سُمح لها بالإستمرار تحت حكم حكامها حيث كانت المنطقة شاسعة للغاية بحيث لا تستطيع الحكومة الإمبراطورية تحصينها بالكامل ، وكان سكان المرتفعات[٣٣] يكرهون العيش بين المسلمين في البلاد الحارة الجافة. وبما أن زارا يعقوب سعى إلى الوصول الكامل إلى البحر، فقد نظر شمالاً إلى

[٣٣] ليس جميع سكان المرتفعات الإثيوبية من المسيحيين فقط بل كان من بينهم مسلمون و وثنيون أيضا (المترجم) .

ساحل البحر الأحمر بالقرب من المرتفعات الوسطى التي يسكنها المسيحيون في تيغراي .

في عامي ١٤٤٨م و١٤٤٩م أقام مستعمرات عسكرية في ما يُعرف اليوم بإريتريا، أعاد تنظيم المرتفعات في إدارة واحدة تحت "حاكم البحار" (بحر نجاش)، ثم هاجم الإمارات الإسلامية في مصوع وعلى جزر دهلك[٣٤] ، كما قام بتجديد الميناء القديم في جيرار، مقابل مصوع ، وحول كل تجارة المرتفعات هناك .

وقد شقت أخبار نجاح زارا يعقوب طريقها إلى اوروبا، مما أدى إلى تلميع بريق القس يوحنا الزائف. وقد بالغ بعض الغربيين في تقدير أهمية إثيوبيا، التي كانوا يأملون أن تدمر القوة الإسلامية في مصر والجزيرة العربية وحتى سوريا. ولذلك رحب زعماء أوروبا ببعثة أرسلها زارا يعقوب في عام ١٤٥٠م ، وكان وصولها إشارة أخرى إلى أن الإمبراطورية السليمانية كانت ترغب في كسر الحصار الإسلامي وعزلتها ، فسعى الإثيوبيون إلى الحصول على المساعدة الفنية، والتي كان الغرب على إستعداد لتقديمها إذا تم تأمين السفر. ويبدو أن بعض الحرفيين وصلوا إلى ديبري بيرهان ، ولكن المصريين تمكنوا من إبعاد معظمهم. وكان أحد الأوروبيين الذين تركوا بصمة لا تمحى على إثيوبيا هو الرسام نيكولو برانكاليوني الذي أثر أسلوبه السلس في عصر النهضة على الفنانين الإثيوبيين التقليديين في تطعيم نماذج أكثر طبيعية للوجوه والأجساد على المشاهد الدينية التي كانوا يصممونها مسبقًا. وفي الوقت نفسه، أصيب

[٣٤] جزر أرتيرية تقع على البحر الأحمر (المترجم) .

فــن الحكـــم والسياســـة بــالجمود، مـــع احتمـــالات خطيـــرة للمســـتقبل ، كـــان الخطـأ يكمـن فـي الغالـب فـي طبيعـة النظـام الملكـي والمؤسسـات الداعمـة لـه حيـــث كانـــت الخلافـــة مشـــكلة دائمـــة ، فلـــم يكـــن هنـــاك مفهـــوم للبكوريـــة، وكـــان بإمكـــان الملـــوك الإختيـــار مـــن بـــين أبنـــائهم الـــذكور، ممـــا تســـبب فـــي المـــؤامرات والمشـــاحنات والحـــرب الأهليـــة ، ولضـــمان الهـــدوء، كـــان الأبـــاطرة يخزنـــون منافســـيهم المحتملـــين فـــي أمبـــا جيشـــان، وهـــي قلعـــة جبليـــة شـــديدة الإنحدار ذات قمة وعرة مع مدخل واحد فقط حراسة مشددة .

عنـــد وفـــاة أحـــد الملـــوك تجتمـــع لجنـــة خاصـــة مـــن رجـــال الـــدين والمســـؤولين الكبـــار و تختـــار خليفـــة مـــن خزانـــة الملفـــات الأميريـــة. ومـــن الواضـــح أن العمليـــة لـــم تكـــن بهـــذه البســـاطة بـــل كانـــت تســـتند إلـــى إعتبـــارات عائليـــة وسياســـية و إقتصـــادية و عســـكرية عليـــا ، علـــى ســـبيل المثـــال، أصـــبح زارا يعقوب إمبراطورًا لأن الجيش خلص إلى أنه سيكون قائدًا عامًا جيدًا .

ربمـــا كانـــت عمليـــة الإختيـــار تعمـــل بطريقـــة تقريبيـــة لتحديـــد أفضـــل مرشـــح للمنصـــب ولكنهـــا كانـــت تخلـــق دائمًـــا فصـــائل متنافســـة عليـــه وتســـتغرق وقتًـــا طـــويلاً و تتـــرك الإمبراطـــور الجديـــد بمهمـــة صـــعبة تتمثـــل فـــي توطيـــد الســـلام ، كـــان الإنقســـام الـــدوري فـــي المركـــز يقابلـــه قـــوى طـــاردة عـــن المركـــز علـــى هـــامش الســـلطة السياســـية الســـليمانية ، وبحلـــول القـــرن الســـادس عشـــر، أصـــبحت إثيوبيـــا دولـــة إقطاعيـــة متعـــددة الأعـــراق تتمركـــز فـــي المرتفعـــات الشـــمالية الوســـطى بـــين أشـــخاص يشـــتركون فـــي تقـــارب ثقـــافي و إقتصـــادي ولغـــوي ودينـــي. كانـــت المنطقـــة الأساســـية محاطـــة بمقاطعـــات تـــم غزوهـــا مـــؤخرًا إلـــى حـــد مـــا حيـــث كـــان ســـكانها مســـيحيون فـــي الظـــاهر علـــى الأقـــل

وكانت إدارتها تشبه الحكومة في المقاطعات التقليدية ، وعلى المحيط الخارجي كانت هناك دول تابعة كان حكامها التقليديون يرأسون شعوبًا مختلفة ثقافيًا ودينيًا و إقتصاديًا عن شعوب القلب والمناطق المحيطة به ، وكلما حدثت أزمة أو عدم إستقرار ملكي، أو وفاة أو خلافة بدأت الدولة بمن فيها قلبها المركزي في الإنكماش .

غالبًا ما أدى الخلاف السياسي إلى تآكل الوحدات الهشة للدين واللغة والتقاليد و الإقتصاد والأساطير و إستمر معظم شعوب إثيوبيا في التفكير محليًا، وبالنسبة لهم، كانت الدولة في أفضل الأحوال كيانًا غامضًا يتجلى فقط في مطالبته بالضرائب ، وبالتالي كانت الوحدة نتيجة للحكم القوي لا أكثر ، وكان خلفاء زارا يعقوب ضعفاء ، لقد أدى عدم الإستقرار الأسري إلى فترات حكم قصيرة، وملوك شباب عديمي الخبرة، ومستشارين ملكيين طموحين، من بينهم الملكة الأرملة إيليني التي كانت شخصًا ذكيًا بشكل إستثنائي حيث نقلتها مواهبها السياسية من حريم زارا يعقوب إلى منصب مؤثر في البلاط أثناء حكم بايدا مريم (١٤٦٨–١٤٧٨م) .

كانت غاياتها الإنفصالية المنتمية لموطنها الأصلي هاديا متناغمة مع محيط إثيوبيا من الأطراف حيث كانت تعتقد أن أفضل حكومة إمبراطورية هي الحكومة الفيدرالية ، و تماشياً مع هذا التفكير، تجاهل بايدا مريم آليات الحكومة المركزية التي تأسست أثناء حكم زارا يعقوب. في المقاطعات، حل محل أنصار والده المختارين بعناية بأحفاد العائلات

والعشائر والسلالات المهمة محليًا ، و في البلاط، نقل السلطة على الأعمال اليومية للحكومة إلى البيتوودس (حرفيًا، "الأحباء") .

لقد سُمح لدبري برهان بالعمل المتواصل بينما سلكت بايدا مريم الطريق بحثًا عن القوت بدلاً من الإصرار على تسليم الجزية والضرائب إلى موقع مركزي. وفي حين كانت أوروبا الغربية في القرن الخامس عشر تعيد إختراع المدينة وآليات السوق المرتبطة بها والتي من شأنها أن تطغى على الإقطاع، كانت إثيوبيا تبطئ قوى التغيير وتعزز عملية الإنقسام.

لقد أدى إضعاف الدولة المركزية إلى تقليل تدفق الإيرادات، والتي كان من الممكن أن تحتفظ السلطات المحلية بالمزيد منها مع إنسحاب الحاميات الإمبراطورية أو تدهورها ، و قد أدى انحدار الملكية السليمانية، في المرتفعات الوسطى، إلى الهرطقة المسيحية، والصراع الإجتماعي، و الإحتكاك بين رجال الدين والتاج ، و بالتالي إضعاف المحور المركزي للدولة ، و على العكس من ذلك ، كان إنحدار الدولة السليمانية مفيدًا للدول الإسلامية التي عانت طويلاً ، و التي تجنبت بشكل متزايد دفع الجزية ونسبة مئوية من أرباح التجارة للمسيحيين المكروهين بالنسبة لهم .

لقد إزدادت قوة عدال بشكل متزايد حتى تمكنت من هزيمة الجيوش المسيحية قاطبة في يوم من الأيام ، فعلى سبيل المثال، قُتل الإمبراطور ناؤود (١٤٩٤-١٥٠٨م) وهو يحاول إخراج مقاتلي عدال من يفعات، حيث تم الترحيب بهم من قبل سكانها المسلمين ، لقد فشلت الدولة المسيحية في إرضاء تطلعات رعاياها المسلمين، الذين ظلوا عرضة للتعبئة

الخارجيـــة. ومـــع ذلـــك، لـــبعض الوقـــت، كانـــت العاصـــفة المحتملـــة مخفيـــة بسبب الحكم الناجح للإمبراطور لبنى دنجل (١٥٠٨ – ١٥٤٠م) .

إنحدار الأسرة السليمانية حتى عام ١٧٦٩م :

كـان لبنـي دنجـل محظوظـاً عنـدما كـان طفـلاً لـم يبلـغ الحلـم بعـد ، فلقـد إعتلـى العـرش وهـو فـي الحاديـة عشـرة مـن عمـره فقـط، و لكـن إيليني المسـنة كانـت تتعامـل مـع صـولجانها الإمبراطـوري بحكمـة كافيـة لضـمان بقائـه. وعـلاوة علـى ذلـك و بفضـل المشـاحنات الداخليـة فـي عـدال تمكنـت الدولـة المسـيحية مـن إحتـواء توغلاتهـا العسـكرية ، بـل و حتـى التقـدم إلـى الأراضـي الإسـلامية والفـوز بـبعض المعـارك الكبـرى ضـدها و لكـن تحـت السـطح حيـث كانـت الضـغوط الداخليـة و الخارجيـة تتـراكم عليـه و التـي مـن شـأنها أن تتفجـر فـي كارثـة للإمبراطوريـة السـليمانية ليكـون مصـير لبنـي دنجل الشاب اليافع أن يتحمل مسئولية المأساة المرتقبة للبلاد .

لقـد كـان الإنفجـار الإسـلامي فـي المملكـة المسـيحية قيـد التجهيـز منـذ فتـرة طويلـة و كـان الصـراع بـين الصـليب والهـلال يـوفر التبريـر الإيـديولوجي لإشـعال الحـرب بينهمـا ، و كانـت المنـاطق المحيطـة بإثيوبيـا التـي تعـاني مـن سوء الإدارة و الإستغلال بمثابة ساحات المعارك لها لعدة قرون .

سـعى البـدو الرحـل غيـر المسـيحيين فـي إثيوبيـا إلـى تـرك أراضـيهم المنخفضـة وصـحاريهم إلـى الهضـاب المرتفعـة الصـحية المجـاورة ، و كـان الطلـب علـى المزيـد مـن الأراضـي ينبـع مـن حاجـة الرعـاة إلـى المزيـد مـن المراعـي الأفضـل لقطعـانهم وذريـتهم و علـى مـر السـنين ، صـعد بعـض الرعـاة، وخاصـة بـين الأورومـو الجنـوبيين إلـى المرتفعـات ، فـي الغالـب ليـتم ترويضـهم وطـردهم مـن قبـل الجيـوش المسـيحية أو حاميـات الحـدود و بـين القـرنين الثالـث عشـر والسـادس عشـر، نمـت مشـكلة الإكتظـاظ السـكاني

والرعــي الجــائر بــين الصــوماليين وعفــار فــي شــرق إثيوبيــا. وأدى الضــغط فــي البدايــة إلــى شــن غــارات علــى حفــر الميــاه وســرقة الحيوانــات، ثــم إلــى زيــادة الطلب على الأراضي .

ولقــد كــان مــن الواضــح أن هــذه الأحــداث كانــت ســبباً فــي نشــوء صــراعات قبليــة ثــم فــي النهايــة إلــى حركــة الســكان ، ولكــن النــاس فــي ســهول أوســا-أواش وفــي مرتفعــات شيرشــر-هريــر لــم يكونــوا ليفهمــوا أن وجــودهم كــان مضــطرباً بســبب الضــغوط الســكانية التــي شــعر بهــا أشــخاص غيــر معــروفين يعيشــون فــي أقصــى الشــرق وعلــى مقربــة مــن الســاحل ، لقــد لاحظــوا فقــط قدراً غير عادي من الإضطرابات السياسية .

لقــد كــان هنــاك دائمــاً نــزاع سياســي فــي الــدويلات المســلمة الصــغيرة والصــغيرة فــي إثيوبيــا بــين البراجمــاتيين والمتعصــبين ، فقــد إختــار البراجمــاتيون العمــل مــع الملكيــة المســيحية، فــي حــين فضــل المتعصــبون نشــر كلمــة النبــي ، و فــي أوائــل القــرن الســادس عشــر، أدت الاختلافــات بــين المجمــوعتين إلــى هــزائم مذلــة علــى يــد جيــوش لبنــى دنجــل والصــراعات الأهليــة التــي أعقبــت ذلــك فــي عــدال حيــث تآكلــت الحماســة الدينيــة للدولــة الإســلامية و أصــبحت هــاتير كمــا تــزعم التقاليــد مركــزاً للفجــور والفوضــى. وعنــدما تراجعــت التجــارة، طالــب النــاس بقيــادة جديــدة ،كــان مــن المفتــرض أن يكــون منقــذ عــدل هــو أحمــد بــن إبــراهيم الغــازي (١٥٠٦-١٥٤٣م) ، المعــروف لــدى الإثيــوبيين بإســم أحمــد "جــران" ("الأعســر"). وقــد حــارب فــي صــفوف الســلطان جــارد أبــون مــن عــدل (١٥٢٢-١٥٢٥م) الــذي ســعى

خلال سنوات حكمه القليلة إلى فرض التطهير الإسلامي على شعبه المتناحر .

وقد نال الطريق الصالح إعجاب أحمد المتدين، الذي نشأ على أيدي أقاربه المتدينين في جلديسا، إحدى الواحات الرئيسية على طول الطريق التجاري إلى زيلع. ورغم أن إسلامه كان الأكثر صرامة وعقائدية، وتأثر بشدة بانضباط الصحراء، إلا أنه كان مخففًا بفهمه للتجارة ، و عندما أغتيل جارد أبون، وجد أحمد حكم المسلمين العلمانيين مثيرًا للإشمئزاز. ولقد إعتزل الريف وحث إخوانه على الإنضمام إليه في إعادة الدولة إلى الممارسات الإسلامية الأصيلة و بصفته إماماً ، كانت رسالته النارية وطريقة تقديمه الكاريزمية تلهب حماس جمهوره، وسرعان ما جند قوة متحمسة وإن كانت غير منضبطة من رجال القبائل للقتال ضد العدو المتراجع و ما لبثت أن سقطت عدال في قبضة جيش أحمد ، و لكن الجنود المليئين بالكنوز والحكايات ، و سرعان ما إنسحبوا منه ليعودوا إلى قطعانهم وأسرهم .

وقد عزم أحمد على إستعادتهم بإعلان الحرب المقدسة ضد الدولة المسيحية ، و عادوا بالفعل ، و إن كان ذلك ربما من أجل إمكانية النهب أكثر من التبشير ، و عندما إعتقد أحمد أنهم مستعدون للمواجهة، رفض بشكل واضح دفع الجزية لعدال ، مما أدى إلى غزو سليمان[٣٥] في عام ١٥٢٧م و الذي تم صده بشكل حاسم مرة أخرى ، أخذ المحاربون المنتصرون غنائمهم وإتجهوا نحو الصحراء ، وأظهروا

[٣٥] يقصد المؤلف بسليمان مملكة الحبشة المحكومة من قبل السلالة السليمانية (المترجم) .

لقائدهم أن ولاء الجيش لله و له ظل إنتهازيًا وعرضيًا ، فسعى أحمد إلى مواجهة تقلباتهم من خلال إثارة جنون ديني بشأن المنافسة بين الإسلام والمسيحية. أعلن الجهاد، وفرض إنضباطًا صارمًا على المجندين، ودربهم على إستخدام التكتيكات والأسلحة النارية الجديدة التي أدخلها العثمانيون مؤخرًا إلى منطقة البحر الأحمر .

في عام ١٥٢٧م بمجرد وصولهم إلى المرتفعات وبعيدًا عن ملاذاتهم الصحراوية، قاتل رجال الإمام بشكل رائع بعدما قهروا أولاً المحيط من الأطراف و كشفوا عن هشاشة إرتباطه بالمركز .

لقد تخلى الإثيوبيون السابقون عن رجال الدين والمستوطنين الشماليين والجنود والمسؤولين لرجال أحمد و من أجل البقاء ، قبل الناس هدم كنائسهم وكتبهم المقدسة وآثارهم و بالتالي إختفت بيل وصيداما وهاديا وكمباتا بسرعة ، مما عرض قلب البلاد للخطر .

حشد الإمبراطور لبنى دنجل قوة هائلة من تيغراي وأمهرا وأراضي أجيو وبيجمدير وجوجام وشوا وعسكر على بعد حوالي خمسين كيلومترًا شرق ما يُعرف الآن بأديس أبابا.

لقد عانى الجيش الضخم من ضعف اللوجستيات وقيادة أكثر اهتمامًا بالسلطة والسابقة من تبني إستراتيجية مشتركة لهزيمة العدو ، على النقيض من ذلك، كان جيش الإمام أحمد متحدًا في هيكل قيادته، و كان حجمه الأصغر يسمح بالتنقل والتكتيكات المرنة ، و علاوة على ذلك، كان جنود عدال يتمتعون بأسلحة متفوقة وكانوا تحت قيادة قائد

لامـــع ، لقــد مــلأ نجاحــه العظــيم كــل جنــدي بالحمــاس لســاحة المعركــة ، و مــن ثــم فلــيس مــن المســتغرب أن يُهــزم المســيحيون فــي معركــة شــيمبرا كــوري الحاســمة فــي عــام ١٥٢٨م ، الأمــر الــذي ســمح للمســلمين بــإحتلال داوارو وشــوا وأمهــرا و لاســتا ، و قــد توغلــوا بــلا هــوادة نحــو الشــمال، فعبــروا هضــبة أمهــرا الغنيــة الواقعــة شــمال أواش فــدمروا الحيــاة المســتقرة وهــدموا الكنــائس وغيرهــا مــن المراكــز الثقافيــة و مــن بينهــا الأديــرة التــي كانــت تخــزن التــراث السليماني[٣٦] .

بنــى أحمــد إدارة مدنيــة تتــألف مــن رجالــه ومعــاونيهم، الــذين كــانوا فــي كثيــر مــن الأحيــان مــن بقايــا الطبقــات الحاكمــة التــي ســبقت ســليمان . وبحلــول عــام ١٥٣٥م كــان علــى رأس إمبراطوريــة إســلامية شاســعة وعــابرة تمتــد مــن زيلــع إلــى مصــوع علــى الســاحل وتشــمل المنــاطق الداخليــة الإثيوبيــة. ومــع ذلــك، ظــل لبنــى دنجــل طليقــاً فــي المرتفعــات المســيحية، حيــث رحــب بــه وحمــاه شــعب فخــور بشــدة، حيــث كانــت الدولــة الســليمانية تعكــس بالنســبة لــه لــيس فقــط ميراثــه، بــل ومصــيره أيضــاً. لا تُظهــر الســجلات التاريخيــة عــن ذلــك الوقــت الكثيــر مــن الكراهيــة ضــد المســلمين بقــدر مــا تُظهــر الإحــراج لأن المســـيحيين ســـمحوا للكفـــار بـــدخول بلادهـــم وأمـــاكنهم المقدســـة وتدميرها .

[٣٦] للأســف مــا زال المؤلــف مثــل غيــره مــن أنصــار المدرســة التوراتيــة للتــاريخ الإثيــوبي يلــوي عنــق التــاريخ كمــا يحلــو لــه لتشــويه صــورة أعــداء الســلالة الســليمانية الحاكمــة فــي إثيوبيــا و لا ســيما مســلمي إثيوبيــا الــذي يــدعي بــأنهم خــلال حــروب ممــالكهم المعروفــة بممالــك الطــراز الإســلامي ضــدها عــاثوا فــي أرض الأمهــرا و التيغــراي فســادا و قتلــوا العديــد مــن النســاء و الأطفــال و الأبريــاء المســيحيين و تــدمير كنائســهم و إجبــار معظمهــم علــى إعتنــاق الإســلام بــالقوة أو بحــد الســيف و هــذه معلومــات خاطئــة لا أســاس لهــا مــن الصــحة حيــث أن المنــاطق المســيحية التــي تعرضــت لهجمــاتهم مــا زالــت كنــائس الأمهــرا بوثائقهــا المتعلقــة بالســلالة الســليمانية و تراثهــا العريــق موجــودة و لــم يمســوها بســوء و أهلهــا المســيحيون لــم يتعرضــوا لــلأذى أو القتــل مــن قبــل جنــودهم بــل لــم يجبــروا علــى تغييــر ديــنهم إلــى الإســلام بتاتــا (المترجم) .

في قلب الإمبراطورية المحاصر، كانت روح إثيوبيا حاضرة في الحكايات والأساطير، وهي المادة الذي استحضرت منه دولة جديدة فيما بعد. عندما توفي لبنى دينجل في عام ١٥٤٠، لم تُدفن الأساطير السليمانية معه. في الواقع، ربما كان قد ضمن بقاء إثيوبيا المسيحية بإرساله نداء إستغاثة إلى أوروبا.

في عام ١٥٣٥م ، وصلت صرخة الإمبراطور طلبًا للمساعدة إلى البرتغاليين، الذين سعوا لفترة طويلة إلى الإتصال بالقس جون. في يناير ١٥٤١م بعد أن عانت إثيوبيا من ست سنوات مروعة ومرهقة من الحرب حيث نزل أربعمائة فارس في مصوع[٣٧] عندما وصلوا إلى المرتفعات، قام حاكم تيغراي بتشكيل جيش لإعادة تنظيمه وإعادة تدريبه على التكتيكات الأوروبية .

أدرك أحمد الخطر على الفور، ولكن عندما لحق أخيرًا بالجيش الإثيوبي نظيره البرتغالي ، في أبريل ١٥٤١م هُزم على يد القوة النارية الموجهة جيدًا بأربعمائة نحو صدورهم ، ولقد كان هذا الهجوم القادم من لشبونة بمثابة مفاجأة كبرى ، فقد أصيب القائد العظيم بجرح طفيف، ولكن حركاته كانت مذلولة بسبب الإهانة المسيحية ، وسرعان ما تحول الإمام إلى تركيا، الدولة الإسلامية الرائدة، والتي كانت آنذاك قوة عظمى. وكانت إسطنبول تتنافس مع البرتغاليين على الهيمنة في المحيط الهندي ، ورأت بطبيعة الحال أن أنشطة لشبونة تشكل تهديداً لمصالحها في القرن الأفريقي ، وبعد أن قدمت السلطات العثمانية الإقليمية تسعمائة من

[٣٧] هذه المعلومة خاطئة ، كيف إقتحم البرتغاليون ميناء مصوع بسهولة و هي تحت سيطرة مملكة عدال و هي في أوج قوتها ؟ (المترجم) .

المسلمين، أغلبهم من المرتزقة، وعشرة مدافع، أصبح جيش أحمد مستعداً للقتال ضد المسيحيين ، وقد حقق انتصاراً كبيراً في أواخر أغسطس/آب ١٥٤٢م حيث إستولى على الأسلحة والذخيرة وقتل مئات من الأعداء المسيحيين بما في ذلك مائتي برتغالي وقائدهم كريستوفر دا جاما الذي أُسِر وقطع رأسه .

وشكر الإمام السعيد الواثق من نفسه حلفاءه الأتراك على الخدمات التي قدموها و كافأهم بالسلع التي نهبها بلا شك من الكنيسة، وأعادهم إلى ديارهم، وأمر جيشه بالعودة إلى معسكرهم ، وفي الوقت نفسه، إستعد الناجون المسيحيون لمواجهة نهائية تحت قيادة الإمبراطور جالاويدوس (١٥٤٠ – ١٥٥٩م) ، ونظراً للموارد المحدودة ، قرر الملك التخلي عن الحرب الموضعية و إتخاذ زمام المبادرة ، وكانت إستراتيجية الكر والفر التي تبناها ناجحة للغاية لدرجة أن قوات الإمام فقدت توازنها وكثيراً ما كانت تُفاجأ ، لم يكن أحمد يعرف أبداً أين سيضرب خصمه و إضطر إلى وضع قواته في مواقع دفاعية ، حيث فقدت كل قدرتها على الحركة ، والتي كانت في الأصل أعظم صفات جيشه النظامي ، عمل هو وقواته الشخصية كإحتياطي إستراتيجي و إنتقلوا من موقع إلى آخر بطريقة عشوائية على ما يبدو ، كان في العراء ، معسكراً بالقرب من بحيرة تانا[٣٨]، عندما هاجم جالاويدوس عليه في ٢٥ فبراير ١٥٤٣م ، وبعد قتال عنيف قُتل أحمد بن إبراهيم وفر جنوده تاركين الميدان و إثيوبيا للمسيحيين .

---

[٣٨] بحيرة عذبة عملاقة تقع غرب إثيوبيا و ينبع منها النيل الأزرق (المترجم) .

لقد فقدت البلاد مئات الآلاف من الأرواح، وقدرًا من الثقة في نفسها ودينها، وجزءً كبيرًا من رأس مالها. ولم تكن إثيوبيا قادرة على إتباع أوروبا في الرأسمالية التجارية ثم الصناعية. وبحلول أوائل خمسينيات القرن السادس عشر، كان جالاويدوس قد صمم نسخة طبق الأصل معقولة من الإمبراطورية السليمانية كما كانت موجودة في بداية حكم والده، ولكن بدون قوتها العميقة.

وظل المسلمون، وخاصة في المقاطعات الحدودية في يفعات وداوارو وبالي ساخطين، وفي أقصى الجنوب إلى أن إنتظر الأورومو[٣٩] فرصتهم لإحتلال مناطق كبيرة من المرتفعات الخصبة حيث كانت الموطن الأصلي للأورومو، وهم شعب رعوي يتحدث اللغة الكوشية، يقع في شمال غرب بورينا. أولاً، انطلقت قبيلة عفار ساهو ثم إخوانهم الصوماليون باتجاه الشمال الشرقي إلى السواحل الأفريقية القريبة من المحيط الهندي وخليج عدن والبحر الأحمر. ربما وصل بعض الأورومو إلى الهضاب المرتفعة في وقت مبكر من أواخر القرن الثالث عشر، فقط ليتم احتواؤهم بواسطة الحاميات التي أنشأتها الدولة السليمانية على طول محيط الإمبراطورية. وعندما دُمرت الدفاعات أثناء الحرب الإسلامية ضد الإمبراطورية السليمانية إستأنف الأورومو التسلل، حتى مع إستعادة لبنى دينجل لمظهر من مظاهر الحكومة السليمانية في محيط الإمبراطورية .

[٣٩] قومية إثيوبية من العنصر الحامي الكوشي و معظمهم من المسلمين ، فضلا عن أنها أكبر قومية في إثيوبيا من حيث عدد السكان (المترجم) .

لقد طور الأورومو من بين شعوب شرق إفريقيا الأخرى[٤٠] ، شكلاً من أشكال الحكم الديمقراطي البدائي على أساس الأجيال، وهو نظام الغادا، الذي حدد الأنشطة الذكورية في فترات مدتها ثماني سنوات ، وقد فرضت الطبيعة الرعوية لحياة الأورومو مجتمعًا فضفاضًا ومتساو يقوده مسؤولون ينتخبهم الغادا المسؤولون عن الحكومة في القرن السادس عشر، ربما إنقسم الأورومو إلى جماعات قبلية كالبورينا وباريتوما و عرفوا أنفسهم كأعضاء في مجموعات وطبقات الغادا والعشائر والأنساب. إلا أنهم خضعوا لتعامل شيوخهم المعروفين بالجارسا بييا مع قضاياهم الأخلاقية والقانونية اليومية و إحتفالاتهم و حياتهم الدينية .

أما القولو زعماء الأورومو الذين يمثلون قوى الطبيعة فكان لديهم سلطة قوية و إن كانت غامضة على الأمور الدينية والسياسية الكبيرة والصغيرة ، وقد أثبتت زعامة مجلس الغادا من خلال قائمة قدمتها لجنة من مجموعة الغادا الحاكمة. كانت درجة الكالو، وهي المستوى السادس وربما الأكثر أهمية في دورة الغادا، تمتد بشكل مثالي من السنة السابعة والأربعين إلى السنة الخامسة والخمسين من عمر الذكور. وبحلول ذلك الوقت، كان الرجال قد تعرضوا نظريًا للجوانب الرئيسية لحياة أورومو، وخاصة الزواج والخدمة العسكرية. أدى النجاح في الأخيرة إلى الأولى، بحيث كانت هناك دورة من العنف غالبًا خارج الأراضي التي يسكنها أورومو كل ثماني سنوات، عندما يتم تدشين فئة جديدة من المحاربين (لوبا).

---

[٤٠] يقصد المؤلف شعوب القرن الإفريقي لأن الأورومو لا يتواجدون سوى في هذه المنطقة فحسب (المترجم) .

كانت حاجة الأورومو إلى مداهمة واستعادة القطعان تعكس فقر بيئاتهم شبه القاحلة في بيل وبورينا، وقاتلوا الرعاة المجاورين من أجل الرعي والمياه والحيوانات ، لقد ترسخت هذه الأنشطة بعمق، حتى أن الشباب الواعين بذاتهم كانوا ينتظرونها بسعادة في طريقهم إلى الرجولة ، و إذا ما فرضت الضرورات البيئية ــ مهما كانت غير واضحة التأثير ــ فإن الرحلات الطويلة كانت قادرة على الاستعاضة بسهولة عن الرحلات المحلية .

وتوجه الأورومو إلى الهضاب المرتفعة ، وبفضل إرهاق خصومهم من الحرب ، تمكنوا من غزو الأراضي تلو الأراضي في القرن السابع عشر جراء الإحباط والهجرة السكانية ، لقد برر الراهب والمؤرخ الإثيوبي بهري نجاح الأورومو بأنه يرجع إلى حد كبير إلى فشل المجتمع السليماني في تعبئة موارده بفعالية ، ووفقاً لكلامه ، فقد خلق الإقطاع عدداً كبيراً للغاية من الطبقات المتميزة ولم يكن لديه ما يكفي من الجنود لمحاربة المحاربين الأوروميين المتجانسين إجتماعياً ، و أوضح أن هؤلاء تحركوا كإستجابة طبيعية لوطنهم غير المضياف (؟) ، فتوجهوا نحو الشمال الغربي إلى أرسي، وشوا، وويليجا، وجوجام ، ثم نحو الشمال الشرقي إلى هارجي و ويلو (أمهرا التقليدية)، ولم يتوقفوا إلا حيث حاصرتهم الغابات والسكان أو التعبئة الفعّالة للقوات المسيحية أو الإسلامية (؟) ، وبحلول نهاية القرن، أصبح الأورومو يسيطرون على مناطق ذات بيئات و مناخات و ثقافات مختلفة ، وهي عوامل تميل نحو التمايز الإجتماعي ، فظل بعض الأورومو رعاة و أصبح البعض الآخر مزارعين ، و مارس عدد كبير منهم أسلوبًا مختلطًا للإنتاج و أصبح عشرات الآلاف منهم يتماهون مع

المجتمع المضيف ، بينما ظل آخرون منفصلين أو إستعاروا بشكل انتقائي أساليب جديدة للإنتاج والتنظيم الاجتماعي والفكر.

وأصبح معظم الأورومو مسلمين مع إعتناق القليل منهم المسيحية و إحتفاظ البعض الآخر منهم بوثنيتهم حتى وإن أدرجوا الله ومحمد وعيسى والعذراء مريم في طقوسهم الوثنية[٤١] ، و هكذا أصبح الأورومو يعيشون في تشكيلات إجتماعية متنوعة ويتحدثون لهجات اللغة الأم .

ولم يكن لديهم ما يعوق تطورهم حيث قرر الإمبراطور سارسا دنجل (١٥٦٣– ١٥٩٧م) لأسباب دفاعية تقليص حجم إثيوبيا ، فأعاد تنظيم الجيش أولاً وأظهر موهبة سياسية مدهشة حيث فاز بدعم أباطرة الشمال ، و بحلول عام ١٥٧٨م ،كانت إثيوبيا المسيحية متحدة بما يكفي للتحرك ضد الأتراك ، الذين نقلتهم جهودهم لتحويل البحر الأحمر إلى بحيرة إسلامية من هبوطهم العسكري صوب ميناء مصوع إلى المرتفعات وعمق تيغراي . وبمجرد تحرك سارسا دنجل ، تراجع المتسللون بسرعة إلى الساحل ، لكنهم لم يتخلوا عن طموحاتهم الإقليمية حتى عام ١٥٨٩م ، عندما وافقت إسطنبول على سلام رسمي معه .

و بحلول ذلك الوقت ، أعادت سياسات الإمبراطور الإجتماعية وحملاته تشكيل إثيوبيا من جديد حيث كانت في ذلك الحين تضم معظم إريتريا الحديثة و تيغراي[٤٢] و بيجمدير وأجزاء من غوجام وشوا و ويلو[٤٣]،

[٤١] يبدو أن المؤلف يجهل بقصد أو بدون قصد من هم الأورومو تماشيا مع آراء مدرسته التوراتية في تاريخ إثيوبيا القديم (المترجم) .

[٤٢] إقليم يقع في شمال إثيوبيا بمحاذاة الحدود الإرترية – الإثيوبية حيث ينتمي سكانها إلى قومية التيغراي (المترجم) .

[٤٣] بيجمدير و غوجام و شوا و ويلو جزء من إقليم الأمهرا الواقع شمال البلاد (المترجم) .

والتي أطلق عليها فيما بعد إسم الحبشة[٤٤] و لكنها كانت مجرد بقايا من الدولة السابقة ، إلا أنها ظلت محتفظة بوحدتها الإجتماعية المتماسكة و يمكن الدفاع عنها بسهولة حيث تضمنت في الغالب شعوبًا مسيحية ناطقة بالسامية ، على الرغم من إحتوائها على مجموعات سكانية قليلة من أجيو و الأورومو و بيتا إسرائيل إلا أنهم كانوا من المزارعين المستقرين الذين عاشوا في ظل الإقتصاد السياسي المميز للدولة السليمانية .

لم ينس المسيحيون أبدًا أن حكامهم كانوا ذات يوم يتمتعون بنفوذ على دولة أكبر بكثير، وأن حرية إثيوبيا كانت فكرة سياسية متأصلة في رؤوس الأمراء والفلاحين على حد سواء ، ولم تضف سوى القليل إلى شرعية كيبري نيغاست الكتاب المقدس للسلالة السليمانية .

أصبحت شوا التي طُرد سكانها الأمهرا الأصليون من المرتفعات الوسطى إلى أعلى و أبرد أجزاء من منز وماهرابيتي أو إلى الأراضي المنخفضة المجاورة غير الصحية نسبيًا مركزًا للمشاعر المعادية للأورومو ، وفي أماكن أخرى، شجب رجال الدين الكفار وحثوا المصلين على العمل من أجل تحرير أبناء دينهم وبشكل عام من الدخلاء عليهم ، كانت الكنيسة الأرثوذكسية على المستوى المحلي أهم مصدر لتقاليد سليمان والقومية المرتبطة بها والتي وحدت كيان الدولة المتخلفة وأبقت على فكرة الإمبراطورية الممتدة حية في أذهان الإثيوبيين ردحا من الزمن .

[٤٤] هذه البلاد كانت معروفة للقاصي و الداني في أنحاء العالم القديم بإسم الحبشة قبل أن يقرر الإمبراطور سارسا دنجل تسميتها بهذا الإسم السالف الذكر (المترجم) .

ومن الواضح أن الجيش الذي أعيد إحياؤه وإصلاحه كان له دور مهم في إثيوبيا الجديدة ، فقد جند سارسا دنجل المزيد من الجنود وأنشأ المزيد من الوحدات تحت القيادة المباشرة للتاج حيث عزز الحرس الإمبراطوري ووحدات القصر الأخرى وجعلها مسؤولة عن الأمن الداخلي. ثم سحب الحاميات الإقليمية غير الفعالة بشكل واضح، والتي أصبحت الآن جزرًا يغمرها الأورومو، و أعاد تموضعها في الشمال، و حول بعضها إلى قوة إنتشار سريع بينما أعاد توطين البعض الآخر ككلاب حراسة[٤٥] في المقاطعات التي يسيطر عليها النبلاء الأكثر أهمية. وأكدت سياسته العسكرية أن الإمبراطورية القديمة قد ولت، على الأقل لفترة من الوقت، وأن بقاء الحبشة وملكيتها كان في غاية الأهمية.

لقد أثارت الأزمة المزدوجة بين الأورومو والمسلمين[٤٦] تساؤلات حول فعالية الكنيسة الأرثوذكسية ، فقد بدت أيديولوجيتها معيبة ، حيث تخلى المسيحيون عن رجال الدين والممتلكات والأراضي للمسلمين و إستمروا في إفساح المجال للأورومو و لم تتمكن الطبقات الحاكمة من تقدير الشقوق الإجتماعية التي أحدثها الإقطاع والتي أضعفت الفلاحين الذين لم يكونوا قادرين حينها على خوض المعارك الحربية ، ولم يفهموا الضغوط التي كانت وراء التوسع الأورومووي ، و بمنطق لا تشوبه شائبة ، ولأنهم إعتبروا أنفسهم بلا لوم، إستنتج المسؤولون في البلاط الإمبراطوري أن الكنيسة الأرثوذكسية كانت في حاجة إلى التجديد

---

[٤٥] رغم أن المؤلف أستاذ أكاديمي رفيع المستوى بجامعة كاليفورنيا إلا أنه يستخدم بعض الألفاظ السوقية التي لا تليق به بين سطور كتابه ، كان حري به أن يقول عنهم شرطة عسكرية بدلا من لفظ كلاب حراسة (المترجم) .

[٤٦] مازال المؤلف مصر على إعتبار الأورومو قومية غير مسلمة و هذا غير صحيح ، الأورومو قومية مسلمة ساهمت زيادتها السكانية بين أفرادها إلى جعل نصف سكان إثيوبيا من المسلمين (المترجم) .

المستمر تماماً كما إحتاج الجيش الإثيوبي إلى رجال جدد وتكتيكات جديدة، وإعادة نشر جديد لهم .

و بما أن الإحياء العسكري جاء من المسيحية الغربية، فلماذا لا يكون الإحياء الديني كذلك؟ والواقع أن الأباطرة ربما إعتبروا التقرب من الكاثوليكية الرومانية تكتيكاً سياسياً لتأمين ما يكفي من الأسلحة الحديثة والتدريب لإستعادة الإمبراطورية السليمانية ، و مع قدوم البرتغاليين جاء الكهنة الذين رحب بهم البلاط حيث كان لأفكارهم تأثير محفز عليه . حيث إستجاب الإمبراطور جالاويدوس (١٥٤٠ - ١٥٥٩م) لهم بكتابة إعترافه الشهير بالإيمان و هو تأكيد على الثقة في تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية و هو ما أوضحه لأصدقائه البرتغاليين ، و بعد خمسين عامًا وتوسع الأورومو في العديد من المقاطعات، لم يتمكن الإمبراطور زا دينجل (١٦٠٣- ١٦٠٤م) من مشاركة سلفه في ثقة تعاليم الكنيسة ، وتحول يائسًا وسرّيًا إلى الكاثوليكية الرومانية. وعندما إكتشف أمره، تم عزله بسرعة من قبل أمراء المقاطعات المذعورين و إستُبدل بسوسنيوس (١٦٠٧- ١٦٣٢م) ، أحد أحفاد ليبنا دينجل .

لقد كان الإمبراطور الجديد يتمتع بعقلية مثيرة للإهتمام ومبدعة ، وكانت سياسته المتمثلة في دمج الأورومو في الحياة السياسية للدولة السليمانية مغامرة جريئة ،كان موقفه محفوفاً بالمخاطر عندما تولى العرش : فلم يكن لديه أي وسيلة حقيقية لمواجهة أمراء المقاطعات، الذين لم يرفض أعضاؤهم التنازل عن الجزية فحسب ، بل و أووا أيضاً العديد من المطالبين بالحكم ، وفي الوقت نفسه، كان التهديد العسكري للدولة قد

نمــا: فقــد هــاجم فــوج ســنار علــى طــول الحــدود الشــمالية إلــى بيجيمــدير، وإستمر الأورومو في التسلل إلى شيوا وغوجام .

وقــد أقنعتــه خبرتــه الســابقة مــع الأورومــو ــ فقــد عــاش بيــنهم وتــزوج إبنــة أحــد كبــار المســؤولين فــي الغــادا ــ بــأن الوافــدين الجــدد قــد يكــون لهــم دور يلعبونــه فــي السياســة الإثيوبيــة ، وكمــا فعــل الإمبراطــور الرومــاني أورليــان فــي أواخــر القــرن الثالــث المــيلادي إختــار الملــك الإثيــوبي تــوطين المتطفلــين فــي المســيرات ودمــج وحــداتهم فــي قــوات الحكومــة المركزيــة و بالتــالي تحويــل أحــد الأعــداء إلــى ســلاح مفيــد لإخضــاع الآخــرين ، و حتــى الآن ، كــان كــل شــيء علــى مــا يــرام، ولكــن الهــدف الأساســي للإمبراطــور كــان يتمثــل فــي إعــادة إثيوبيــا إلــى عظمتهــا الســابقة لــم يتحقــق بعــد ، و لتحقيــق هــذه الغايــة ، تصــور سوســنيوس أن الأمــر يتطلــب تحالفًــا مــع المســيحية الغربيــة التــي تجســدت الآن فــي بيــدرو بــايز، اليســوعي الإســباني المحتــرم والدبلوماســي ، و كــان هــذا الكــاهن يعمــل خلــف الكــواليس كمستشــار ومعلــم و دبلوماســي لضم الخراف الإثيوبية إلى القطيع الروماني .

وفــي عــام ١٦١٢م ، إعتنــق سوســنيوس المســيحية الكاثوليكيــة ، ولكنــه إمتنــع بنــاءً علــى نصــيحة بــايز عــن الإعــلان العلنــي حتــى عــام ١٦٢٢م ، وبحلــول ذلــك الوقــت، لــم تكــن الرعايــة جيــدة ، حيــث حــدثت عــدة إنتفاضــات مناهضــة للكاثوليكيــة فــي عــامي١٦١٧م و ١٦١٨م ، و بالنســبة للكنيســة الإثيوبيــة ومؤمنيهــا، تطلــب التحــول تغييــرات جوهريــة فــي الطقــوس واللاهــوت والممارســات الدينيــة، ولــيس مجــرد تحــول فــي سلســلة السلطة الرسولية .

ولكـــن هـــذا التحـــول أصـــبح بـــلا جـــدوى بعـــد عـــام ١٦٢٥م عنـــدما أصـــبح خليفـــة بـــايز المتعصـــب – الفونســـو مينـــديز– وهـــو يســـوعي إســـباني آخـــر، أســـقفًا كاثوليكيًـــا فـــي إثيوبيـــا ، و قـــرر أن الكنيســـة الأم المقدســـة لا تســـتطيع أن تنتظـــر يومًـــا آخـــر لإنقـــاذ أرواح الإثيـــوبيين الهراطقـــة ، و أمـــر بتعليـــق ختـــان الـــذكور و مراعـــاة الســـبت بإعتبارهمـــا[٤٧] عـــادات يهوديـــة باليـــة ، و أمـــر بإعـــادة تكـــريس الكنـــائس وإعـــادة بنـــاء المـــذابح و إزالـــة الكهنـــة أو إعـــادة تعيينـــهم ، وإعـــادة تعميـــد النـــاس وإعـــادة جدولـــة الصـــيام والمهرجانـــات و إعـــادة صـــياغة الطقوس الدينية .

و قـــد أدت هـــذا الإجـــراءات المتطرفـــة إلـــى سلســـلة مـــن التمـــردات والقمـــع حتـــى بـــدا أن الـــبلاد علـــى وشـــك التفكـــك ، و لقـــد شـــعر أتبـــاع الإمبراطـــور الأكثـــر ولاءً ومـــن بيـــنهم إبنـــه وخليفتـــه فاســـيليداس (١٦٣٢ – ١٦٦٧م) بـــالفزع إزاء تـــدمير النســـيج الإجتمـــاعي و خاصـــة مـــع إســـتغلال الأورومـــو للفوضى وتوسلهم إلى الإمبراطور لإعادة النظر في سياسته الدينية .

وعنـــدما خلـــص سوســـنيوس إلـــى أن إلتزامـــه الشخصـــي بالكاثوليكيـــة أدى إلـــى كارثـــة وشـــيكة تنـــازل عـــن العـــرش لصـــالح فاســـيليداس الـــذي أمـــر اليســـوعيين بالخروج من البلاط ثم من إثيوبيا .

وكـــان رفـــض الكاثوليكيـــة الرومانيـــة بمثابـــة إعتـــراف بحكـــم الأمـــر الواقـــع بـــأن الدولـــة الســـليمانية ســـوف تقتصـــر فـــي الوقـــت الحـــالي علـــى أنشـــطتها وخيالهـــا فـــي الحبشـــة، وهـــو التركيـــز الـــذي حـــاول الإمبراطـــور الجديـــد ضـــمانه مـــن خـــلال

[٤٧] هذه العادات التي تتبناه الكنيسة الإثيوبية نابعة من مذهبها المينوفيزي و ليس من الديانة اليهودية كما يزعم المؤلف (المترجم) .

توقيع إتفاقيات مع مصوع وسواكن[٤٨] سعياً إلى منع دخول الأوروبيين إلى المرتفعات المسيحية ، و خلال القرنين التاليين، كانت إثيوبيا دولة كاثوليكية، حيث كانت عاصمتها الحبشة و كان الإمتداد محصوراً في الحبشة، ولكن ليس في نطاقها[٤٩] .

إستغلت المرتفعات المنتجات الأساسية في المناطق الداخلية، فربطت إقتصاد إثيوبيا بتجارة البحر الأحمر ووادي النيل و ربطت شبكة قوافل معقدة بين ميناء مصوع والداخل و أصبحت جوندر مركزاً إقليمياً حيث كانت تتعامل تجارياً مع سنار وفزغلي في مجال العبيد والذهب الذين تم شراؤهم ودفع ثمنهم بالقهوة التي تم الحصول عليها من إينريا و نمت سوق حبوب البن الإثيوبية بشكل كبير خلال الربع الأخير من القرن السابع عشر، حيث سعت اليمن، الشريك التجاري الرئيسي إلى الحصول على كميات متزايدة من القهوة لإعادة شحنها إلى أوروبا لتلبية الطلب الغربي المتزايد .[٥٠]

بلغت جوندر ذروة إزدهارها في مطلع القرن الثامن عشر عندما ربما كان عدد سكانها سبعين ألفًا. من الواضح أن الإمبراطور فاسيليداس، الذي

---

[٤٨] سواكن ميناء سوداني قديم على البحر الأحمر يقع شرق السودان بالقرب من ميناء بورسودان و ليس جزء من إثيوبيا كما يزعم المؤلف (المترجم) .

[٤٩] هذه الفقرة مليئة بالأخطاء التاريخية حيث يزعم المؤلف بأن إثيوبيا كانت عاصمتها الحبشة ، و الصحيح بأن الحبشة كانت الإسم القديم لإثيوبيا قبل تغييرها و إستبدالها بإثيوبيا على يد الإمبراطور هيلاسلاسي عام ١٩٣٢م ، وكانت عاصمة إثيوبيا في تلك الفترة هي شوا قبل إستبدالها بالعاصمة أديس أبابا في عهد الإمبراطور منليك الثاني عام ١٨٩٠م ، كما أن إثيوبيا المسيحية كانت مينوفيزية المذهب و ليست كاثوليكية المذهب (المترجم) .

[٥٠] هذه الفقرة أيضا مليئة بالأخطاء التاريخية حيث يزعم المؤلف بأن اليمن في عهد الدولة القاسمية (١٦٣٢–١٨١٢م) كان الشريك التجاري الأول لإثيوبيا و هذا غير صحيح حيث قطعت العلاقات الدبلوماسية بينهما إثر وفاة الإمام المتوكل عام ١٦٧٦م بعدما دامت عشر سنوات فقط و أصبحت البلدان الاوروبية الوسيطة تجاريا بين البلدين حتى بعد الحرب العالمية الثانية ، كما أنه يذكر بأن اليمن كان يستورد القهوة و حبوب البن من إثيوبيا و ليس العكس و هذا غير صحيح ، فاليمن هي الموطن الأصلي للبن منذ الألف الثاني قبل الميلاد و أهلها هم من إخترع القهوة القرن الثالث عشر الميلادي ، و بالتالي فإن إثيوبيا هي من البلدان المستوردة للبن و القهوة من اليمن و ليس العكس (المترجم) .

أسس العاصمة الجديدة حوالي عام ١٦٣٥، كان يأمل في إنشاء مركز قوي يمكن أن تتجمع حوله بقايا الشمال المسيحي ، إختار موقعًا جميلًا ، وهو عبارة عن سلسلة بركانية مسطحة يبلغ ارتفاعها سبعة آلاف قدم محاطة بالجبال من ثلاث جهات ، ولكن مع سهولة الوصول إلى بحيرة تانا في الجنوب ، أما بالنسبة للمناخ ، فمناخ جوندر دافئ أثناء النهار، وبارد في الليل ، يوفر مجراه الوفير إمدادات المياه و وفرة الأخشاب والمنتجات في المناطق الداخلية .

ولقد نشأت إقتصادات حضرية كافية لدعم العمارة والموسيقى والشعر والأدب والرسم والخط والمؤسسات التعليمية والدينية و الإجتماعية حيث ظهر الأباطرة في هالة محترمة محاطين برجال البلاط ورجال الدين والجنود .

و لقد كان إياسو الأول المعروف بالعظيم (١٦٨٢ – ١٧٠٦م) على سبيل المثال يجلس على أرائك العرش المصنوعة من القماش المخيط بخيوط من الذهب والفضة، وكان يرتدي ملابس مطرزة بالذهب والمجوهرات ، و في المناسبات الإحتفالية، كان يسير تحت مظلة أرجوانية رائعة، يسبقه عازفو الموسيقى الذين يعزفون على الأبواق والناي والمزامير والطبول ، ويتبعهم النبلاء الذين يرتدون ملابس أنيقة يسير في وسطهم حامل التاج الإمبراطوري .

وقد دعمت الطبقة الأرستقراطية والملكية الفنانين والحرفيين الذين شيدوا المباني، وزخرفوا المخطوطات، وزينوا داخل الكنائس والقصور، وعملوا على الحجارة أو الخشب أو الفخار. كانت قلاع المدينة و الآثار الأخرى مبنية من كتل البازلت البنية المنحوتة وتحتوي على ميزات مستمدة من عصور أكسوم و زاجوي مثل الجدران والنماذج البرتغالية كانت متركزة في وسط المدينة وتوفر تباينًا حادًا مع منازل الناس التقليدية المستديرة والمسقوفة بالقش والطين والحصى .

كان بيتا إسرائيل[٥١] يعيشون في حي خاص حيث صادر الغزاة المسيحيون مزارعهم الأصلية و على مدى القرنين الماضيين، نجوا من خلال الإنتقال إلى مهن هامشية مثل النسيج والحدادة وهي الحرف التي تجنبها المسيحيون بإعتبارها هدية من الشيطان ، لكن نمو جوندر وحاجتها إلى العمال سمح لبيتا إسرائيل بزيادة مهاراتهم أصبح الرجال بنائين وحجريين ونجارين و جصاصين ، وتخصصت النساء في صناعة الطلاء والديكور الداخلي. وبما أن شعب بيتا إسرائيل كان بعيدًا عن هيكل السلطة، فقد تم تجنيدهم غالبًا في الحرس الإمبراطوري واستخدامهم في مواقف حساسة أو سرية بشكل خاص. وباعتبارهم فنيين وجنودًا، أصبحوا مكونًا مهمًا من مجتمع جوندر ، و كان المسلمون يتعاملون مع التجارة المحلية، التي شارك فيها أفراد غوندريين من ذوي الأصول النبيلة، ومن بينهم العائلة المالكة .

---

[٥١] لا يوجد قومية في إثيوبيا بهذا الإسم بل هي من نسخ خيال أتباع المدرسة التوراتية لتاريخ إثيوبيا القديم و على رأسهم مؤلف الكتاب ،لأنها إسم حزب سياسي في إسرائيل و تعني وطننا إسرائيل باللغة العبرية (المترجم) .

كما كانت للطبقات الحاكمة مصالح في تجارة الإستيراد والتصدير التي يهيمن عليها الهنود المقيمون والأرمن واليونانيون الذين إستخدمهم الأباطرة أحيانًا لإدارة المهمات الدبلوماسية .

وكان عدد كبير من سكان أورومو يتألف من المزارعين والعمال اليوميين والجنود .

وكان الأورومو يمثلون مشكلة إثيوبيا الماضية وأملها المستقبلي أيضًا. وربطت الملكية مصيرها بالتكامل الإجتماعي والسياسي للأورومو ، و كانت الفكرة حكيمة بالتأكيد، حتى لو خدع النظام السياسي الإقطاعي الأباطرة بتحويلهم في النهاية إلى دمى في أيدي الزعماء السياسيين الأوروميين الذين شرعنوا لوجودهم السياسي .

وقد نشأ هذا التخريب للملكية السليمانية من قرار سوسنيوس بدمج زعماء الأورومو في طبقة النبلاء في إثيوبيا واستخدام قواتهم ضد أعدائه الإقطاعيين. وكان حلفاؤه الجدد من الدارسين الماهرين للسياسة، تماماً كما تعلمت جماهير الأورومو بسرعة الأساليب الفعّالة للزراعة في المرتفعات من المزارعين الذين غزوهم و لم يتبن الأورومو الثقافة المادية للمزارعين المسيحيين فحسب، بل تبنوا أيضاً لغتهم ودينهم، وحتماً الاقتصاد السياسي الإقطاعي للحبشة. وفوق كل ذلك، تميزت فترة غوندرين بالإستيعاب السياسي للأورومو في الدولة السليمانية، على الرغم من أن الهدف الإمبراطوري المتمثل في الوحدة السياسية ظل بعيد المنال.

علـــى ســـبيل المثـــال، أمضـــى فاســـيليداس معظـــم فتـــرة حكمـــه الطويلـــة متورطـــاً فـــي جـــدال طويـــل الأمـــد حـــول طبيعـــة المســـيح، وهـــي القضـــية التـــي أثارهـــا اليســـوعيون فـــي التشـــكيك فـــي لاهـــوت المونوفيزيـــة حيـــث إتبعـــت التسلســـل الهرمـــي للكنيســـة والرهبانيـــات الأكثـــر تقليديـــة الموقـــف الإســـكندري القائـــل بـــأن الطبيعـــة البشـــرية للمســـيح أصـــبحت كاملـــة مـــن خـــلال إتحادهـــا أو التوحيـــد مـــع الإلهـــي الـــذي أصـــبحت لا تنفصـــل عنـــه ، يعتقـــد أتبـــاع إيوســـتاثيوس الأكثـــر أساســـية، وخاصـــة أولئـــك فـــي غوجـــام، أن مســـحة الـــروح القدس، أو الكيبات، عملت على الجمع بين الإثنين .

ولقـــد أثـــار هـــذا الجـــدل حفيظـــة فاســـيليداس الـــذي كـــان يعـــارض بشـــدة فكـــرة إلغـــاء القداســـة، حيـــث كـــان يعتقـــد أن المســـيح هـــو ابـــن الله وجـــزء مـــن الثـــالوث. ولقـــد شـــعر الإتحـــاديون بـــالخزي لأن موقـــف أنصـــار إلغـــاء القداســـة لـــم يســـتطع تفســـير الإشـــارات الكتابيـــة إلـــى إنســـانية المســـيح وبالتـــالي الحاجـــة إلـــى الخـــلاص مـــن خـــلال فـــداء المســـيح. ولقـــد واجهـــت الخلافـــات فاســـيليداس بقـــرار سياســـي خطيـــر ، فقـــد كـــان رجـــال الـــدين و الأديـــرة الإيوســـتاثيون مـــؤثرين فـــي الريـــف ، وخاصـــة فـــي المنـــاطق النائيـــة، حيـــث كـــانوا ينقلـــون المســـيحية إلـــى الأورومـــو ، أمـــا التسلســـل الهرمـــي الكنســـي، ورؤســـاء الأديـــرة الأكثـــر محافظـــة، والعديـــد مـــن رجـــال الـــدين فـــي الرعيـــة ــ العمـــود الفقـــري للكنيســـة ــ فقـــد كـــانوا إتحـــاديين ولكـــنهم أقـــرب إلـــى الـــوطن و بالتـــالي كان من السهل السيطرة عليهم .

فـــي عـــام ١٦٥٤م و فـــي مجلـــس كنســـي إنعقـــد فـــي جونـــدر، إنحـــاز الإمبراطـــور، بصـــفته رئـــيس الكنيســـة، إلـــى جانـــب أنصـــار إلغـــاء القداســـة و قمـــع

بسرعة تمردات الإتحاديين التي أعقبت ذلك ثم ترجمت الخلافات اللاهوتية نفسها إلى مصطلحات سياسية حيث إنحاز النبلاء الإقليميون، بدافع من أنصار رجال الدين إلى أحد الجانبين .

لقد أدى قرار الإمبراطور بشأن المحلولين إلى نفور معظم نبلاء الأمهرا منه لأن الرهبان في دير ديبري ليبانوس- الدير الرائد في شيوا- كانوا من الإتحاديين التقليديين الذين ساروا على خطى رئيسهم الذي كان آنذاك أيضًا إيتشيجي (أعلى مسؤول إثيوبي في الكنيسة) ، لذلك كانوا يميلون إلى عزل أنفسهم عن الدولة السليمانية التي إضطرت بشكل متزايد إلى الإعتماد على قوة أرستقراطية أورومو التي تم إستيعابها حديثًا ، و قد تم إستدعاء هؤلاء لحماية حدود المسيحية ، و لكن من عجيب المفارقات أنهم فشلوا حتى في وقف حركة أورومو إلى جنوب تيغراي وجنوب شرق بيجيمدير ، لذا ركز فاسيليداس وخليفته يوهانس الأول (١٦٦٧ – ١٦٨٢م) على تعزيز سلطتهما في المناطق المجاورة لجوندر، غرب نهر تيكيزي ، بينما بقيت بقية المناطق على قيد الحياة بأفضل ما يمكنها. وهكذا، بحلول مطلع القرن الثامن عشر، كانت الحبشة عبارة عن منطقة ثلاثية الفروع تضم جوندر وتوابعها: ديمبيا، وويجيرا، وبيجمدير، وسيمن؛ والأجزاء المسيحية التقليدية من تيغراي والشمال؛ وأجزاء من جنوب جوجام، وشمال شيوا، وجنوب ويلو.

إن الانتقال و الإنحدار يلخصان بشكل أفضل فترة جوندر بأكملها حيث كان الأورومو يتجولون كما يحلو لهم هناك تقريبًا و كانت الخلافات الدينية تستنزف الأسس الإيديولوجية للدولة السليمانية ، وأصبح

اللــوردات الإقطــاعيون أقويــاء بمــا يكفــي لتحــدي ســلطة الملكيــة و بالتــالي أصــبح الأبــاطرة بــبطء أســرى لجنــرالاتهم ، ففــي عــام ١٦٩٠م ، أصــدر إياســو الأول مرســومًا يقضــي بــأن يكــون للقائــد الإمبراطــوري (مــا يعــادل الــدوق حرفيًــا، "الــرأس")، أو القائــد العــام، الأولويــة علــى جميــع المســؤولين فــي الــبلاط ، كــان الــرأس هــو الحــاكم الإقليمــي الأقــوى دائمًــا و بمثابــة نقيض للضعف الإمبراطوري .

كــان التنــاقض مخفيًــا لــبعض الوقــت وراء ســتار الــدخان المتمثــل فــي أنشــطة إياســو غيــر المثمــرة لــدعم الدولــة و زيــادة الإيــرادات و إســتعادة الأراضــي المفقــودة حيــث لــم تــنجح جهــوده إلا مؤقتًــا لأن جيوشــه لــم تكــن تتمتــع بــالقوة أو المرونــة اللازمــة للإحتفــاظ بــالمحيط الإقليمــي مــن حولــه ، فــي حــوض جيبــي، كــان الأورومــو يتعهــدون بعمليــة تنميــة زراعيــة مــن شــأنها أن تــؤدي إلــى تشــكيل الدولــة فــي القــرن التاســع عشــر ، وكانــت دول الغونغــا تنمــو فــي مرتفعــات كيفــا ، و فــي شــمال شــيوا ، كــان الخــط الــذي إدعــى النســب إلــى الإمبراطــور لينبــا دينجيــل منشــغلاً بإحيــاء القــوة المســيحية هنــاك. تطــورت هــذه الظــواهر خــارج نطــاق الســيطرة الإمبراطوريــة، لأنــه بعــد وفــاة إياســو إنحــدر واقــع الإمبراطوريــة الســليمانية بــبطء إلــى مفهــوم غيــر جــوهري وإن كــان مســتمرًا ، فلقــد أصــبحت الملكيــة أســيرة بشــكل متزايــد أولاً داخــل حــدود جونــدر نفســها ثــم داخــل المجمــع الملكــي حيــث إنزلقــت الحبشــة ككيــان مــنظم إلــى إنحــدار ســريع مــع ذهــاب المقاطعــات إلــى طرقهــا الفرديــة . كــان الإنحــدار فــي الواقــع النتيجــة المتــأخرة ولكــن الحتميــة لأزمــة إســتمرت مــا يقــرب مــن قــرنين مــن الزمــان حيــث لــم يعــد الأبــاطرة فــي جونــدر أكثــر مــن

أباطرة محليين يخرجون أحيانًا لمعاقبة المجرمين القريبين، لكنهم كانوا في الغالب يقيمون في قصورهم المتدهورة ، أصبح حراسهم الذين أصبحوا حراسًا بشكل متزايد خدمًا لمجلس التاج المكون من الأباطرة الذين أداروا البلاد حقًا ، ساعد الجنود في إغتيال الإمبراطور تكلي هيمانوت الأول (١٧٠٦ – ١٧٠٨م) ، و بعد وفاة خليفته تيوفلوس في عام ١٧١١م تعاونوا لاحقًا مع أعضاء النبلاء لوضع يوستوس (١٧١١ – ١٧١٦م) على العرش ، وبالمعنى الدقيق للكلمة كان مغتصبًا للعرش، لأنه إدعى بشكل غير قانوني أنه ينتمي إلى سلالة سليمان من خلال والدته فقط ، ولكن منصبه كرأس جعل ترشيحه مقبولاً لدى مجلس التاج ، ومع ذلك هاجمت الكنيسة مثل هذا الإساءة إلى الذات الملكية و هو موضوع تكرر في الأبرشيات ، وقضى يوستوس وقته في محاربة المؤامرات وتفسير نفسه حتى تولى الحرس الإمبراطوري تسميمه و تسمية أحد أحفاد إياسو، داويت الثالث إمبراطورا (١٧١٦ – ١٧٢١م) ، كان هذا الأخير أيضًا في حكمه غير سعيد حيث سقط ضحية لمشروب الحرس البريتوريين المميت، وخلفه مرشحهم، هذه المرة أحد أبناء إياسو، بيكافا (١٧٢١ – ١٧٣٠م) الذي أثبت أنه لعنة لحراسه ومجلس التاج ، والواقع أنه بدا لبعض الوقت وكأنه قد يعيد النظام الملكي إلى بعض مظاهر السلطة .

لقد إعتبر سماسرة السلطة في جوندر عن طريق الخطأ أنه قابل للتغيير كون بيكافا ضعيفًا للغاية بالنسبة لهم بينما كان قويًا وقادرًا وعنيدًا للغاية حيث كان يكره نبلاء البلاط معتقدًا أنهم مسؤولون عن تدهور النظام

الملكـــي والدولـــة ، كـــان ينتهـــز كـــل فرصـــة لتطهيـــرهم يراقـــب عـــن كثـــب أقاربـــه الـــذكور، ممـــا يجعلهـــم غيـــر متـــاحين للمـــؤامرات ، و أخيـــرًا ولـــيس آخـــرًا، قـــام بتجنيـــد أورومـــو جـــدد وخاصـــة مـــن بـــين ميكـــا دامـــوت وســـلحهم بالبنـــادق لإســـتخدامها ضـــد الحـــرس الإمبراطـــوري الفاســـد ووحـــدات الأســـرة المالكـــة ، كمـــا وجـــه قواتـــه الجديـــدة ضـــد المقاطعـــات المتمـــردة وخاصـــة تلـــك الواقعـــة شـــرق تيكيـــزي، فأعـــاد واج و لاســـتا إلـــى حظيـــرة ســـليمان فـــي عـــام ١٧٢٤م ، وأخضـــع نـــبلاء تيغـــراي وبـــاهر ميـــدر ، و فـــي أواخـــر حكمـــه حكـــم بيكافـــا نظامًـــا سياســـيًا مســـتقرًا نســـبيًا يمتـــد مـــن تيغـــراي فـــي الشـــرق إلـــى دامـــوت فـــي الغـــرب و تركه لإبنه الصغير وخليفته إياسو الثاني (١٧٣٠ – ١٧٥٥م) .

بصـــفتها وصـــية علـــى العـــرش وحاكمـــة مشـــتركة لاحقًـــا ، كـــان للإمبراطـــور الجديـــد والدتـــه الذكيـــة والقـــديرة، الإمبراطـــورة الأرملـــة مينتيـــواب (زوجـــة بيكافـــا ١٧٢٢–١٧٣٠م ، الأم الملكـــة والجـــدة ١٧٣٠–١٧٦٩م) ، وهـــي مـــن قبيلـــة أورومـــو مـــن كـــوارا (تشـــيلجا) وعلامـــة مـــن علامـــات العصـــر. تزوجهـــا بيكافـــا لأســـباب سياســـية لإرضـــاء تطلعـــات الشـــعوب التـــي تأقلمـــت حـــديثًا والتي استندت إليها تاج سليمان .

أدركـــت الملكـــة الشـــابة أن أقاربهـــا قـــد حصـــلوا علـــى مناصـــب مهمـــة فـــي القصـــر وعينـــت شـــقيقها و ولـــدي لـــول راسًـــا ، و بعـــد محاولـــة إنقـــلاب قـــام بهـــا النـــبلاء التقليـــديون فـــي عـــامي ١٧٣٥–١٧٣٦م ، وضـــعت مينتيـــواب أهـــل كـــوارا فـــي القيـــادة العليـــا وفـــي الجـــيش ، وللحصـــول علـــى مزيـــد مـــن الـــدعم الأورومـــوي ، تـــزوج إياســـو مـــن إبنـــة زعـــيم مهـــم مـــن قبائـــل ويلـــو[٥٢]، والـــذي جـــاء

[٥٢] ويلو جزء من إقليم الأمهرا و القومية الأمهرية و ليس إقليم الأورومو و القومية الأورومية (المترجم) .

إلـى العاصـمة ومعـه عـدد كبيـر مـن الأتبـاع حتـى أن لغـة الأورومـو كانـت تُسمع في البلاط أكثر من الأمهرية .

وعنـدما هـدد الوافـدون الجـدد التـوازن العرقـي فـي جونـدر، عينـت منتيـواب ميكائيـل سـيهول مـن تيغـراي رأسـا علـى المقاطعـات الواقعـة شـرق نهـر أنغريـب ، وبجعـل ميكائيـل القـوة المهيمنـة فـي الشـمال، إعتقـدت الإمبراطـورة الأرملـة أنهـا سـتحافظ علـى تماسـك الحبشـة تحـت سـيطرتها ، ومـع ذلـك، عنـدما إعتلـى حفيـدها إيـواس (١٧٥٥-١٧٦٩م) العـرش ، كانـت السـلالة السـليمانية الحاكمـة فـي عهـده صـغيرة وضـعيفة ولـم يكـن ميكائيـل سـيهول يفـوت أي فرصـة ، بـل عمـل خلـف الكـواليس لتقـويض المنـزل الـذي بنـاه يكونـو أمـلاك لأول مـرة فـي عـام ١٢٧٠م حيـث إحتكـر التجارة التي مرت عبر مقاطعته في طريقها إلى مصوع و العكس .

كـان إيـواس رجـلاً تقليـدياً يفـرض علـى شـعبه واجبـات ورسـوماً مـن جونـدر ويـوجههم إلـى تجنيـدهم كجـيش نظـامي متكامـل حيـث جهـز ثمانيـة آلاف مـنهم بالبنـادق ، وكـان سياسـياً لا يـرحم حيـث إسـتغل القلـق الطبيعـي لـدى المحـافظين الأحبـاش الـذين رأوا عاصـمتهم مليئـة بـالجنود والإداريـين والحاشـية الأورومـويين ، و بإعتبـارهم تقليـديين، فقـد إعتقـدوا أن الدولـة السـليمانية كانـت تنزلـق علـى منحـدر سـريع الميـل نحـو الإسـلام، وهـو الإسـتنتاج الـذي تضـخم عنـدما أزاح إيـواس شخصـية شـعبية مـن ولايـة أمهـرا المسـيحية الحصـن الوحيـد المتبقـي ضـد توسـع ويلـو المسـلم غربـاً ، و أخيـراً، أصـبح رجـال الـدين الـذين ينتمـي معظمهـم إلـى إيوسـتاثيا منعـزلين

عندما بدأ أن إيواس في سعيه للحصول على دعم شيوان قد أيد تفسيراً جذرياً مناهضاً لمسحة التطهير لطبيعة المسيح .

إستمدت النظرية الجديدة، التي أكدها الرهبان في ديري ليبانوس، إلى حد كبير من المفاهيم النقابية و إفترضت أن المسيح وُلد ثلاث مرات : أولاً في الأبدية ثم في رحم مريم من خلال مسحة الروح القدس و أخيرًا جسديًا، و لكن خاليًا من الخطيئة الأصلية (بفضل ولادته الأولى) ، إعترض الإيوستاثيون على أي فكرة مفادها أن المسيح كان له طبائع متعددة أو أنه ليس إلهيًا بطبيعته ، كان للجدل آثار وطنية مهمة، حيث إنقسمت إثيوبيا المسيحية بفضل ميكائيل إلى معسكرين على أسس إقليمية، أمهرا-شوا (ثلاث ولادات) مقابل تيغراي-جوجام (الإيوستاثيون) .

في عام ١٧٦٦م ، إندلعت حرب أهلية بين الأورومو المستوعبين (كواران) وغير المستوعبين (ويلو) ، بالنسبة للرأس ميكائيل سيهول كانت تلك هي لحظة الفرصة المناسبة له ، فعندما دعاه إيواس ومينتيواب لإنقاذ الدولة السليمانية سارع إلى الإنقاذ ، و بعد أن تم تسميته رأسًا إمبراطوريًا شرع في تدمير قوة الكوارا ثم قوة الويلو ، أصبح إيواس على الفور حذرًا منه بشأن المستقبل، وشكل تحالفًا من القوات المناهضة لتيغراي، وأمر ميكائيل بالعودة إلى مقاطعته ، عصى الرأس السالف الذكر أوامره ، وفي يناير ١٧٦٩م و بدعم من المنظفين ساروا ضد سيده الذي هزمه و إغتاله مما أدى إلى دخول قرن من الفوضى الإقطاعية .

عصر الأمراء (١٧٦٩-١٨٥٥م) :

بين عامي ١٧٦٩م و ١٨٥٥م قبل أن يتولى تيودروس الثاني (١٨٥٥ – ١٨٦٨م) السلطة ويعيد تنشيط التاج ، حكمت سلسلة من الأباطرة العاجزين تقريبًا في جوندر ، و على الرغم من إنخراطهم في الإحتفالات والطقوس الفارغة على ما يبدو في قصور كئيبة ومتداعية بشكل متزايد، إلا أن وجودهم، جنبًا إلى جنب مع أساطير سلالة سليمان يرمز إلى التقاليد التاريخية لمرتفعات إثيوبيا فحسب حيث كان الفاعلون الحقيقيون هم رؤساء البلديات في القصر الذين كانوا في الغالب من الأورومو، والذين احتلوا مكانهم في هيكل السلطة الإثيوبي، جنبًا إلى جنب مع أحفاد النظام القديم الذين كانوا يتمتعون بسلطة أكبر أو أقل، و الذين كانوا يمثلون شخصًا واحدًا حيث أن الحقائق المعقدة التي تكتنف عصر الأمراء تخفي حقيقة مفادها أن هذا العصر شهد ذروة العوامل التاريخية التي أدت إليها الحروب الإسلامية وحركات السكان الأورومو .

ومن الجدير بالذكر أن منطقة جيبي التي يسكنها الأورومو (جيرا وجيما وغوما وليمو–إينريا) قد دخلت مرحلة بناء الدولة التي تدعمها تنمية الزراعة والتجارة، وخاصة في العبيد. وقد أدى الطموح إلى صراع من أجل المزيد من الأراضي وإلى ظهور أرستقراطية ولدت من الحرب بإعتبارها الجهات الفاعلة السياسية الرئيسية وجامعي الثروة ، وقد أخذ الأورومو في جيبي الكثير من بنيتهم السياسية و رمزيتهم الجديدة من الممالك الأوموتيكية (جونجا) القريبة والناجحة للغاية و خاصة سيكا و كيفا ، وعندما ظهر الأورومو، أسست كيفا نظامًا إقطاعيًا للقيادة قائمًا على

النمـــاذج الشـــمالية[٥٣] و وســـعت جيوشـــهم التـــي ركزوهـــا علـــى الحـــدود ، و لإطعـــام الجنـــود حلـــت المحاريـــث الشـــمالية الأكثـــر كفـــاءة محـــل الفـــأس و وُضـــع الفلاحـــون تحـــت ســـلطة الســـادة الـــذين ســـعوا للوصـــول إلـــى الأراضـــي و الســـيطرة عليهـــا و فـــرض الضـــرائب علـــى حصـــادها ، وهكـــذا إنـــدمج الإقتصـــاد السياســـي للشـــمال والجنـــوب ، كمـــا إنـــدمجت مجموعـــة كبيـــرة مـــن المصـــطلحات الخاصـــة بالدولـــة والتـــي إســـتُعير معظمهـــا مـــن التنظـــيم الحكـــومي الشـــمالي ، ومـــن عجيـــب المفارقـــات أن منطقـــة جيـــب إزدهـــرت بينمـــا عـــانى الشـــمال مـــن الإنحـــدار السياســـي و إنخفـــاض عائـــدات التجـــارة وتآكـــل أربـــاح تجـــارة البحـــر الأحمـــر بســـبب ظهـــور المـــرض السياســـي الـــذي جعـــل مـــن تركيـــا الرجـــل المـــريض لأوروبـــا حيـــث كانـــت الإمبراطوريـــة العثمانيـــة كنظـــام إقتصـــادي تتـــدهور علـــى طـــول محيطهـــا و خاصـــة فـــي البحـــر الأحمـــر والمحـــيط الهنـــدي . ومـــع تعطـــل شـــبكات التجـــارة فـــي المنطقـــة، تباطـــأ الطلـــب علـــى منتجـــات إثيوبيـــا و إســـتمرت التجـــارة بـــين أقاليمهـــا الداخليـــة حيـــث كانـــت المنتجـــات الإقليميـــة مثـــل البطانيـــات الصـــوفية مـــن منـــز والملـــح مـــن إريتريـــا والقهـــوة مـــن كيفـــا تُســـوَّق في كل مكان .

كـــان حكـــام الجيـــب متـــأثرين بشـــدة بالتجـــار المســـلمين الـــذين جلبـــوا لهـــم الرخـــاء حيـــث إنجـــذبوا بطبيعـــة الحـــال إلـــى الإســـلام ، وقـــد ســـمح إعتنـــاق الأورومـــو للـــدين الإســـلامي بمشـــاركة شـــبكة التجـــارة بشـــكل كامـــل مـــع إثيوبيـــا الكبرى والعالم و ميزهم عن الشمال المسيحي من بلاد الحبشة .

[٥٣] يقصد المؤلف بالمناطق الشمالية أقاليم تيغراي و أمهرا و شوا (المترجم) .

في غضون ذلك ، إنضم الأورومو المحدثون إلى الأرستقراطية الحاكمة في جوندر و بيجمدير و لاستا و ييجو ، و تعاونت سلالة منزي الكائنة في شوا مركز إثيوبيا بالتناوب أو قاتلت مع الأورومو الذين تم إستيعاب أقصى شمالهم سياسياً ، ومع ذلك ، في قلب المسيحية ككل، ناضلت النخب القديمة وتمكنت من البقاء إما كزعماء إقليميين – على الرغم من وجود الكثير من المتطفلين هنا – أو كمزارعين .

في جوندر على وجه الخصوص لجأ النبلاء إلى مهن غير مرغوبة تقليديًا مثل الحدادة والنسيج والتجارة و طوروا ما يسمى بالألاكينات ، وقد منح هذا الجهاز الجديد فردًا واحدًا حصة كبيرة من ممتلكات الأسرة وقوتها أو بالأحرى أمانة للجيل التالي ، كما ضمنت بعض العائلات مستقبلها من خلال ربط هبات الكنيسة بالدعم لها عبر الأجيال لسلالات محددة ، و في حين ساعدت الإستمرارية البعض على البقاء و الإزدهار لأن التغييرات السياسية جعلت حياة الفلاحين أقل أمانًا .

في الريف ، كان بإمكان معظم الأفراد المطالبة بالأرض ولكن ليس إمتلاكها و كانت ممتلكات الفرد هناك تعتمد على الوضع الشخصي والعمر والنفوذ وخصوبة التربة والمطالبات المتنافسة والوضع السياسي ، إذا كان الإقطاعي (الإقطاع) قادرًا على إبتكار سلسلة نسب كافية للحصول على الأرض على أساس أن المنطقة كانت ذات يوم جزءً من دولة ما قبل الإمبراطورية الإثيوبية الكبرى حيث عادت إلى التقاليد السياسية السابقة ، من بينها تقليد البيوت الصخرية التي تنحدر من شمال شوا و التي قد تفقد بعضاً منها جزءً من أفضل قطع أراضيها ، فضلاً عن

ذلك لم يكن الإقطاعيون أنفسهم يتمتعون بأي أمان في مناصبهم في مواجهة السياسات المتغيرة بإستمرار للمقاطعة والقصر ، و بالتالي، لم يكن الفلاحون و لا الأرستقراطيون على إستعداد للإستثمار في الأرض أو تحسينها بأي شكل من الأشكال ، و الواقع أنه خلال عصر الأمراء ، لم يكن من المرجح أن يشعل أمراء الإقطاع الإثيوبيون شرارة الإبداع أو الفن و العمارة أو يضعون وضع الأجيال القادمة في عين الإعتبار .

كانت الحياة في القرن الثامن عشر لمعظم الإثيوبيين صعبة و مليئة بالكدح وخالية من النجاحات حيث كان هناك القليل من مفهوم التغيير والنمو والتطور على أساس التعليم و العمل ، و كان لكل فرد مكانة في المجتمع و قليلون هم الذين إنتقلوا من طبقة إلى أخرى ، ولم يكن أحد عملياً يشكك في النظام الإجتماعي السائد آنذاك ، و على الرغم من وجود تمردات فلاحية عرضية فإن التمايز بين الطبقات لم يكن له علاقة كبيرة بالجودة و لكن بالكمية .

كان الحاكم يتمتع بمجمع واسع به مبانٍ كبيرة ومرافق تخزين و لديه ملابس وأدوات منزلية وأطعمة محلية الصنع، وربما كان هذا الأخير هو الفارق الوحيد الأكثر أهمية في مستوى المعيشة ، قد يرتدي قميصًا مصنوعًا من قماش مستورد و لكن في الغالب كان هو وأفراد عائلته يرتدون نفس الملابس ، ويأكلون نفس أنواع الأطعمة ، ويناmون في نفس نوع الأسرة ، ويجلسون على نفس المقاعد، ويستخدمون نفس الأدوات .
كان الإقتصاد الريفي مكتفيًا ذاتيًا حيث كان الناس يعرفون القليل عن العالم الخارجي المحيط بهم ولا يهتمون به لا من قريب أو من بعيد ، و

لقد كان هذا هو حالهم في الماضي حيث كان من النادر أن تؤثر هذه الأحداث على أسلوب حياتهم ، و ربما كانوا يفهمون الأزمة السياسية المزمنة في جوندر من منظور الصراع المحلي ، لقد فعل ميكائيل سيهول ما فعله باندورا عندما إغتال إيواس ، فمن الصندوق المفتوح كانت كل أشكال البؤس الممكنة تصيب إثيوبيا غالبًا في تسلسل مربك ومربك على الرغم من أن الطموح كان الجذر الرئيسي للمشاكل الداخلية و الخارجية على حد سواء ، فلقد إستاء تحالف من أمراء الأمهرا و الأورومو الحسودين من التيغراي ، ومع رجال الدين المتحدين هاجموا قاتل الملك ومفاهيمه التي تدعي مسح المسيح .

في عام ١٧٧٠، رد ميكائيل بفرض حكم الإرهاب في جوندر، حتى أنه أعدم رجال الدين الكبار ولكنه فشل في تهدئة الريف حيث تحالف فاسيل من داموت و جوشو من الأمهرا و وند بيوسن من بيجمدير لمحاربته ، في يناير ١٧٧١، وبعد معركة شرسة ، تم القبض على ميكائيل ونفيه إلى شوا ، و أصبح جوشو رأسًا رئيسيًا (راس–بيتوديد) للإمبراطور تكلي هيمانوت الثاني (١٧٦٩ – ١٧٧٧م) الذي نصبه ميكائيل ليحل محل الإمبراطور المسن وغير المتعاون يوحنا الثاني (حكم من ١٧٦٩م) ، و بعد فترة وجيزة ، أفسح جوشو المجال لفاسيل ، الذي قُتل بدوره على يد تحالف من نبلاء أمهرا في عام ١٧٧٥م .

وساعد شقيقه سليمان الثالث (١٧٧٧–١٧٧٩م) الإمبراطور تكلي هيمانوت على الخروج من منصبه ، و بعد ذلك أفسح المجال لتيكلي جورجيس الأول الذي كان سجله غير المنتظم في الحكم ــ ١٧٧٩–

١٧٨٤م ، ١٧٨٨-١٧٨٩م ، ١٧٩٤-١٧٩٥م ، ١٧٩٥-١٧٩٦م ، ١٧٩٧-١٧٩٩م ، ١٨٠٠م ــ يجسد حقيقة العصر الراهن آنذاك ، فعندما كان في بعض الأحيان قادرًا على ممارسة السلطة الشخصية إستخدم تيكلي جورجيس الأول قوات مسلمة تحت قيادة علي الأول من ييجو (توفي عام ١٧٨٨م) و الذي بعد إعتناقه المسيحية أصبح متمردًا على يد إمبراطور ممتن حيث كان هذا الأخير ــ على نحو مفهوم ــ مصابًا بجنون العظمة المزمن وسرعان ما أصبح لا يثق حتى في علي حتى و أصر على أن يتخلى عن منصبه ولقبه ، ورد علي بإسقاط الإمبراطور من الحكم في عام ١٧٨٤م ، و بعد ذلك ، أصبحت السلطة من إمتياز الزعماء الإقليميين ، و لم يكن حارس الإمبراطور سوى الأول بين المتساوين حتى و إن كان متمردًا عليه .

كان إستمرار السلطة و الإحتفاظ باللقب يعتمدان إلى حد كبير على قدرة صاحبه على تنظيم دعم أمراء المقاطعات له ، و رغم أن بعض المرونة كانت مطلوبة إلا أن الرجل العادي كان ناجحًا عادةً حيث كان زملاؤه متورطين في حكم و إستغلال مقاطعاتهم و السيطرة على مرؤوسيهم الطموحين أو في صد جيرانهم الطامعين .

عانى الفلاحون كثيرًا مع عبور الجيوش الكبيرة والصغيرة للحبشة مما أدى إلى تدمير الريف و الإقتصاد معا حيث أُجبر العديد من المزارعين على ترك أراضيهم والذهاب إلى ساحة المعركة، وهو التحول الذي أدى إلى إفقار القطاع الريفي والنهب المتكرر وحرق جوندر ، وفي الوقت نفسه، إحتقر رجال الدين إلتزام الرأس علي بالمسيحية و إحتقر النبلاء

أصـــوله فـــي ييجـــو حيـــث كـــان و رفاقـــه وحلفـــاؤهم مـــن أمباســـل ولاســـتا وواج أقويـــاء بمـــا يكفـــي لقمـــع التمـــردات المتكـــررة علـــى الـــرغم مـــن أن شـــعب ييجـــو فقد السيطرة على المنطقة الواقعة غرب تيكيزي .

كـــان أعـــداء علـــي ســـعداء بوفاتـــه عـــام ١٧٨٨م ، وفـــي صـــراع الســـلطة الـــذي تـــلا ذلـــك هـــاجم شـــعب ييجـــو بعضـــهم الـــبعض، ودمـــروا جونـــدر وبيجمـــدير، وذبحـــوا الفلاحـــين الأبريـــاء و إســـتعبدوا آخـــرين ، وعنـــدما أنتصـــر الـــرأس جوجســـا مـــن ييجـــو (١٨٠٣– ١٨٢٥م) و أصـــبح أخيـــرًا إمبراطـــور عـــام ١٨٠٣م قـــرر أن يكـــون يقظًـــا علـــى الـــدوام و أن يمـــارس ســـيطرة شخصـــية وثيقـــة علـــى كـــل جانـــب مـــن جوانـــب الحكومـــة ويعامـــل الجميـــع بمـــا فـــي ذلـــك حاشيته بقسوة .

كـــان عليـــه قبـــل كـــل شـــيء أن يســـيطر علـــى وولـــد سيلاســـي (تـــوفي عـــام ١٨١٧م) الـــذي إنتـــزع تيغـــراي مـــن وولـــد غابرييـــل (تـــوفي عـــام ١٨٢٠م) ، وريـــث رأس ميكائيـــل ، و كـــان يحـــاول إســـتعادة الثقـــة فـــي القيـــادة التقليديـــة للمقاطعـــة حيـــث أن وولـــد سيلاســـي كـــان مســـيحياً محافظـــاً يقـــدّر التقاليـــد الملكيـــة الإثيوبيـــة و يكـــره المحـــدثين مـــن أهـــل الخيـــر ، فهـــاجمهم بغـــزو أزيبـــو و رايـــا فـــي إقلـــيم أورومـــو و الســـيطرة علـــى جميـــع الممـــرات المهمـــة فـــي لاســـتا المؤديـــة إلـــى تيغـــراي ، ثـــم حـــول إهتمامـــه إلـــى الســـاحل ، بعـــد ذلـــك فـــرض بـــبطء ولكـــن بثبـــات ســـيادته علـــى الســـلطات المســـلمة هنـــاك حتـــى تمكـــن أخيـــراً مـــن الســـيطرة علـــى تجـــارتهم الداخليـــة وفـــرض الضـــرائب عليهـــا و إســـتخدام عائداتها كما فعل رأس ميكائيل لإصلاح جيشه وإعادة تجهيزه .

عندما حل مطلع القرن التاسع عشر، كان وولد سيلاسي على الأرجح الشخصية الرائدة في الحبشة وبالتأكيد البطل الرئيسي للتقاليد السليمانية ، ففكّر حتمًا في إزالة قيادة أورومو الشرقية، وإعادة توحيد إثيوبيا المسيحية و إستعادة النظام الملكي ، و ظلت مرارة كبيرة بين قيادة الأمهرا وتيغراي بسبب السجل الطويل الذي دام قرنين من الزمان من العجز أمام تقدم الأورومو ، و قد تفاقمت المشاعر القاسية أولاً بسبب صعود النخب الأورومية الأمهرية المشتركة التي دعاها الأباطرة المضطربون لتقاسم السلطة ، ثم بسبب صعود رؤساء ييجو وتلاعبهم بالإمبراطور المستضعف ، فإستغل وولد سيلاسي التحيز العام المناهض للأورومو .

التحرك ضد ييجو :

في حوالي عام ١٨٠٩، إقترب من جيبرو ديجازماتش من سيمن و رأس فوسن سيجيد مطلقا على نفسه إسم شوا (١٨٠٨-١٨١٣م) حيث كان الممثلين المسيحيين الرئيسيين الأمهرا-شيوا عمومًا من غير الموحدين ، وكان التغرينيون[٥٤] أكثر تقليدية من الإتحاد .

في عامي ١٨١١-١٨١٢م تلاعب رأس غوغسا بسيطرته على الإمبراطور والأبون لتفاقم الإختلافات الدينية بين أعدائه وتدمير وحدتهم ، تراجع شوا بسرعة عن المشهد الوطني للتركيز على القضايا الداخلية والسياسة مع بدء الحاكم الجديد، سهل سيلاسي (١٨١٣ - ١٨٤٧م) في تعزيز حكومته. وفي الوقت نفسه، كبر وولد سيلاسي في معارضته الشديدة لليجو، و بحلول وقت وفاته في عام ١٨١٧م ، كان جوجسا قد كسر الجبهة المعادية للأورومو من خلال ترتيب تحالف زواجي مع ديج هايلي مريم، الحاكم الجديد لسيمين حيث ظلت قبيلة ييجو وشعبها أسياد الملكية الغوندرية إذ ساعد الإنقسام السياسي للعبادة التقليدية الأورومو الشرقيين على الإحتفاظ بالسلطة .

في عام ١٨١١م ، تولى محمد علي المصري القادر والمبدع (١٨٠٧-١٨٤٨م) حكم مصر حيث شرع في البدء بغزو بطيء ولكنه ناجح لشبه الجزيرة العربية و دول الخليج العربي و اليمن و ساحل البحر الأحمر و أعادت ظهور تأثيرات القاهرة في المنطقة التجارة في البحر الأحمر إلى أهميتها السابقة حيث نما على إثرها الطلب على العبيد

---

[٥٤] الإسم الذي يطلق على سكان إقليم التيغراي (المترجم) .

والقهوة والجلود والمسك والعاج من جنوب إثيوبيا مما أثر على الشمال على الفور، حيث شاركت مراكز التجارة في شيوا وبيجمدير وتيغراي في نقل السلع إلى البحر .

و الواقع أن العملة الأساسية لإثيوبيا ، وهي قطعة الملح المستطيلة التي يبلغ وزنها نصف كيلو جرام والتي تسمى آموليه قادمة من الشمال ، و نشأت قيمة المال من الحاجة البيولوجية للملح والإجماع على أن القطعة كانت مقياسًا للقيمة أفضل من العملات المعدنية غير المألوفة حيث كانت جميع الأملاح تأتي من سهول تالتال في منخفض عفار على بعد مائة ميل جنوب وشرق مصوع و سكانها يكسبون عيشهم إما من خلال جلب الملح إلى المرتفعات أو من خلال تسهيل عمل قوافل الملح السنوية من إندرتا وأجامي ، و كان الزوار – معظمهم من الشباب – يمكثون فيها لفترة قصيرة فقط و يعملون بجد في حرارة شديدة لخلع كتل الملح الكبيرة بما يكفي لأخذها إلى منازلهم المرتفعة الباردة حيث كانت تُشكَّل القضبان بالإزميل والفأس ، و من مصدرها، كان من الممكن شراء ثمانين إلى مائة أملاح مقابل دولار ماريا تيريزا (MT) ، و كانت قيمتها ترتفع مع نقلها إلى الداخل، مما جعلها سلعة تجارية مربحة للغاية .

و بالنسبة لحكام تيغراي ، كانت الضرائب المفروضة على التجارة في الأملاح تزيد من العائدات التي حصلوا عليها من تجارة الترانزيت من وإلى مصوع و بفضل دخولهم المرتفعة نسبيًا وسهولة وصولهم إلى البحر حيث تمكنوا من شراء أسلحة كافية للتفوق على منافسيهم في أماكن

أخرى في إثيوبيا و إحتفظوا بهذه الميزة حتى تمكن الحكام في أماكن أخرى من تحويل أو السيطرة على التجارة المتنامية من جنوب إثيوبيا .

صدرت ولايات جيبي السلع إلى غوجام ومن ثم عبر بيجمدير و يلو إلى ساحل عفار[٥٥] ومصوع للتصدير إلى البحر الأحمر أو إلى ميتيما للتجارة مع السودان [٥٦]، كانت غوندر أهم مركز عبور في المرتفعات الحبشية، على الرغم من إحتفاظ هرر بأهميتها، حتى مع فقدان طريقها من جنوب إثيوبيا إلى زيلع وبربرة للنقل. في مطلع القرن التاسع عشر، لم تستفد شوا بشكل مباشر من التجارة المتنامية في إثيوبيا، ولكن في وقت لاحق، إستفادت من نفسها ماريا تيريزا (١٧١٧-١٧٨٠م) التي كانت ملكة النمسا و المجر و بوهيميا[٥٧] و زوجة فرانسيس الأول ملك الإمبراطورية الرومانية المقدسة حيث صدر الدولار الذي يحمل صورتها لأول مرة في عام ١٧٥١م ويحمل الدولار[٥٨] الذي لا يزال يُسك منذ عام١٧٨٠م التي يبلغ وزنها ٢٨.٠٦٦٨ جرامًا من الفضة النقية ٠.٨٣٣١، شائعة على الفور وبشكل مستمر في منطقة البحر الأحمر غير المستقرة[٥٩] و في إثيوبيا، حيث لم يتم ضرب أي عملة منذ القرن العاشر .

---

[٥٥] يقصد المؤلف بساحل عفر جنوب إرتيريا و شمال جيبوتي (المترجم) .

[٥٦] لم تكن السودان دولة مستقلة آنذاك كما ذكر المؤلف بشكل غير مباشر بل جزءً من مصر بعد ضمها إليها على يد محمد علي عام ١٨٢٤م (المترجم) .

[٥٧] يقصد المؤلف تشيكوسلوفاكيا في العصور الوسطى (المترجم) .

[٥٨] أولا لم تكن تعرف بدولار ماريا تيريزا بل ريال ماريا تريزا و عملة نمساوية ظلت تسك في فيينا منذ عام ١٧٨٠م حتى سقوط الإمبراطورية النمساوية – المجرية عقب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م رغم أنها ظلت متداولة لدى سكان اليمن الشمالي(التي كانت تعرف عندهم بالريال الفرنسي) حتى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م (المترجم) .

[٥٩] يقصد المؤلف اليمن لأنه كان يعاني من الإضطرابات الداخلية أواخر الدولة القاسمية (١٦٣٢-١٨٧٢م) و إنفصال المحافظات الجنوبية عنها منذ القرن السابع عشر (المترجم) .

أعلن الملك سهل سيلاسي (١٨١٣ – ١٨٤٧م) عازمًا على الحصول على نصيبه العادل من الثروة حيث كانت مقاطعته تقع بالقرب من مناطق الإنتاج والشحن، وعمل هو وخلفاؤه عمومًا على التوسع جنوبًا، والجمع بين التحررية السليمانية والتوسع الإقتصادي .

لطالما إشترى سكان الشرق الأوسط العبيد الإثيوبيين لجيوشهم وحقولهم ومنازلهم وأسرتهم ، لم يكن عبيد الحبشة كما تم تصنيفهم بشكل عام من الحبشة[٦٠] عادةً ولكن من جنوب وغرب إثيوبيا ، حيث لم تتمكن مجتمعاتهم من حماية أنفسهم ضد أسلحة الغزاة النارية. لم يسمح القانون الديني للمسيحيين بالمشاركة في التجارة، ولكن كان بإمكانهم شراء العبيد وامتلاكهم واستخدامهم؛ وكان بإمكان الحكام مثل سهل سيلاسي فرض ضرائب على المعاملات مع تسويق العبيد أو مع مرور حركة المرور عبر شيوا وتوابعها. نظرًا لأنه لم يكن من الممكن أن يشارك المسيحيون، فقد هيمن المسلمون على تجارة الرقيق، وغالبًا ما كانوا يذهبون إلى أبعد وأبعد للعثور على الإمدادات. غالبًا ما كان يتم توفير العبيد من قبل حكام أورومو وسيدامو الذين أغاروا على جيرانهم أو الذين استعبدوا شعبهم حتى لجرائم بسيطة. كانت القرى التجارية المجاورة للمدن الكبرى كانت أسواق جنوب غرب إثيوبيا مليئة بالعبيد على نحو ثابت، حيث كانت الطبقات العليا تتبادلهم بالسلع المستوردة التي كانت تطمع فيها. وكان العبيد يُنقلون سيرًا على الأقدام إلى أسواق التوزيع الكبيرة ،

[٦٠] لم يوضح المؤلف مصطلح الحبشة للقراء بشكل سليم ، فتارة يطلقه على إثيوبيا الحالية كاملة و تارة أخرى يطلقها على المناطق الواقعة شمال إثيوبيا و لاسيما أقاليم شوا و أمهرا و التيغراي متناسيا أن الحبشة مأخوذ من قبيلة يمنية قديمة إستوطنت إرتيريا في القرن الخامس قبل الميلاد تدعى حبشت و أن الحبشة كان الإسم الرسمي لإثيوبيا قبل تغييره إلى إثيوبيا بقرار من الإمبراطور هيلاسلاسي عام ١٩٣٢م (المترجم) .

مثل باسو في غوجام، حيث كانوا يُباعون في موقع الإنتاج ، و في بعض الحالات، أنشأ الحكام المسيحيون سوقًا للعبيد معزولة على مسافة ما من مركز تجاري عام أكبر ، على سبيل المثال ، عندما جعل ساهلي سيلاسي أنكوبر عاصمة له ، أصبحت عليو أمبا الواقعة في الأراضي المنخفضة المجاورة عند تقاطع العديد من طرق القوافل المستودع الرئيسي لشوا و تجارتها الشرعية في الجنوب ، و كانت التجارة الأقل لياقة في العبيد تُجرى على بعد بضعة كيلومترات إلى الجنوب عند عبد الرسول حيث كان يُباع ما بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف من العبيد سنويًا للتجار من حرير وتاجورا وأوسا ورحيتا وويلو وشمال إثيوبيا ، لقد كان موقع عبد الرسول أكثر ملاءمة من باسو لتصدير العبيد إلى شبه الجزيرة العربية حيث أدى النمو الاقتصادي إلى زيادة الطلب على العبيد .

في كل عام في يناير (بعد الحصاد الرئيسي وقبل هطول الأمطار القصيرة في مارس وأبريل)، ويونيو (بعد الحصاد بعد الأمطار القصيرة)، وبعد أكتوبر (عندما تنتهي الأمطار الطويلة ويتم زرع الحقول)، قاد سهل سيلاسي البعثات الإستكشافية جنوبًا ، و بحلول عام ١٨٤٠م ، سيطر الملك على معظم شوا حتى نهر أواش وتمتع بالسيادة على مناطق في الجنوب حتى غوراج .

لقد أعاد توجيه التجارة عبر عليو أمبا وعبد الرسول و بالتالي زاد من أهميتهما وروج للطريق عبر شوا إلى البحر وزاد من عائداته من ضرائب المعاملات ورسوم العبور والرسوم الجمركية حيث إستفاد الملك وكبار مسؤوليه بشكل مباشر من الإستثمارات التي قاموا بها في قوافل التجار

الأكبـر حجمًـا كمـا تلقـوا هـدايا مـن التجـار الـذين سـعوا للحصـول علـى مزايـا أو أحكام قانونية مفيدة .

و هكــذا ، خــلال عهــد ســهل سيلاســي ، كانــت شــوا تصــبح بوضــوح مركــزًا للإقتصــاد الإثيــوبي ، حتــى لــو كــان هــذا التطــور محجوبًــا بالأهميــة المســتمرة لباســو وجونــدر وأكســوم وميتســيوا وهــاتر ، ومــع ذلــك، لــم يأخــذ الخماســي معًــا فــي الإعتبــار عــدد العبيــد و لا كميــة القهــوة التــي عجلــت مراكــز شــوا بنقلهــا وشــحنها إلــى الأمــام ، فضــلا عــن وجــود فاصــل زمنــي قبــل أن يــتمكن قــادة المقاطعــة مــن ترجمــة نفــوذهم الإقتصــادي إلــى هيمنــة سياســية حيــث واصــل فــي الوقــت نفســه حكــام شــيوان توســيع ســلطتهم وســلطتهم تجــاه الجنوب الغربي الغني .

فــي حــوض نهــر جيبــي، أفســح الشــكل الــديمقراطي القــديم لحكــم الأورومــو المجــال لــدول ملكيــة مثــل غومــا وغومــا وليمــو-إينيريــا وجيــرا وجيمــا (و قــد إنحرفــت الأخيــرة بعيــدًا عــن تقاليــدها المســاواتية) وبحلــول عــام ١٨٣٠م ، كانــت ملكيــة شــديدة المركزيــة ومنظمــة جيــدًا وقويــة تحــت حكــم أبــا جيفــار الأول (تــوفي عــام ١٨٥٥م) الــذي بــرزت ســلالته بعــد حــرب طويلــة ودمويــة ضــد ثمانيــة آخــرين مــن آبــا دولا أو قــادة الحــرب ، وبمجــرد أن فــاز أبــا جيفــار ببــلاده شــرع فــي إخضــاع الفلاحــين الــذين فقــدوا الســيطرة علــى أراضــيهم لعائلــة ممتــدة محليــة يرأســها مــا يعــادل اللــورد الإقطــاعي ، و قــد إســتولى الأخيــر علــى الفــوائض مــن أفــراد ســلالته ، الــذين أصــبحوا الآن أشــبه بــالمزارعين المســتأجرين ، و بيعــت المنتجــات إلــى مئــات القوافــل مــن مشــتري الــبن والعبيــد الــذين كــانوا يمــرون عبــر الــبلاد ذات الموقــع الممتــاز.

ومن خلال كل هذا النشاط التجاري، أصبح أبا جيفار والطبقات الحاكمة أغنياء وقويين بما يكفي للهيمنة على الولايات المجاورة ، بما في ذلك إينريا زعيمة المنطقة حتى ذلك الحين ، و مع هذا ، فر ليما إلى الشمال حيث كانت تعقيدات زمانا ماسافنت تقترب من ذروتها .

بعد وفاة الرأس وولد سولاسي في عام ١٨١٧م ، خاض أحفاده و أحفاد ميكائيل سيهول معارك على تيغراي و في شمال وغرب بيجيمدير حيث كافح ديج هايلي مريم، الذي خلف والده ديج جيبرو، مع ديج.مارو من منزل متنافس، على الرغم من أن كلا الرجلين إعترفا بسيادة والد زوجتهما المشترك، الرأس جوجسا ديج .

كان علولا ، إبن جوجسا، يدير غوجام؛ وفي ييجو، حكم أحفاد ديج عليجاز (شقيق رأس علي)، الذين خسروا أمام جوجسا على الجبهة الوطنية، بهدوء، كما فعل ديج أحمدي من ويلو، الذي كان يبني دولة إقطاعية قائمة، كما هو الحال في منطقة جيبي، على الإسلام .

أدى وفاة رأس جوجسا في يونيو ١٨٢٥م إلى فترة أخرى من الحرب السياسية المحمومة في بيجمدير وغوجام. ومن الطبيعي أن الإمبراطور ساهلي دنجل الحاكم آنذاك لم يكن له دور، حيث كان شغله الشاغل هو كسب لقمة العيش على ٣٠٠ دولار متري تدفع له سنويًا من تجار غوندر المسلمين (!)

. كما ظل ساهلي سيلاسي منعزلاً، حيث كانت طاقاته مكرسة لتوسيع نطاقات شيوا وتعزيز سلطته. ومن المثير للاهتمام، أن ديج. ظل

سيباغاديس، الحاكم الجديد لتيجراي منذ عام ١٨٢٢، خارج المعركة لبناء إدارته، وظل غير مبالٍ حتى عام ١٨٢٨،عندما أصبحت الاحتمالات السياسية مغرية للغاية ، بحلول ذلك الوقت، كان ديج مارو قد سقط في المعركة، وتوفي راس يمام، ابن راس جوجسا ووريشه، لأسباب طبيعية، ليخلفه شقيقه راس ماري. وعندما رأى سيباغاديس ضعف سلالة ييجو ، لجأ إلى هدف ديج وولد سيلاسي القديم المتمثل في بناء تحالف لاستعادة أمهرا وتيجراي إلى مكانهما الصحيح في جوندر. ومع ذلك، لم يكن من السهل تحقيق الوحدة في بلد معتاد علىالانقسام، ولم يشكل التيجرايون تحالفًا فضفاضًا إلا في عام ١٨٣٠. سمح التأخير لراس ماري بإنجاز خلافته وتنظيم تحالف مضاد يتألف من بيجيمدير وييجو وويلو. لقد خاض أولاً حملة ضد حلفاء سيباجاديس السابقين، ووبي من سيمون (خليفة ديج هايلي مريم)، وجوشو زيودي من جوجام، وكينفو (ابن شقيق ديج مارو) من المناطق الحدودية السودانية (من أجيو ميدير في الجنوب إلى ميتيما في الشمال)، وعاقبهم وأخضعهم. وقد انضموا إلى جيش الراس في عام ١٨٣١، عندما سار شمالاً من جوندر إلى ديبري أباي على تيكيزي حيث هزمت فرسانه الأورومو بقيادة رائعة جيش سيباجاديس. ومع ذلك، ماتت ماري في القتال، و أُعدم سيباجاديس.

تولى شقيق ماري دوري القيادة وقاد قواته المكونة في الغالب من ويلو إلى تيغراي في حملة نهب ، ولكنها توقفت عندما مرض الراس الجديد وتوفي. وظل ووبي حاكمًا جديدًا للمقاطعة وقام بذكاء بتعيين بعض أفراد

الطبقة الأرستقراطية التقليدية، بما في ذلك أبناء سيباغاديس، كحكام فرعيين.

وبهذا، نجح في توحيد شمال إثيوبيا بالكامل من تيغراي إلى ويغيرا، وهي حقيقة ذات أهمية محتملة في النضال ضد الأورومو. وفي الوقت نفسه، خلف دوري ابن أخيه راس علي الثاني (حكم ١٨٣١-١٨٥٣)، وهو قاصر كانت وصيته والدته اللامعة سياسياً، مينيأ ويلو، التيقبلت المسيحية لتتزوج من عائلة رأس جوجسا.

بعد عام ١٨٤٠م ، أُطلق عليها إسم إتيجوي، أو الإمبراطورة، تقديراً لزواجها من يوحنا الثالث (١٨٤٠-١٨٥٥م) آخر أباطرة زمانا ماسافنت الذي كان آخر عمل رسمي للطاعة هو إخلاء التاج لصالح تيودروس الثاني (١٨٥٥-١٨٥٨م) .

كانت أصولها مشبوهة بالنسبة للمسيحيين الصالحين حيث سعت حينها إلى إكتساب الشرعية من خلال الزواج من الإمبراطور عديم القيمة يوحنا الثالث (١٨٤٠ – ١٨٥٥م) ، كما حشدت النبلاء المسيحيين الأوروميين و أقاربها وأتباعها المسلمين لدعم إبنها الذي تجاهلًا للدقائق السياسية أحاط نفسه بالمتملقين المسلمين و الأورومو وأظهر لامبالاة كبيرة بالمناقشات المسيحية التي ميزت سياسات الحبشة لفترة طويلة ، وسرعان ما دوت نداءات الردة ، ففي تيغراي، تولى ديج ، و أثار ووبي قلقًا على الفور، وأشرك أبونا سلامة الذي وصل حديثًا في التحالف المناهض للجميع الناشئ .

كـان المطـران قـد وصـل إلـى إثيوبيـا منـذ فتـرة طويلـة ــ فقـد تـوفي كيريلـوس فـي عـام ١٨٢٩م – منـذ أن إكتفـى نظـام غونـدرين بالسـماح للكنيسـة بـأن يـديرها إتشـيجي، وهـو الضـابط الإداري الإثيـوبي ، و كانـت القيـادة تعلـم أن الأسـقف الجديـد سـوف يسـعى إلـى جعـل الكنيسـة الأرثوذكسـية متوافقـة مـع وجهـة النظـر الإسـكندرانية التقليديـة ، و أي تحـرك مـن هـذا النـوع مـن شـأنه أن يعـزز الجنـاح الإتحـادي للكنيسـة الأرثوذكسـية، الأمـر الـذي يعـود بـالنفع علـى تيغـراي ، وبحلـول ذلـك الوقـت، كانـت غونـدر مليئـة بأنصـار بدعـة الـولادة الثلاثـة الجديـدة، وعنـدما تـأخرت السـلطات الكنسـية هنـاك فـي طلـب راهـب جديـد، نجـح ووبـي، بصـفته حـاكم تيغـراي، فـي تقـديم إلتمـاس إلـى القـاهرة لإرسـال رئـيس أسـاقفة ، و سـرعان مـا لفـت ووبـي إنتبـاه سـلامة إلـى إرتـداد رأس علـي الواضـح : ألـم يكـن لديـه العديـد مـن المسـلمين المهمـين والمـؤثرين فـي الـبلاط ؟ ألـم يكـن يكـرم أقاربـه المسـلمين مـن قبيلـة ييجـو ؟ ألـم يكـن يـؤثر علـى ملابـس المسـلمين مـن وقـت لآخـر ؟ ألـم ينـام مـع محظيات مسلمات ؟ ...... الخ .

كانـت هـذه المخـاوف كافيـة لإقنـاع سـلامة بطـرد علـي، لأنـه أراد أن يبـدأ أسـقفيته فـي جونـدر دون الحاجـة إلـى إسترضـاء أي مـن أتبـاع بدعـة الـولادة الثلاثية الأقوياء .

سـاعد تعـاون الأبـون ووبـي فـي تجنيـد الجنـود وجـذب مسـاعدة بيـرو جوشـو التـابع لغوجـام ، و عنـدما إنـدلعت المعركـة فـي ٧ ينـاير ١٨٤٢م خـارج ديـري تـابور قـدم رأس علـي وحلفـاؤه مـن الأورومـو أداءً ضـعيفًا ضـد الأسـلحة الناريـة التـي حشـدت ضـدهم ولكـنهم فـازوا علـى أي حـال بفضـل

سلسلة من الأحداث الفاشلة والفرص الضائعة من قبل خصومه. كان الراس مدركًا تمامًا أن الصدفة كانت سلاحه السري، لدرجة أنه بعد رفع الطرد ، قبل إستسلام سلامة وتوصيته بأن المسيحية ستكون أفضل من خلال العفو عن ووبي .

بحلول عام ١٨٤٥م ، تصاعدت حدة القضايا العقائدية المعقدة و تم إثارتها في الحبشة مجددا حيث جابت جيوش ترعى ظاهريًا أحد النوعين من المسيحية، ثم الآخر، الريف، بينما كان الخلاف الحقيقي في الواقع يدور حول السلطة السياسية في إثيوبيا .

طرد أبونا سلامة جميع أتباع سوست ليدوت، بما في ذلك الملك سهل سيلاسي، ورأس علي، وإيتيجوي منين، والإتشيجي، وأتباع عاديين بعشرات الآلاف ، و في مارس ١٨٤٧م ، وفي خضم الفوضى، إحتل المصريون إرتيريا و الصومال والمناطق المحيطة بها من البحر الأحمر ، فإنتشرت شائعات مثيرة للقلق مفادها أن جنود محمد علي كانوا يستعدون للإنتقال إلى الداخل، وهو التهديد الذي دفع ووبي إلى الحدود الشمالية الغربية وعلي إلى هدنة معه ومع أبونا سلامة .

ربما إستجاب علي لتهديد الغزو الأجنبي ، و لكن من المرجح أنه ماطل في التعامل مع التهديد الأكثر مباشرة الذي مثله صهره، كاسا هايلو، الذي أصبح فيما بعد تيودروس الثاني (١٨٥٥ – ١٨٦٨م) وكان من كوارا، وهي منطقة حدودية تقع إلى الغرب من بحيرة تانا، حيث كان الناس في الأراضي المنخفضة يعيشون في الغالب من خلال النظر إلى الإتجاه الآخر و إحترام أي رجل قوي يأتي و في هذه الأرض المحرمة

عاش العديد من المهربين الذين كانوا يحملون البضائع المحظورة من و إلى الحبشة والسودان، والشيفتا (اللصوص أو السارقون) الذين كانوا يفرون من السلطة أو

يظهرون إستياءهم من الحكومة المركزية ، و بالنسبة للنبيل الذي كان طريقه إلى النجاح مسدودًا بطريقة أخرى ، كانت أعمال اللصوصية وسيلة رئيسية للتنقل الإجتماعي ، إن التضاريس الصعبة لولاية كوارا جعلتها غابة شير وود الإثيوبية ، ولكن هناك قدر كبير من الصحة في إعتبار كاسا هايلو مصلحًا إجتماعيًا كما هو الحال في حالة روبن هود حيث لم يأت الإمبراطور المستقبلي من الشعب و لم يعمل لصالح الجماهير، سواء كقطاع طرق أو كحاكم .

وُلد كاسا عام ١٨١٨م ، وكان والدا كاسا هما ديج هايلو وولدي جيورجيس الذي حكم كوارا و ويزرو أتيتجاب ، وكلاهما حصل لاحقًا على أنساب سليمانية مُخترعة .

لم يكن هناك زواج ملزم في الكنيسة ، و حوالي عام ١٨٢٠م ، إختار الديجازماتش زوجة جديدة ، وأخذت أتيتجاب إبنها إلى جوندر، حيث كانت تكسب رزقها من بيع الكوسو و هو مُلين قوي للمعدة ، ولما عجزت عن إعالة إبنها على النحو اللائق، أرسلته إلى كوارا عندما تولى الحكم ديج. كينفو (ت. ١٨٣٨م؟) ، ثم أخذ الصبي إلى بلاطه حيث علمه الدروس الأساسية للحكومة الإثيوبية والإدارة والحرب ، و على الجانب الأكاديمي ، أصبح كاسا قارئًا نهمًا، وكان مهتمًا بشكل خاص بالتاريخ الأوروبي القديم والحديث ، و إنتهى تعليمه في عام ١٨٣٩م ،

عندما أُجبر هو وغيره من الضباط الشباب على مغادرة كوارا وبدء حياتهم المهنية الخاصة بعد وفاة مثلهم الأعلى كينفو .

بعد عدة سنوات من الإحباط أثناء العمل لصالح جوشو في جوجام، عاد كاسا إلى كوارا، المكان الوحيد الذي شعر فيه بأنه في وطنه حقًا و إن لم يكن وجوده هناك موضع ترحيب من قبل مينين الذي أزعجه ضباطها إلى حد دفعه للهرب كشيفتا إلى بر الأمان الفوضوي في الأراضي المنخفضة. بدأ مع إثني عشر تابعًا فقط ، و إزدهر كقاطع طرق وغازي عبيد وسرعان ما إجتذب إلى صفوفه ثلاثمائة رجل بعدما أزعجت غاراته المنطقة وخفضت عائدات الضرائب التي كانت تتوقعها الإمبراطورة ، فسعت إلى كسب تعاون كاسا من خلال عرض زواج حفيدتها تيوابيتش (توفيت عام ١٨٥٨م) منه .

كانت مباراة حب منذ البداية، مما غذى ثقة كاسا في وجود مثل هذه الزوجة الجميلة وذات العلاقات الجيدة بجانبه ، فبإعتبارها كانت إبنة حقيقية لزمانا ماسافنت طموحة ومكرسة للسلطة أدركت الأهمية العملية للزواج و أرادت مع زوجها أن تؤدي على مسرح أكبر من كوارا ، لذا فلقد وقفت مع كاسا، إذن، في أكتوبر/تشرين الأول ١٨٤٦م ، عندما غزا ونهب ديمبيا، الواقعة على الفور إلى الجنوب من جوندر، وصفقت له عندما هزم قوات جدتها مرتين ثم إستولى بجرأة على المدينة في يناير/كانون الثاني ١٨٤٧م عندما كان علي ومينين في ويجيرا يحاولان محاربة ووبي ، و لأنهما كانا منزعجين بالفعل، فقد غضبا عندما جمع كاسا الضرائب المستحقة لمينين، وعين ضباطًا لإدارة العاصمة، ثم نهب

المستودعات الملكية ، و بعد ذلك سمح لرجاله بتجريف الريف المجاور من الطعام والعلف ، و أخيرا عادت الإمبراطورة للمواجهة مع حفيدها غير المحترم وزوجها المشاغب .

وبعد أن أوضح وجهة نظره ، إنسحب كاسا من جوندر، لكن مينين طاردته ، وفي ١٨ يونيو/حزيران، شمال بحيرة تانا، هُزمت وأسرت مع زوجها الإمبراطور يوحنا الثالث ، و عندما فكر رأس علي في رده، أدرك أن الحرب ضد كاسا كانت بلا معنى ؛ لماذا ننفر زعيمًا قد يتحالف مع ووبي وجوشو وبيرو جوشو للإستيلاء على جوندر؟ لقد أملت الحكمة أن يجند الرأس علي كاسا ويستخدم قوته في صد أعدائه، تمامًا كما أدرك الأخير أنه من الأسهل التعامل مع أقاربه خير من التعامل مع زعماء إقطاعيين طموحين آخرين ، فعندما عرض رأس علي فكرته وافق كاسا على أن يصبح حاكمًا للأراضي الحدودية بلقب ديجازماتش و وعده بالولاء حيث بالمقابل أطلق سراح منين ويوحن الثالث دون قيد أو شرط ، و على مدى السنوات القليلة التالية، كان كاسا وفيًا لكلمته .

خلال هذه الفترة ، خاض ديجازماتش تجربته الأولى مع الأسلحة الحديثة و الحلقة التي أدت إلى ذلك مثيرة للإهتمام وذات مغزى ، فقد فشل في مساعدة جوندر عندما هزم أمام جوشو وبيرو جوشو في غياب علي في لاستا حيث دخلا المدينة ونهباها و إستوليا على الإتشيجي، وهو الممثل الرئيسي للأيديوت سوست ، و قد إستنتج من ذلك أن أنشطتهما لم تؤد إلا إلى إضعاف علي و مينن، فعملا في نهاية المطاف على مصلحته . ولم يكن الأمر كذلك في أوائل عام ١٨٤٨م عندما رد على الغارات

المصرية عبر الحدود بالزحف إلى متيما و هزيمة حاميتها الصغيرة و نهب سوقها الغنية حيث كان النصر سهلاً بالنسبة له لدرجة أنه وجه ستة عشر ألف رجل نحو سنار [61] على أمل إستعادة بعضا من الأراضي الإثيوبية التي إحتلها رجال محمد علي ، و لم يخاطر المصريون ، فسارعوا إلى إرسال تعزيزات إلى الحدود، وفي مارس/آذار ١٨٤٨م ، في داباركي، بين نهري الرهد والدندر، شن كاسا الواثق والمحتقر هجوماً أمامياً ضد معسكر محصن يدافع عنه ثمانمائة جندي نظامي ومدفعان. وقد ذهل عندما قُطِّع جيشه إرباً بفعل نيران المدفعية الموجهة جيداً والبنادق المصرية المنضبطة ، و في الإنسحاب الطويل إلى المرتفعات ، تأمل في هزيمته وعزم على تدريب رجاله على التكتيكات الحديثة والحصول على أحدث الأسلحة ، وفي الوقت نفسه ، كان لديه جيش يفتقر إلى الأسلحة والمعنويات ، وهي الحقائق التي درسها رأس علي بعناية الذي لم يفكر إلا في عصيان كاسا العام، والإذلال الذي لحق بمنين و فشله في الدفاع عن جوندر حيث إستدعى في عام ١٨٤٩م ، طلب كاسا من ديجازماتش أن يظهر في ديبري تابور لشرح أفعاله ، وهو الطلب الذي رفضه كاسا حتى يونيو/حزيران عندما كتب له بأن الرحلة من ديمبيا يجب أن تنتظر نهاية الجداول والطين غير القابلة للعبور في موسم الأمطار ، و عندما تصلبت الأرض بدرجة كافية ، جاء رسل علي لتذكير كاسا بموعده ، وبحلول ذلك الوقت ، أعاد ديجازماتش بناء قواته و قاد ستة آلاف إلى سبعة آلاف جندي مسلحين بالأسلحة الحديثة .

[61] مدينة سودانية على الحدود الشرقية للسودان مع إرتيريا و إثيوبيا و تطل على ضفاف النيل الأزرق (المترجم) .

وفي يناير/كانون الثاني ١٨٤٩م سار إلى ديمبيا بجيش كبير حتى أن كاسا إنسحب أمامه ووافق أخيرًا على الإستسلام ، و عكس قبول الأول تقييمه بأنه يمكن السيطرة على ووبي وجوشو إذا تعاون كاسا معه ، حتى عام ١٨٥٢م إحتفظ الديجازماتش بجانبه من المعادلة ، على الرغم من أنه كان يعمل بجد لزعزعة توازن القوى من خلال بناء جيش قادر على تحدي وهزيمة جميع أمراء زمانا ماسافنت .

خلال فترة الثلاث سنوات، تنفست الحبشة الجماعية الصعداء، وأخذت نفسًا عميقًا، و أسترخيت – الهدوء قبل أن يقتحم كاسا النظام القائم ، لقد سئم من الحفاظ على توازن القوى لصالح حميه وترك جيشه المجهز جيدًا يعمل لصالح شخص آخر. في عام ١٨٥٢، رفض أمرًا بالإنضمام إلى جيش علي في حملته الدائمة إلى غوجام ، وهو العصيان الذي أدى على الفور إلى هجوم من قبل مساعد علي الجديد، غوشو، الذي تم شراء دعمه من خلال إعطائه كوارا ، كانت إستراتيجية الرأس ممتازة : ترك الحلفاء الجدد القدامى يتقاتلون ويستنزفون بعضهم البعض ، و مع ذلك، في معركة جور أمبا في ٢٧ نوفمبر في عام ١٨٥٢م قُتل جوشو، ودمر جيش كاسا الجديد بسهولة قوة غوجامي ، وقد أذهل رأس علي التحول غير المتوقع للأحداث ، وجناحه غير محمي، فأخلى جوندر على عجل وتوجه مع جيشه والحكومة إلى ديبري تابور .

و من هناك ، إستدعى وحدات من ويلو وييجو وتيجراي وجوجام ، و في مارس/آذار، وتحت قيادة ديج بيرو عليجاز من ييجو، سارعت قوات إثيوبيا المتفرقة إلى الزحف نحو جوندر، التي إحتلها كاسا ، و غادر هو

وجنــوده المدينــة علــى الفــور بحثًــا عــن ســهولة المنــاورة فــي الريــف ، وفــي ١٢ أبريــل/نيســان فــي تاكوســا، قــاد كاســا ، وهــو رجــل واحــد ، معركــة ضــد زمانــا ماسافنت وفاز بشكل ساحق بمستقبل موحد لإثيوبيا .

و بعــد ذلــك بفتــرة وجيــزة، ســار كاســا نحــو ديبــري تــابور، فأحرقهــا قبــل أن يواصـــل مطـــاردة رأس علـــي حتـــى ســـهول أيشـــال. وهنـــاك، فـــي ٢٩ يونيـــو/حزيـــران ١٨٥٣م ، هـــزم رجـــال كاســـا ســـلاح الفرســـان الأورومـــو فـــي واحــدة مــن أكثــر المعــارك دمويــة فــي تلــك الفتــرة حيــث فــرَّ رأس علــي مــن الميــدان إلــى ييجــو؛ حيــث تــوفي هنــاك فــي فراشــه عــام ١٨٥٦م ، و بــذلك إنتهــى عصــر زمانــا ماســافنت تقريبًــا حيــث هــيمن رجــل واحــد مــرة أخــرى علــى إثيوبيا .

القيامة الإمبراطورية (١٨٥٦-١٨٧٧م) :

في أنحاء الحبشة، كان الساسة القدامى يقيمون الوضع الجديد ، ففي تيغراي، وضع ديج. ووبي الطموح الشخصي جانبًا من أجل الصالح العام، فأرسل مبعوثين إلى كاسا، ليس خضوعًا ولكن مع هدايا المصالحة. وقبل الرأس الجديد، لتأمين مؤخرته ضد بيرو جوشو، الذي نجا من الهزيمة في تاكوسا وأعد الآن هجومًا انتقاميًا على ديمبيا ، وعلاوة على ذلك، أراد كاسا عودة أبونا سلامة من تيغراي إلى جوندر، حيث يمكن للاثنين العمل معًا لإعادة بناء الأمة .

و في بداية عام ١٨٥٤م و أثناء ما كان البطريرك يشق طريقه غربًا، تحرك كاسا و جيشه جنوبًا لمواجهة المنشق الجوجامي ، و في شهر مارس بجوار أمبا جيبلي التي ترك لها بيرو جوشو لحمايتها حقق جيش كاسا الذي يتمتع بقدرة عالية على المناورة إنتصارًا رائعًا على قوة أكبر بكثير ولكنها سيئة التنظيم ، و مع ذلك ظل بيرو جوشو الهارب طليقًا قبل أن يستسلم للأول عندما عزز سلطته هناك و أُرسل إلى الأسر لمدة أربعة عشر عامًا .

عاد كاسا منتصرًا إلى جوندر حيث إستقبله أبونا سلامة المبتهج و إتفق الإثنان على ضرورة توحيد الكنيسة الأرثوذكسية، وهو عنصر أساسي في أي مصالحة وطنية ، فدعم كلاهما بقوة وجهة النظر الإسكندرانية لشخصية المسيح وميلاده ، و في يوليو ١٨٥٤م ترأس كاسا مجلس أمبا شارا الذي عقد في جوندر و قد شجب فيه أبونا سلامة مفاهيم الولادة الثلاثية ودعم الرأي القائل بأن الطبيعة البشرية للمسيح قد

إكتملت من خلال اتحادها بالإلهي، الأمر الذي جعل كلاهما غير قابلين للإنفصال – خط التوحيد القديم- وقد تم خلال المؤتمر دعم الدعوة إلى الأرثوذكسية من خلال الإعلانات والتهديدات بالطرد واللعن من قبل سلامة الذي تم تعيينه الآن رئيسًا رسميًا لرجال الدين بعدما حل محل إتشيجي المولود في إثيوبيا الذي كان خاضعًا للأسقف وأجبر على التنديد بسوست ليدوت ، و بالتالي إستعاد أبونا سلامة السلطة على الكهنوت ، وبصفته رئيسًا وظيفيًا للكنيسة، السيطرة على ممتلكات الكنيسة كافة ، من خلال إجراء هذه الإصلاحات المهمة، فاز كاسا بحليف مهم متمثل في سلامة و الذي يمكن توقعه أن يعمل من أجل الوحدة الأكبر لإثيوبيا ، ورغم عدم التوصل إلى إتفاق رسمي، فقد أدرك الأبون أنه من الآن فصاعدًا لن يتدخل رئيس الحكومة المدني في الأمور الكنسية تمامًا كما سيمتنع هو بدوره عن التدخل في المجال العلماني. وبذلك حصل كاسا على تعاون الرجل الوحيد في إثيوبيا المطلوب في حفل التتويج الإمبراطوري ، ولا نعرف متى قرر أن يصبح كبرا نجاسي (ملك الملوك، أو الإمبراطور) ، ولكن لا بد أنه كان لديه هذا الهدف في الإعتبار عندما مسحه سلامة نغوس كاسا ملكا في أواخر عام ١٨٥٤م قبل أن يشرع في حملة لتأكيد حكمه .

وفي تيغراي، لم يعترف ووبي رسميًا بالنظام الجديد، على الرغم من أن كاسا عرض عليه لقب رأس مقابل الخضوع له ، و كان ووبي يمتلك الآن عدة آلاف من البنادق وبعض المدفعية ، و كان يتفاوض على المزيد من الأسلحة النارية من خلال وكلاء أوروبيين مختلفين ، و بعد أن فشلت

الكنيسة في الوساطة بينهما ، قاد نجوس كاسا جيشه الصغير الممتاز شمالاً إلى سيمين، حيث هُزم آخر ديجازماتش مهم من زمانا ماسافنت أمام عاصمة ووبي في ديريسجي، في ٩ فبراير ١٨٥٥م وفي ١١ فبراير/شباط، في كنيسة ووبي نفسها، ديريسجي مريم، توج أبونا سلامة كاسا تيودروس الثاني إمبراطورا على إثيوبيا .

وبإتخاذ هذا الإسم الملكي ، إدعى الإمبراطور الجديد إنتماءه للأسطورة الوطنية حول حكم تيودروس الأول المقدس (١٤١٢-١٤١٣م) الذي يُقال إنه أعاد توزيع الأراضي على الفلاحين والذي أصبح يُنظر إليه على أنه "المهدي المنتظر"[٦٢] الذي سيعود لتحقيق العدالة للشعب ، الجدير بالذكر أن مفاهيم الألفية كانت قد إنتشرت على نطاق واسع في ثلاثينيات القرن التاسع عشر عندما سعى الفلاحون المحبطون والمتعبون من الحرب إلى إيجاد الراحة في الإيمان والخرافات. وربما كان تيودروس الثاني مقتنعاً بأنه الحاكم الموعود حيث كان رجلاً متديناً للغاية ، وقد تشكلت لديه التربية الرهبانية والتصوف، وكان يؤمن إيماناً عميقاً بالأخلاق الشخصية والمسؤولية الاجتماعية التي تؤمن بها الأناجيل ، والواقع أن السنوات الأولى من حكمه إتسمت بالرحمة، والشعور بالعدالة الإجتماعية و الإلتزام الأخلاقي لتحسين حياة الفقراء .

خلال عهد الملك سهل سيلاسي (١٨١٣ – ١٨٤٧م) عمل على تحسين حياة الفقراء ، كما نجح في إقصاء كافة أشكال المعارضة السياسية و الإجتماعية ، بل ونجح في إعادة دمج شوا في المصفوفة

[٦٢] أسطورة المهدي المنتظر إسطورة شيعية إسلامية مأخوذة من خرافات وثنية عراقية و إيرانية قديمة لا علاقة للمسيحية بها لا من قريب أو من بعيد كما يزعم المؤلف (المترجم) .

الإمبراطورية المتطورة ، كما واصلت شوا نموها في عهده بهدوء بعيدًا عن إنعدام الأمن المدمر في شمال الحبشة حيث إرتبط نجمها بالثراء الإقتصادي و أهمية وسط وجنوب إثيوبيا ، وقد ساعدت وجهات النظر التحررية لرعاياها المسيحيين في دفع المقاطعة إلى التوسع ، كان من بين هؤلاء الذين إعتقدوا أن حدود شوا يجب أن تمتد جنوبًا إلى الحدود التاريخية للإمبراطورية السليمانية القديمة ، و جه سهل سيلاسي هذه الطموحات نحو غايات مثمرة على الفور، فجمع بشكل ملائم بين الإيديولوجية السليمانية و الإستيلاء على الأراضي والغنائم والتجارة. وبحلول عام ١٨٤٠م ، كان ساهلي سيلاسي قد مد نفوذ شوا إلى أواش حيث تلقى الجزية من ولاياتها القضائية الأورومية وأجزاء من غوراج ، ثم غزا منطقة فينفيني التي أصبحت الآن أديس أبابا متنبئا بأن حفيده سيبني مدينة هناك ، و يقال إنه أمر بإقامة خيامه حيث أقام مينيليك الثاني (١٨٨٩ – ١٩١٣م) قصره فيما بعد .

ولقد كانت قوة جهود شيوان مستمدة جزئياً من الضعف السياسي الذي أصاب الأورومو الذين لم يتمكنوا من الإتحاد فيما بينهم حتى ضد عدو مشترك ، وعلاوة على ذلك و بمجرد أن رسّخ الملك هيمنته عليهم ، أصبح قادراً على تجنيد نخب الأورومو كحلفاء له ، و على مدار القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أصبح الأورومو بالقرب من شيوان مزارعين يعيشون في إقتصاد سياسي يشبه إقتصاد جيرانهم الأمهرا بالتمام و الكمال ، و لأن سهل سيلاسي كان على إستعداد في الغالب للسماح للطبقات الحاكمة بالبقاء في مكانها مقابل الجزية ، فقد جند حلفاء كان

يخدم مصالحهم بوضوح ، و كان هؤلاء بدورهم على إستعداد لتوفير الإمدادات أو الجنود ، وخاصة سلاح الفرسان ، للحملات الموسمية للملك ، الأمر الذي جعلهم مشاركين من الأورومو في عملية التوسع في شيوان ، ومع ذلك، كانت إمبراطورية شيوان ضعيفة البنية و الإستمرارية إلى الحد الذي جعل أي أزمة حادة تدفع الأورومو للإنفصال ، و كان طول عمر الملك وخبرته من أكبر العوامل التي عملت على إبقاء المركز والأطراف متحدين خلال السنوات الأولى من حكمه حيث حارب كثيرًا للإحتفاظ بميراثه ، وبعد ذلك، منحته متانته وسجل نجاحاته الكاريزما اللازمة لتوسيع نفوذه والتغلب على التهديدات التي كانت تهدد حكمه ، ولكن في عام ١٨٤٧م ، مرض الملك وعين إبنه هايلي مالاكوت (١٨٤٧ – ١٨٥٥م) وريثًا للعهد .

وقد حصل على موافقة أتباعه من الأورومو و الأمهرا على الخلافة، وقبل وفاته بقليل في الثاني والعشرين من أكتوبر/تشرين الأول ١٨٤٧م ، ذهب سهل سيلاسي إلى ديبري بيرهان لإعلان إبنه ملكاً ، و كان هيلي مالاكوت رجلاً قوياً ومخادعاً وطيب القلب ، و قد ظهرت حقيقة أنه كان زير نساء في وقت مبكر عندما حمل خادمة في القصر تدعى إيجيجاياهو ، وقد سُر سهل سيلاسي بهذه المهارة الجنسية المبكرة، و عندما أنجبت الشابة إبناً دعا الملك إلى إضفاء الشرعية عليه من خلال زواج مدني ، وأمر بتعميد الصبي بإسم منيليك الثاني الذي ظل يُذكر هيلي مالاكوت بإعتباره والده أكثر من أي إنجاز آخر لأنه بعد حكم دام ثماني سنوات فقط ، توفي بعد وقت قصير من غزو تيودروس لشوا .

ولقد كان من الممكن أن يتوصل إلى بعض الترتيبات مع الإمبراطور الجديد ، ولكنه لم يستوعب الطبيعة الثورية للتحدي الذي طرحه تيودروس و الذي إعتبره مجرد سياسة غوندرية ، فقد ظلت شوا حتى ذلك الوقت بمنأى عن الحرب الأهلية المزمنة في الحبشة لأنها كانت بعيدة عن ساحات المعارك الشمالية وكانت على إستعداد لدعم الوضع الراهن في مقابل الإستقلال الإقطاعي ، في المقابل ،كان سهل سلاسي يشعر بالأمان الكافي ليحصل على لقب الملك (النجاشي) ويوقع على معاهدة صداقة وتجارة مع بريطانيا العظمى في السادس عشر من نوفمبر/تشرين الثاني ١٨٤١م و إتفاقية عسكرية زائفة مع فرنسا في السابع من يونيو/حزيران ١٨٤٣م ، و كان الملك يأمل بذلك أن يجتذب الحرفيين الأجانب إلى شوا وأن يحصل على إمدادات أفضل من الأسلحة والذخائر حيث سار هيلي ملكوت على خطى والده و إتخذ خطاً مستقلاً عندما إعتلى عرش شوا و كان يفضل عقيدة المواليد الثلاثة ، وبالتالي كان يتمتع بقدر من الود مع رأس علي الذي كان من المحتم أن يدعمه في الصراع على السلطة في غوندر .

لقد كان كاسا ينظر بطبيعة الحال إلى هايلي ملكوت بإعتباره عدواً، و خاصة عندما سمع تقارير تفيد بأن النجاشي قد سهل هروب علي إلى ييجو وأنه كان على إتصال وثيق بويلو حيث كان الإمبراطور الجديد يخشى كثيراً من تحالف شيوان و ويلو الذي قد يلعب فيه رأس علي دوراً محورياً فيه ، و لذلك قرر تحويل المنطقتين المتمتعتين بالحكم الذاتي إلى مقاطعتين تحت تاجه الجديد، وبعد تتويجه أمر جيشه المنتصر

بالتوجه شرقاً إلى ويلو. ورغم أن عشائر ويلو السبع المنقسمة عادة إتحدت ضد تيودروس إلا أنها هُزمت بعد حملة قصيرة نسبياً سيطر فيها على المنطقة قوة النيران والقدرة السريعة على الحركة ، بل إن هذه العشائر قد خسرت معقلها الرئيسي مكديلا التي أدرك الإمبراطور أهميتها الإستراتيجية حيث جعلها أهم حصن له في وسط إثيوبيا بإعتبارها جوهرة التاج الإثيوبي ، وقد أنشأ هناك سجناً للرهائن السياسيين، وكان أول نزلائه زعماء ويلو المهزومين ، و لجأ تيودروس إلى شوا حيث كان يحرس مؤخرته .

وعلى النقيض من بقية بلاد الحبشة التي مزقتها الحرب وأفقرتها، كانت شوا تتمتع بحكم جيد و إزدهار إقتصادي منقطع النظير حيث كانت حقولها مزروعة بالحبوب والقطن و تتخللها مراعي ترعى فيها الأبقار والأغنام والماعز والخيول والبغال والثيران تحت حراسة الصبية الصغار. وفي قراها التي لا تعد و لا تحصى والمريحة المنتشرة على نطاق واسع في الريف كان لسلالات شوا سمعة طيبة في الإحسان والعدالة والكرم ، وخاصة في أوقات المجاعة .

كان سهل سيلاسي موضع ترحاب و إستحسان هناك بسبب الجسور والكنائس التي بناها و راعياً للفنون والحرف اليدوية ، و بفضله ظلت شوا في سلام و إزدهار ، أما بالنسبة لتيودروس الذي إعتاد على قسوة الشمال كانت مقاطعة هايلي مالاكوت تتدفق بالحليب والعسل ، و في الوقت نفسه ، كشف مجلس التاج في شوا عن إنقسام خطير بشأن الإستراتيجية : فقد زعم حاكم إفراتا التي كانت تقع على حدود ويلو أنه

يجب الخضوع للإمبراطور الجديد ، و في الحقيقة أراد العديد من أهل شيوا نهضة إمبراطورية ، و بدا لهم أن هايلي مالاكوت راغب في أن يصبح أول ملك معترف به رسميًا ومُعين لشوا تحت حكم الإمبراطور الجديد الكاريزماتي ، ومع ذلك، فقد إستقال شقيقه سيفو سيلاسي من منصبه الذي كان الملك هايلي مالاكوت الذي أدار ميرهابيتي يسخر من أي فكرة عن التسوية و إنسحب إلى إقليمه مصمماً على القتال حتى النهاية ، غير أن هايلي مالاكوت المحرج رأى تحصين ديري بيرهان على أمل أن يؤدي موسم الأمطار إلى إضعاف الجيش الإمبراطوري و يجبره على التراجع ، و بدلاً من ذلك، عانى جيش شيوان من الإنشقاقات؛ ومرض الملك، ربما بسبب الملاريا ؛ وسار الإمبراطور إلى إقليم إفراتا التي إختارت الإنضمام إلى إمبراطوريته الجديدة .

أشعلت الأزمة العامة سلسلة من الإنتفاضات المنهكة بين أقل الأورومو إستيعاباً لها و دفعت هايلي مالاكوت إلى مهاجمة الإمبراطور قبل أن يتفاقم الوضع ، و في منتصف أكتوبر و تحديدا في بالا واركا و جيشي، خسر جيش شيوان الصغير والضعيف التجهيز أمام قوة إمبراطورية أكبر بكثير وأفضل تسليحًا منه ، ما دفع هايلي مالاكوت و منليك و فرقة صغيرة من الناجين إلى ديري بيرهان للتحصن فيها ، و لكن عندما إنضم حكام منز وجيديم إلى تيودروس ، سار الملك المريض وحاشيته الصغيرة نحو الجنوب الشرقي ، لتجنيد جيش من بين الرعايا الموالين له ، و مع ذلك، في ٩ نوفمبر ، توفي هايلي مالاكوت تاركًا شقيقه أتو دارج مسؤولاً عن الوريث الواضح ، فلقد أعجب دارج بزيارة تيودروس لقبر هايلي

مالاكوت في ديري بيك و أنه أظهر رأفة تجاه جنود ومسؤولي شيوان الذين إستسلموا و أعلن علناً أنه سيعامل منليك كإبن له ، و مع تعرض حاشيته الصغيرة لمضايقات من القوات الإمبراطورية ، قرر دارج، على عكس رغبات منليك المعلنة الإستسلام حيث عاملهم الإمبراطور بلطف قبل أن يقرر مع ذلك تسمية إدارة شيوان الخاصة به و أخذ منليك ودارج إلى منفى مريح في البلاط .

بحلول أوائل عام ١٨٥٦م ، حكم تيودروس كل أرجاء الحبشة حيث أصبح آخر أمير في زمان ماسافنت و أول إمبراطور في عصر جديد بعدما بدأ في تحويل تقاليد السياسة الإقليمية إلى موضوعات وطنية لأنه كان يعتقد تمامًا أنه مقدر له إحياء الإمبراطورية الإثيوبية من جديد حيث جمع بين طموحه والطاقة والغرض والإبداع لإضفاء الجوهر على أسطورته المقدسة ، فلقد كان يطمح إلى الحصول على دعم الشعب وعطفه وتأكيده و كان يريد ضمان أمنهم ورفاهتهم من خلال توفير العدالة والتنمية الإقتصادية لهم ، و من المؤسف أنه على الرغم من أن أهدافه كانت تقدمية فإن أساليبه في تحقيقها أدت إلى نفور الناس منه ، فخسر الدعم الشعبي الهائل له عندما حاول إنشاء نظام وطني للحاميات يتم تزويدها من قبل الفلاحين الذين كانوا بالفعل يعانون من ضرائب باهظة ، وعندما قرر مصادرة أراضي الكنيسة بحجة أن الأبرشيات كانت مكتظة بالموظفين فقد رجال الدين المحليين الذين هاجموا الإمبراطور بإعتباره رجل دين إمتيازاتهم الحصرية .

كـــان تيـــودروس ناشـــئاً غيــر شــرعي ، و عنــدما إنقلــب عليــه الشــعب والكنيســة إســتجمع النـــاجون مـــن الأرســـتقراطية التقليديـــة شـــجاعتهم وعـــادوا إلـــى وســـائل الراحـــة التـــي توفرهـــا المـــؤامرة ضـــده ، و كـــان تيـــودروس قـــد أعـــاد ولايـــة لاســـتا إلـــى واجشـــوم جبـــري ميـــدين حاكمهـــا الـــوراثي ســـاعياً مـــن ذلـــك تحويلـــه إلـــى تـــابع مخلـــص لـــه ، و كـــأن مثـــل هـــذه البـــادرة مـــن شـــأنها أن تقضـــي علـــى التكييف السياسي لـ "زمانا ماسافنت" .

فـي عـام ١٨٥٨م ، تحـالف واجشـوم مـع أجيـو نيجوسـي ويلـد ميكايـل، إبـن شـقيق ووبـي ووريثـه السياسـي منصـب حـاكم لاسـتا حيـث كـان الأخيـر كمـا هـو معـروف عنـه بسـبب أصـول والدتـه متورطًـا فـي سلسـلة مـن المفاوضـات مـع المسـؤولين الفرنسـيين والمبشـرين الكاثوليـك للحصـول علـى الـدعم و إظهـار نفسـه كـزعيم بـارع بمجـرد التهـرب مـن تيـودروس لفتـرة طويلـة ، و فـي ضـوء تحالفـه مـع واجشـوم هـددت تعاملاتـه مـع الأوروبيـين تيـودروس الـذي سـارع إلـى لاسـتا حيـث قاتـل و فـاز عليـه بمعركـة ضـارية ، و علـى الـرغم مـن القـبض علـى جبـري ميـدين وثمانيـة مـن مسـاعديه وإعـدامهم إلا أن أجيـو نيجوسي هرب إلى تيغراي، حيث ظل طليقًا هناك .

لـم يـتمكن تيـودروس نفسـه مـن متابعـة الأمـر حيـث كـان عليـه أن يـذهب علـى الفـور إلـى شـرق ويلـو لقمـع التمـردات ، و خـلال عـام واحـد مـن القتـال العنيـف لـم يحقـق الجـيش الإمبراطـوري سـوى القليـل مـن الإنتصـارات قبـل أن يضـطر تيـودروس إلـى العـودة إلـى شـوا حيـث كـان التمـرد الـذي قـاده سـيفو سـاهلي سيلاسـي قـد نمـا إلـى مـا هـو أبعـد مـن قـدرة أخيـه غيـر الشـقيق ميريـدازماش هـايلي (رجـل الإمبراطـور الآن) علـى السـيطرة عليـه حيـث لـم

يستغرق قمع إنتفاضة سيفو وقتًا طويلاً، وبحلول أواخر عام ١٨٥٩م ، طُرد سيفو وجيشه من أنكوبر و غابا عن الأنظار ردحا من الزمن .

وفي الوقت نفسه، كان أغو نيجوسي وشقيقه تيسيما يزعجان وسط تيغراي ، و سرعان ما سارع الإمبراطور برجاله إلى أدوا، مما أجبر نيجوسي على الفرار غرباً بحثاً عن ملاذ آمن ، و بدلاً من اللحاق بهم، إضطر تيودروس إلى العودة إلى ويلو للتعامل مع تمرد آخر، و من ثم إلى كوارا حيث قمع بوحشية تمرداً قاده إبن أخيه ، ثم إلى تيغراي في يناير/كانون الثاني ١٨٦١م ليلحق أخيراً بنيجوسي وتسيما بالقرب من أكسوم حيث دمر الجيش الإمبراطوري القوة المتمردة و شنق زعيميها. ومن الواضح أن دولة تيودروس لم تكن ناجحة ، فبعد عجزه عن تأمين ولاء الشعب والأمراء [٦٣]، لم يتمكن من الحفاظ على تماسك إثيوبيا إلا من خلال الحرب، وهو ما سعى إلى تجنيبه على وجه التحديد حيث كان ينوي بناء حكومة تقوم على إحترام القانون والنظام ، لكن العنف أسس نظام قانونه، ولم يكن قادراً قط على الحكم على أي أساس آخر ، لقد وجد تيودور نفسه إمبراطورًا لذلك الجزء من إثيوبيا الذي مر به هو وجيشه الضخم و لم يكن النهب والسلب والإرهاب مهما بلغت درجة السوء يشكلان أي فرق ، وفي عام ١٨٦١م ، بعد أن أدرك أخيراً معضلته ، قرر كسب تأييد شعبه من خلال تطبيق سياسة خارجية جريئة تهدف إلى الحصول على المساعدة التكنولوجية الغربية وتحويل إثيوبيا

[٦٣] تحليل ا لمؤلف لهذه النقطة غير منطقي و غير واقعي عندما يقول بأن الإمبراطور تيودورس لم يتمكن من توحيد إثيوبيا آنذاك إلا بالحرب ، على أساس أن من سبقوه من الأباطرة أو خلفوه وحدوا البلاد بالسياسة و الديمقراطية أم بالحرب و القمع و الشدة ؟ (المترجم) .

إلى دولة حديثة ، و لقد سعى فعلا إلى الحصول على المساعدة الفنية من المبشرين البروتستانت ، و ذلك لأنهم لم يكونوا مرتبطين بالكنيسة الكاثوليكية في الأساس ، و أوضح تيودروس وأبونا سلامة أن إثيوبيا لا تحتاج إلى تعليم ديني ، وهو التعليم الوفير بالفعل ، ولكنها تحتاج إلى حرفيين وفنيين ومعلمين علمانيين ، وكانت الأدوات المختارة من معهد القديس كريشونا في بازل عبارة عن مبشرين عمال مهرة حيث كانت طريقتهم تجمع بين التعليم الهادئ في الأمور الروحية والتعليم الفني و المهني .

ولإثبات قيمة الوحدة الوطنية، كان تيودروس يأمل في إحباط الإسلام وصده ، و بإعتباره رجلاً من سكان الحدود الغربية ، فقد كان قلقاً لفترة طويلة بشأن تعديات القاهرة على بلاده ، وفي داباركي في عام ١٨٤٨م عانى من الهزيمة الوحيدة التي لا تنسى في صعوده إلى السلطة ، و كان مدركاً تمام الإدراك للأتراك[٦٤] الذين تسللوا ببطء إلى الداخل من مصوع في طريقهم إلى المرتفعات ، و كان التهديدان للسيادة يأتيان من القوى الإسلامية، الأمر الذي غذى التحيزات المعادية للإسلام لديه ، و كان ينظر إلى سجل الإسلام في إثيوبيا بإعتباره سجلاً للفوضى والتخريب ، وخلص إلى أن دولته أصبحت مهددة مرة أخرى من قبل الحصار الإسلامي ، و قرر أن التحالف مع الغرب هو خلاص الدولة ، و بتفاؤل ساذج، أرسل تيودروس رسالة إلى رئيس الوزراء البريطاني الذي قال له: "إنني أؤمن بأن الإسلام هو الحل الوحيد".

[٦٤] يقصد المؤلف المصريون الذين كانت بلادهم إيالة عثمانية مستقلة آنذاك (المترجم) .

كانت الملكة فيكتوريا تسعى إلى تحالف بريطاني – إثيوبي ضد الأتراك ، و في الوقت نفسه ، تعمقت الأزمة الداخلية ، و كانت العديد من مشاكل الإمبراطور تنبع من الإضطرابات الإجتماعية و السياسية في تيغراي و بيجمدير بسبب الجفاف والمجاعة ، و في تيغراي ، زاد تيودروس من حدة الكارثة الطبيعية عندما دمر المزارع والمحاصيل في المناطق المتمردة. ولما عجز عن السيطرة على المتمردين المحليين في بيجمدير و جوجام ، هاجم الإمبراطور السكان مرة أخرى، حتى أنه نهب وأحرق جوندر! وبعد هروب منليك من شوا من مكديلا في يوليو ١٨٦٥م ، أمر تيودروس بقتل تسعة وعشرين من كبار الشخصيات من قبيلة ويلو وضرب عشرة من وجهاء أمهرا حتى الموت بقضبان الخيزران. ومع فقدانه السيطرة على البلاد، إتسم إحباطه بالحرق والنهب والقتل والمزيد من عمليات الإعدام الجماعية ، و في منتصف عام ١٨٦٧م عندما إنشقت الحامية الإمبراطورية في غوجام ، أمر تيودروس بلا تفكير بذبح ثمانمائة جندي بريء من قبيلة ويلو لأنه شعر– دون أي دليل– أنهم على وشك الفرار ، و تمسك بفكرة التفاهم المناهض للمسلمين ، وخاصة مع بريطانيا العظمى، كطوق نجاة. و تحت لواء هذا التحالف حكم البلاد حتى عام ١٨٦٨م .

ولكن تيودروس لم يكتف بذلك بل عمل على تدمير الإسلام ، وفي نفس الوقت أعاد توحيد إثيوبيا وهزم أعداء بلاده الرجعيين في الداخل ، و لأن لندن تجاهلت مساعيه ، فقد قرر جذب إنتباه الحكومة البريطانية بسجن بعض الموظفين الدبلوماسيين الصغار وعدد قليل من المبشرين ، و بذلك

داس على ذيل الأسد ، وكانت وزارة الخارجية متصالحة بما يكفي لصياغة رسالة غير ضارة لتوقيع الملكة فيكتوريا، والتي سلمت إلى الإمبراطور في يناير/كانون الثاني ١٨٦٦ م بواسطة هرمز رسام، وهو مسؤول في الخدمة المدنية في عدن غير مخول بإجراء مفاوضات جادة ، و قد إحتجز تيودروس المحبط المبعوث وأرسل أحد المبشرين إلى لندن يطلب خبراء في الأسلحة والمعدات ، و كانت لندن على إستعداد بشكل مدهش لتلبية المطالب في مقابل تسليم الرهائن إلى مصوع و إلا فإنها هددت بإرسال جيش إلى إثيوبيا لاستعادة رعايا جلالتها ، و تلقى الإمبراطور هذا التحذير في يناير/كانون الثاني ١٨٦٧م عندما لم يعد يسيطر على الطريق إلى الساحل ، و بحلول ذلك الوقت ، كان يشعر بمرارة شديدة لإدراكه أنه لا يستطيع إنقاذ نفسه ولا إمبراطوريته ، وكأنه يدعو إلى غزو بريطاني لإنهاء حكمه، لم يرسل أي رد على الإنذار النهائي الذي تلقاه من وزارة الخارجية في ١٦ أبريل/نيسان ١٨٦٧م ، و إستعدت الحكومة البريطانية لشن حملة عسكرية لتحرير الأسرى ، وتحت قيادة السير روبرت نابير (لاحقًا اللورد نابير من مجدلا؛ توفي عام ١٨٩٠م) ، نزل جيش بريطاني قوامه إثنان وثلاثون ألفًا وسبعمائة وواحد وسبعون جنديًا بالقرب من مصوع[٦٥] في يناير/كانون الثاني ١٨٦٨م و بدأ في الزحف إلى الداخل[٦٦] .

[٦٥] هذه مغالطة تاريخية من قبل المؤلف ، فبريطانيا لم تحتل مصوع الأرتيرية لغزو إثيوبيا و تحرير رهائنها الدبلوماسيين من قبضة الإمبراطور تيودورس عام ١٨٦٨م لأن مصوع كانت مستعمرة مصرية و خاضعة للحكم المصري آنذاك (المترجم) .

[٦٦] هنا المؤلف يلوي عنق التاريخ و يدعي أن بريطانيا غزت إثيوبيا بسهولة دون مقاومة تذكر و هذا غير صحيح ، فبريطانيا لم تقتحم إثيوبيا إلا بإذن من الحكام المصريين لأرتيريا و الأمراء الإثيوبيين المتمردين ضد الإمبراطور تيودورس الذين شاركوا معها في حملتها العسكرية لتحرير رهائنها الدبلوماسيين من قبضته عام ١٨٦٨م (المترجم) .

ولتسهيل الأمر، رتب نابير إتصالاً ملائماً مع ديج كاسا من تيغراي (أصبح فيما بعد يوهانس الرابع (١٨٧٢ – ١٨٨٩م) الذي تعهد في مقابل المال والسلاح بتأمين خطوط الإمداد البريطانية من مكديلا إلى الساحل وتسليم كميات محددة من القمح والشعير ، و منذ عامي ١٨٦٥م و ١٨٦٦م ، كان ديج كاسا المتدين الذي أعلن نفسه ديجماساخ في حالة تمرد ضد التاج ، و قد أثارت جهود تيودروس لمصادرة أراضي الكنيسة وأموالها فضيحة ، وقد تصرف عندما ألقى الإمبراطور المحبط في جهوده لترويض رجال الدين عبر وضعه أبونا سلامة في زنزانة مكديلا ، و كان كاسا مقتنعاً أيضاً بأن البلاد تحتاج إلى زعيم جديد ، و أن بريطانيا كانت بمثابة رجل فأس مناسب ، وبطبيعة الحال، كان كاسا يشاطر أقاربه، رأس علي وولد سيلاسي وديج سيباغاديس، حلم إثيوبيا الموحدة المسيحية التي يحكمها تيغراي .

كان كاسا يعتقد أيضاً أن البريطانيين سوف يغادرون بعد أن يحققوا أهدافهم ، وذلك لأن نابير أعلن أن تيودروس عدوه الوحيد، وليس الشعب الإثيوبي، وأن لندن أنكرت أي طموحات إقليمية ، و قد أدى هذا التنصل من المسؤولية إلى تغذية طموحات كاسا، والتي أصبحت واضحة في أواخر عام ١٨٦٧م ، عندما وصف نفسه في مراسلات مع البريطانيين بأنه زعيم إثيوبيا ، و في غضون ذلك، في أكتوبر/تشرين الأول، أخلى الإمبراطور ديري تابور، عاصمته و أحرقها، ثم شق طريقه ببطء إلى مكديلا ، حيث وصل قبل أسبوعين فقط من ظهور نابير وقوته

الضـــاربة المكونـــة مـــن خمســـة آلاف رجـــل ، و كـــان جـــيش تيـــودروس الضـــخم والفعال في وقت ما قد انخفض إلى عدة آلاف من الرجال المحبطين .

ولكـــن فـــي يـــوم الجمعـــة العظيمـــة، العاشـــر مـــن إبريـــل/نيســـان ١٨٦٨م ، لـــم يكـــن هنـــاك مـــن يضـــاهي القـــوات المنضـــبطة التـــي واجهتهـــا فـــي ســـهل صـــغير أســـفل الامبـــا مباشـــرة ، و عنـــدما إقتـــرب نحـــو أربعـــة آلاف إثيـــوبي مـــن مرمـــى النيـــران البريطانيـــة ، أطلقـــت علـــيهم النيـــران بكثافـــة ، و مـــن أعلـــى، وجـــه الإمبراطـــور حقيبـــة المدفعيـــة المصـــنوعة محليـــاً ، والتـــي إمـــا أخطـــأت الهـــدف أو أخطأتـــه [٦٧]، وهـــو تعليـــق مناســـب بالفعـــل علـــى حكـــم تيـــودروس ، و فـــي اليـــوم التـــالي، أطلـــق ســـراح الرهـــائن وأرســـل وفـــداً إلـــى نـــابير ســـعياً إلـــى ســـلام مشـــرف، لكـــن نـــابير رفـــض الإستســـلام دون إستســـلام الإمبراطـــور الشخصـــي. ورد تيـــودروس، لـــيس فـــي هيئتـــه الإمبراطوريـــة، التـــي تخلـــى عنهـــا الآن ، بـــل بصـــفته كاســـا المســـيحي، موضـــحاً أنـــه لـــم يُهـــزم مـــن قبـــل الأجانـــب بـــل مـــن قبـــل الشـــعب الإثيـــوبي غيـــر المنضـــبط ، و فـــي يـــوم أحـــد الفصـــح، أُطلـــق ســـراح المبشـــرين وبعـــض الســـجناء السياســـيين القـــدامى ، وفـــي اليـــوم التـــالي أرســـل تيـــودروس جيشـــه بعيـــداً و إنتظـــر الهجـــوم و التـــي جـــاءت فـــي الســـاعة الرابعـــة بعـــد الظهـــر بعـــد قصـــف مكثـــف. نجـــح البريطـــانيون فـــي إقتحـــام المنحـــدرات ودخلـــوا بســـرعة إلـــى الامبـــا، حيـــث إكتشـــفوا أنـــه قبـــل لحظـــات ، إنتحـــر تيودروس. في اليوم التالي، دُفن الإمبراطور في ساحة الكنيسة المحلية .

[٦٧] تزويـــر المؤلـــف للحقـــائق التاريخيـــة فـــي هـــذه النقطـــة عنـــد تحليلـــه لمعركـــة الجمعـــة العظيمـــة فـــي إثيوبيـــا عـــام ١٨٦٨م لصـــالح الجـــيش البريطـــاني زورا و بهتانـــا بعيـــدا عـــن الأمانـــة العلميـــة يـــذكرنا بتزويـــر الإعـــلام الغربـــي عنـــد تحليلـــه حربـــي ١٩٦٧م و ١٩٧٣م لصـــالح الجـــيش الإســـرائيلي زورا و بهتانـــا و بعيـــدا عـــن الأمانـــة العلميـــة أيضـــا و لاســـيما زعمـــه أن ســـبب هزيمـــة الإمبراطـــور تيـــودورس فـــي المعركـــة هـــو أســـلحته المحليـــة الصـــنع التـــي لـــم تقـــاوم نظيراتهـــا البريطانيـــة الصـــنع و هـــذا غيـــر صـــحيح متجـــاهلا الســـبب الحقيقـــي للهزيمـــة ألا و هـــي خيانـــة الإثيوبيين حكاما و شعبا له (المترجم) .

وأمـــر نـــابير بهـــدم معقـــل مكـــديلا ، و أخلـــى البريطـــانيون و المصـــريون المنطقـــة فـــي ١٧–١٨ أبريـــل، وبـــذلك أكملـــوا مهمـــة شـــرف كلفـــت لنـــدن ٩ ملايـــين جنيـــه إســـترليني بمســـاعدة ديـــج كاســـا فـــي طريقهـــا، وصـــلت القـــوة الاستكشـــافية بســـرعة إلـــى الســـاحل. ومـــنح نـــابير حليفـــه الإثيـــوبي مســـاعدات عســـكرية بقيمـــة ٥٠٠ ألـــف جنيـــه إســـترليني تقريبًـــا، بمـــا فـــي ذلـــك المدفعيـــة والبنادق و الذخائر، وهي أمور مهمة للغاية بالنسبة له .

صعود منليك الثاني للعرش :

كـان كاسا قـد تـولى العـرش الإمبراطـوري الشـاغر فـي عـام ١٨٦٨م ، ولكنـه لـم يطالـب بـه علـى الفـور، بـل فضـل بـدلاً مـن ذلـك تعزيـز جيشـه مـن خـلال التـدريب علـى الـنمط الأوروبـي وتعزيـز قبضـته علـى تيغـراي، حيـث كـان لا يـزال لديـه منافسـون فـي عـام ١٨٦٨م ، و لكـن بحلـول عـام ١٨٧٠م كانـت المقاطعـة تحـت سـلطته بقـوة؛ فقـد حصـل علـى أسـقف جديـد أبونـا أتنـاتوس، ليحـل محـل سـلامة ، الـذي تـوفي فـي الأسـر فـي ٢٥ أكتـوبر ١٨٦٧م مـدعيا أنـه يقـود نـبلاء إثيوبيـا للإنضـمام إليـه ، وفـي الوقـت نفسـه، رفـض قبـول واغشـوم غـوبيزي صـهره منـذ عـام ١٨٦٦م كـإمبراطور بإسـم تيكلـي جيـورجيس الثـاني ، و كـان الإمبراطـور المـدعي الـذي أعلـن نفسـه قـد تـم تنصـيبه فـي منتصـف أغسـطس ١٨٦٨م مـن قبـل إيتشـيجي الـذي عينـه واغشوم نفسه .

كـان هـذا الإمبراطـور المتظـاهر يحكـم بيغمـدير الفقيـرة و لـم يكـن بوسـعه شـراء الأسـلحة لجيشـه الضـخم لأن كاسـا كـان قـد اسـتنزف كـل عائـدات التجـارة ، و عـلاوة علـى ذلـك فـإن عـدم انتظـام تتويجـه فـي أرض مخصصـة للشـكل والشـرعية أضـعف موقـف غـوبيزي أكثـر ، فـرفض منليـك الغاضـب فـي شـوا الإعتـراف بـه وبـدلًا مـن ذلـك أطلـق علـى نفسـه اسـم الإمبراطـور منليـك الثـاني، لكـن كاسـا كـان المشـكلة الأكثـر إلحاحًـا بالنسـبة لجميـع الأطـراف المتصـارعة آنـذاك ، فبعـد أن رفـض أن يُسـمى رأسًـا فـي النظـام الجديـد وأن يـدفع الجزيـة التـي كانـت فـي أمـس الحاجـة إليهـا ، سـار غـوبيزي إلـى تيغـراي فـي يونيـو ١٨٧١م و واجهـت قواتـه التـي يبلـغ تعـدادها سـتين

ألفًا مقاومة قليلة حتى واجههم اثنا عشر ألفًا من رجال كاسا المجهزين والمدربين جيدًا خارج أدوا في ١١ يوليو ، وخلال المعركة التي استمرت ساعتين ، جُرح الإمبراطور المتظاهر و قتل وأصيب معه العديد من الرجال و أسر جميع جنرالاته وآلاف الجنود ، وفي عمل من أعمال الرحمة المسيحية، رفض كاسا إعدام منافسه وسجنه بدلاً من ذلك في امبا، حيث توفي بعد بضع سنوات .

تولى كاسا على الفور لقب الإمبراطور باسم يوهانس الرابع حيث توج في الحادي والعشرين من يناير/كانون الثاني ١٨٧٢م على يد أبونا أتناتوس و أقيمت المراسم في كنيسة مريم في أكسوم، وفقاً للطقوس القديمة التي استُخدِمَت آخر مرة لفاسيليداس في عام ١٦٣٢م ، و كان الأخير قد ذهب إلى العاصمة القديمة لاستعادة تراث إثيوبيا المتمثل في الوحدة وإظهار إخلاصه للتقاليد والإيمان ، و كانت نية الإمبراطور الجديد متطابقة، وقد عمل طيلة فترة حكمه بإخلاص على إعادة دمج إثيوبيا ، كان من دعاة التوحيد الديني، لأنه كان يدرك الحاجة إلى أيديولوجية مشتركة تمكنه من توحيد شعب إثيوبيا بكافة أطيافهم تحت لوائه ، و في الوقت نفسه، لم يسع إلى مركزية السلطة ، بل اختار بدلاً من ذلك شكلاً من أشكال الفيدرالية حيث يتمتع الحكام بالحكم الذاتي طالما تعهدوا بالولاء ودفعوا الجزية والولاء الدوري ، و مع ذلك لم تنجح مرونة الإمبراطور على الفور في كسب شرق ويلو و بيجمدير والمناطق المجاورة لتيغراي حيث خاض أولى حملاته العسكرية خلال الفترة ١٨٧١-١٨٧٣م إلى هناك .

لم يقتنع الملك منليك ملك شوا بالإستسلام له ، و مع انشغال يوهانس في الشمال، عزز منليك سلطته محليًا وإقليميًا و خاصة في جنوب ويلو حيث أصبح الإمام محمد علي (لاحقًا رأس ثم نجوس ميكائيل؛ توفي عام ١٩١٨م) الذي نفر منه نفور الإمبراطورية من الإسلام حليفًا وصديقًا له ، و في ييجو ، تمتع منليك بعلاقات جيدة مع ديج .

كان يوهانس يدرك تمام الإدراك أن منليك ادعى العرش خلال فترة حكم جوبيزي و لكنه ما لبث أن نسي هذه الطموحات تقريباً عندما واجه تهديداً متجدداً من مصر، و بحلول عام ١٨٧٠م تقريباً ، لم تعد هناك منطقة عازلة بين إدارة الخديوي في السودان والحكومة الإثيوبية التي عززت قبضتها على الأراضي الحدودية. وكان يوهانس حساساً بطبيعة الحال لحقيقة مفادها أن تيغراي التي كانت تضم آنذاك إريتريا[٦٨] كانت منطقة عازلة .

كانت مصر على حدود طويلة مع السودان. وكانت مصوع تحت حكم الدولة المصرية الحديثة و القوية نسبياً ولديها جيش على الطراز الأوروبي مزود بأسلحة حديثة معظمه مصنع محليا .

وفي منتصف عام ١٨٧٢م ، استولى جيش الخديوي على بوغوس في المرتفعات الإريترية ، وحظر فيرنر مونزينجر ، حاكم مصوع المصري تصدير الأسلحة والذخائر إلى إثيوبيا حيث كان يتوقع تماماً أن يهاجم

[٦٨] ليست إرتيريا جزءا من إقليم تيغراي كما يزعم المؤلف لمجرد أن كلا الإقليمين يتكلمان اللغة التيغرينية ، فالأول مكون من عدة قوميات و أديان إلى جانب غالبية سكانها من التيغراي ، أما الثاني فمكون من أبناء قومية واحدة و هم قومية التيغراي (المترجم) .

يوهانس المستعمرة المصرية الموسعة ، و لكن الإمبراطور تعلم من تجربة تيودروس، ودعا على الفور إلى التحكيم ، معتقداً أن الحق كان في جانب إثيوبيا بالكامل ، و مع ذلك ، تجاهلت معظم القنصليات الأوروبية التي لم تكن مهتمة بإثيوبيا النائية توسلاته من أجل العدالة والإنصاف ، كما استهجنه رد المسؤولون العنصريون في لندن الذين اعتبروا الإثيوبيين برابرة ، فتحرك يوهانس بسرعة لتوحيد البلاد حوله إذا ما احتاج إلى محاربة المصريين ، و في عام ١٨٧٣م ، ذهب إلى جوندر، لتلقي ولاء بيجمدير و اعتراف المدينة بمكانته كإمبراطور ، وفي العام التالي، تمكن أخيرًا من المناورة في جوجام تحت قيادة رأس عدال (حوالي ١٨٤٧-١٩٠١م ، وبعد عام ١٨٨١م ، صار نجا نجاشي) .

وبعد أن أخضعه الملك تكله هيمانوت، أجبر وول من ييجو على قبول سيادته، وكان يعمل بنشاط على تهدئة ويلو ، و وافق منليك القلق ، بعد نزع درعه ، بشكل غير رسمي على عدم تقويض الإمبراطورية في مقابل الحكم الذاتي ، ولم يفعل سوى القليل لمساعدة الإمبراطور، لأنه عندما عاد يوهانس إلى تيغراي في عام ١٨٧٥م ، كان لديه بلد موحد إلى حد معقول خلفه ، و لكن في غضون ذلك، احتل المصريون قلابات[٦٩] وجميع الموانئ الواقعة جنوب مصوع ، وتمت ترقية مونزينجر إلى رتبة باشا وعُين حاكمًا عامًا لشرق السودان وساحل البحر الأحمر ، و كان خليفته في مصوع أراكيل بك نوبار الذي نصحه ببراعة بأن المزيد من غزو

[٦٩] قلابات في السودان على الحدود السودانية – الإرتيرية – الإثيوبية و ليست جزءا من إرتيريا كما زعم المؤلف (المترجم) .

إثيوبيا لن يتطلب سوى بعض الخرائط الجيدة و عدد قليل من الضباط الأكفاء و ثلاثة أو أربعة آلاف جندي مسلحين جيدًا .

وبحلول أوائل سبتمبر/أيلول ١٨٧٥م ، كان قد تمكن من السيطرة على المنطقة ، وبعد ذلك بفترة وجيزة، أمر الخديوي إسماعيل (ولد عام ١٨٣٠م وحكم من ١٨٦٤ – ١٨٧٦م) بإرسال أربع بعثات للسيطرة على منطقة القرن الأفريقي ، وقد نجحت اثنتان من هذه البعثات، وفازت القاهرة بالمركز التجاري الداخلي المهم في حرير وعززت سيطرتها على الساحل الصومالي ، أما بعثة مونزينجر، التي أمرت بعبور المناطق الداخلية في تاجورا و الإتصال بشوا، فقد فشلت فشلاً ذريعاً في ١٤ نوفمبر/تشرين الثاني ١٨٧٥م عندما فقد هو و ثلث رجاله حياتهم في فخ نصبه لهم عفار أوسا الذين قاتلوا للإحتفاظ بالسيطرة على طرق التجارة الرئيسية ، و في الوقت نفسه ، تقدمت قوة أكبر بكثير بقيادة أراكيل وسورين أريندروب باشا إلى سراي و حماسن مع تراجع القوات المحلية أمامهم .

بعد أن حشد الإمبراطور قواته التي حشدها مؤخراً في عدوة عبر مأرب[٧٠] في ليلة الخامس عشر والسادس عشر من نوفمبر/تشرين الثاني، وهاجم المصريين على الفور في جونديت، على المرتفعات المجاورة مباشرة للضفة اليمنى لنهر مأرب ، بجيش ربما بلغ عدده سبعين ألف رجل. وكان المصريون الذين بلغ عددهم ألفين وخمسمائة رجل يمتلكون أفضل المعدات ــ بنادق ريمينجتون الحديثة والمدفعية والصواريخ ــ ولكن

[٧٠] مأرب مدينة إرترية قديمة يعود تأسيسها إلى مملكة يحا التي أسسها اليمنيون القدماء هناك في القرن الثالث عشر قبل الميلاد لتذكرهم بموطنهم الأصلي مأرب الواقعة حاليا في الجمهورية اليمنية (المترجم) .

الإثيوبيين الأكثر عدداً كانوا يتمتعون بروح معنوية عالية، ووطنية مستقيمة، وقيادة جيدة. ورغم هذا فإن عجز المصريين حول المعركة إلى هزيمة كارثية: فقد قُتل معظمهم، بما في ذلك أراكيل وأريندروب، وصادر الإمبراطور الأسلحة الممتازة التي عثر عليها في الميدان أو في قطار الأمتعة. وسرعان ما استُخدِمت هذه الأسلحة لشن هجوم على جيش آخر أرسله الخديوي للانتقام من الهزيمة في جونديت كان إسماعيل مقتنعاً بأن الهزيمة كانت نتيجة لحجم الجيش الإثيوبي فحسب، وفي فبراير/شباط ١٨٧٦م ، ظهرت قوة قوامها عشرون ألف رجل في أكيلي غوزاي في جورا، حيث تم بناء حصنين ، و حشد يوهانس قواته مرة أخرى ، هذه المرة في صورة صراع بين المسيحية والإسلام [٧١].

ولقد وردت تقارير عن أن عدد الجنود الذين ردوا على الهجوم بلغ مائة ألف رجل، وكان الجنود قد جاؤوا من أماكن بعيدة مثل غوجام، وإن كان منليك في شيوا قد ظل مراقباً مرة أخرى. وبحلول أوائل مارس/آذار، كان عدد الجنود المصريين أقل كثيراً من عددهم بكثير، وكانت قيادتهم هذه المرة أسوأ، حيث اختلف الضباط العامون حول سلسلة القيادة ، وخلال معركة استمرت ثلاثة أيام، في الفترة من السابع إلى التاسع من مارس/آذار، سمح الضباط غير الأكفاء والجنود غير الموثوق بهم للأثيوبيين باختراق الخطوط الدفاعية، والقبض على نحو ستة آلاف رجل في العراء، وقتل أو جرح أو أسر جميع الجنود باستثناء خمسمائة.

[٧١] المؤلف للأسف بإعتباره من أنصار المدرسة التوراتية في علم التاريخ يخون الأمانة العلمية كمؤرخ أكاديمي و يحاول تسييس الصراع بين مصر و إثيوبيا على أنه صراع ديني بحت و هذا غير صحيح ، فالصراع بينهما صراع إستعماري بحت للسيطرة على ثروات منطقة القرن الإفريقي الطبيعية و البشرية و منافذه الساحلية على البحر الأحمر و مضيق باب المندب و السيطرة على منابع النيلين الأزرق و الأبيض أيضا (المترجم) .

وعندما وجد القائد المصري حصنه محاصراً وبعض مدفعيته تُطلَق في اتجاهه طالبا الهدنة معه ، فما كان من يوهانس القلق من أن إمداداته لن تسمح له بالبقاء في حصار طويل إلا أن وافق على ذلك إذا انسحب المصريون من المرتفعات ، وقد أخلى المصريون كل شيء بإستثناء بوغوس، التي كانت نقطة الخلاف الأصلية ، والتي كان يوهانس يعتقد أنه سيستعيدها في المفاوضات التي طلبتها القاهرة الآن ، فضلاً عن أنه نجح في حشد أغلب الأمة خلفه بطريقة لم ينجح أي ملك في تحقيقها منذ قرون ، و قد تواكبت قوته السياسية المتزايدة مع ضخ ١٢٠٠٠ إلى ١٣٠٠٠ بندقية ريمينجتون أخرى، وستة عشر مدفعاً، وذخيرة، وإمدادات أخرى أخذها كغنائم حرب ، وهكذا، بعد الحرب مع مصر، أصبح يوهانس إمبراطوراً حقيقياً في كافة أرجاء إثيوبيا ما عدا شوا حيث ظل حاكمها العنيد منليك حزينًا ومكتئبًا و رافضا الإعتراف بالإمبراطور بصفته إمبراطورًا رغم أنه في يونيو ١٨٧٦م و بعد انتهاء القتال بوقت طويل كتب إلى إسماعيل يندد بأنشطة مصر الإستعمارية في إثيوبيا .

كان منليك قلقًا بشكل خاص بشأن احتلال هرر وتأثيره على تجارة شوا والوصول إلى الأسلحة الحديثة حتى قبل أن يصبح يوهانس قويًا بشكل ساحق أكثر من ذي قبل حيث كان عليه أن يدرك مليا بأن جيشه يحتاج إلى أسلحة حديثة ، فلقد حاول الحصول عليها من خلال مجموعة متنوعة من الوسطاء الأوروبيين ، و في عام ١٨٧٢م أرسل كاهنًا إثيوبيًا إلى فرنسا و إيطاليا لبدء تجارة الأسلحة إليه ، لقد نجح بمعنى ما حيث أشعل خطابه أمام الجمعية الجغرافية الإيطالية في روما الحماسة لدى

الإيطاليين لشن حملة عسكرية إلى شوا في عام ١٨٧٦م و فتح طريق داخلي نحو إنطلاقا من زيلع لاحقًا متجنبا الأراضي الخاضعة لسيطرة الإمبراطوريتين الإثيوبية أو المصرية ، ومع ذلك، لم يصل الطريق الجديد و لا الأسلحة الجديدة في الوقت المناسب لإنقاذ منليك من الخضوع للإمبراطور اللدود ، فبعد توحيد إيطاليا كاملة عام ١٨٧٠م أشار الرومان الجدد إلى نواياهم تجاه القرن الإفريقي حيث أعلنت بعثة يُفترض أنها تحت رعاية الجمعية الجغرافية ملكيتها لآسيب والمناطق المحيطة بها باسم شركة روباتينو، وهي شركة خطوط بخارية كانت تريد إنشاء محطة للتزود بالفحم على طريق السويس .

كان الملك يركز لفترة طويلة على البقاء مستقلاً، ولم يعر اهتماماً كبيراً للوضع الداخلي في شوا حتى بدأ يفقد السيطرة على حكومته ، أولاً، في عامي ١٨٧٥م و ١٨٧٦م قاد حملة إلى غوراج و التي انتهت بهزيمة محرجة ، و عندما قرر الملك بعد ذلك الحرب ضد خصمه الإمبراطور يوهانس الرابع كان العديد من سكان شوا مترددين في محاربة الرجل الذي هزم المسلمين المكروهين حسب زعمهم ، من المؤكد أنهم لم يرغبوا في مواجهة إخوانهم الشماليين المجهزين تجهيزاً جيداً ولا في السفر لمسافات طويلة عبر أراضي غير ودية. باختصار، شعروا بالولاء للإمبراطور، وبحكم الأمر الواقع، اعتبروا أنفسهم رعايا له .

في عام ١٨٧٦م و عندما كان منليك يخوض حملة في غوجام ضد رأس عدال الذي كان متحالفاً مع يوهانيس، اندلعت ثورة في شوا و التي ألهمت أيضاً المنشقين من ويلو لشن غارة على مينز ، عاد منليك بسرعة

وقمـع الإنتفاضــة و المتــواطئين معهــا ، لكــن يوهــانيس كــان يعلــم أن منافســه قــد ضــعف بشــكل كبيــر و اســتمر فــي التقــدم نحــو شــوا مــن الشــرق، بمســاعدة حليــف منليــك الســابق محمــد علــي ، انحنــى منليــك للأمــر الواقــع وأرســل رجــال الــدين للتفــاوض علــى الخضــوع بشــرف ، و لأن الإمبراطــور لــم يكــن راغبًــا فــي إغــراق إثيوبيــا فــي حــرب أهليــة وافــق علــى المحادثــات و امتنــع عــن اتخــاذ المزيــد مــن الإجــراءات مقابــل الإمــدادات لجيشــه الجــائع ، و بعــد مفاوضــات شــاقة تــم تحديــد منــاطق شــوا فــي الشــمال بنهــر بشــلو و فــي الغــرب بأبــاي و فــي الشــرق و الجنــوب بــأواش ، فــي المقابــل، تخلــى منليــك عــن لقــب ملــك الملــوك وتعهــد بــدفع الجزيــة بشــكل دوري و تقــديم الــولاء وتقــديم المســاعدة العســكرية للإمبراطــور و جعــل كنيســته تتوافــق مــع اللاهوت الإتحادي .

فــي صــباح يــوم ٢٠ مــارس، استســلم منليــك رســميًا ، فــي اليــوم التــالي، أدى يمــين الخضــوع رســميًا قبــل تنصــيبه رســميًا ملكًــا ، و بعــد انتهــاء المراســم ألقــى الإمبراطــور خطابًــا مهــذبًا رحــب فيــه بمنليــك فــي الحظيــرة الإمبراطوريــة و أقســم علــى احتــرام ســيادة شــوا طالمــا ظلــت المقاطعــة وفيــة للمركــز ، و بعــد بضــعة أشــهر توجــه منليــك شــمالاً ليقــدم ليوهــانيس تحيــة رائعــة مممــا جعلــه أول إمبراطــور منــذ قــرون يمــارس الســلطة مــن تيغــراي جنوبًــا إلــى غــوراج ، و قــد حقــق يوهــانيس هــذا الإنجــاز فــي الغالــب مــن خــلال الصــبر والمصــالحة والتسوية .

ســتة توحيــدات إمبراطوريــة لإثيوبيــا تحققــت حتــى عــام ١٨٨٩م طالمــا لــم يفعــل منليــك شــيئًا مــن شــأنه المســاس بتــوازن القــوى فــي الشــمال ، فقــد ظــل

يوهـــانيس يراقـــب شـــوا بحـــذر ، فلقـــد لاحـــظ انشـــغال الملـــك بتوســـيع ســـلطة إقليمـــه جنوبًـــا، جزئيًـــا لجمـــع الثـــروات اللازمـــة لـــدفع الجزيـــة الإمبراطوريـــة الثقيلـــة ، و لكـــن أيضًـــا كمـــا كـــان يعتقـــد لتنصـــير الـــوثنيين واســـترداد إثيوبيـــا ، لـــم يكـــن مـــن الواضـــح جـــدًا للإمبراطـــور إدراك منليـــك أنـــه يحتـــاج إلـــى مصـــادر جديـــدة للثـــروة لشـــراء الأســـلحة التـــي قـــد يســـتخدمها يومًـــا مـــا للحصـــول علـــى العـــرش الســـليماني بـــأي ثمـــن ، لقـــد جعـــل قـــرار يوهـــانيس بالســـماح لمنليـــك بحريـــة نســـبية فـــي الجنـــوب مـــن شـــوا مركـــزًا للتوســـع الإثيـــوبي ، و لـــم يفهـــم الإمبراطـــور أن الإقتصـــاد العـــالمي المـــؤثر كـــان يحـــول الإقطـــاع الإثيـــوبي القـــائم علـــى الكفـــاف إلـــى نظـــام إســـتبدادي معقـــد مـــدعوم باســـتغلال أكثـــر صـــرامة للاقتصـــاد الطبيعـــي والتجـــارة الدوليـــة ، و بحلـــول عهـــد يوهـــانيس، ســـاعدت شـــهية العـــالم الغربـــي المتزايـــدة للســـلع الأساســـية فـــي تحفيـــز انـــدفاع منليـــك النـــاجح نحـــو الجنـــوب ، و كـــان الملـــك ، علـــى النقـــيض التـــام مـــن الإمبراطـــور علـــى إســـتعداد لإســـتغلال إحتياجـــات اوروبـــا فـــي دبلوماســـية تجاريـــة ســـاعدت فـــي نهايـــة المطـــاف علـــى إبقـــاء الإمبرياليـــة تحـــت الســـيطرة ، كمـــا إســـتفاد منليـــك بشـــكل أفضـــل مـــن الإمبراطـــور مـــن الغـــربيين الـــذين اجتـــذبتهم إثيوبيـــا مـــن خلال الإنتهازية أو التجنيد .

فـــي عـــام ١٨٧٩م ، إســـتأجر منليـــك ألفريـــد إيلـــج (١٨٥٤-١٩١٦م) ، وهـــو سويســـري شـــاب ولقـــد كـــان مـــن بـــين هـــؤلاء المهندســـين الـــذين ظلـــوا فـــي خدمـــة الملـــك حتـــى عـــام ١٩٠٨م حيـــث عمـــل مهندســـاً معماريـــاً، وبانيـــاً، وســـباكاً، ومستشـــاراً طبيـــاً، وصـــاحب إمتيـــازات ، و أخيـــراً مستشـــاراً للشـــؤون الخارجيـــة ، كمـــا جـــاء العديـــد مـــن الغـــربيين الآخـــرين لمســـاعدة منليـــك فـــي

إرساء حكم مختلف نوعياً عن الحكومات الموجودة في أماكن أخرى في إثيوبيا وفي أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى ، و كان هناك آسيويون ، وعرب، و اوروبيون ساعدوا في فتح الوصول إلى شوا من خليج تاجورا[٧٢] ، حيث كان الفرنسيون يؤسسون محطة للفحم على طول الطريق إلى الهند الصينية[٧٣] ، و كان منليك حريصاً على الحصول على منفذ إلى البحر عبر الأراضي التي لا يسيطر عليها يوهانيس، فبدأ في إرسال قوافل كبيرة إلى هناك ، و في المقابل حصل على تدفق متزايد من السلع النهائية والأسلحة ، كما كان يتلقى أيضا الأسلحة عبر طريق عصب – شوا، وذلك بفضل اتفاقية عبور مع سلطان أوسا وتعاون منليك مع بعثة الجمعية الجغرافية الإيطالية في شوا منذ عام ١٨٧٦م و كان زعيمها الكونت بييترو أنتونيلي (١٨٥٣-١٩٠١م) ، الذي كان يتمتع بصلات جيدة في روما وكان حريصًا على التفاوض على معاهدة صداقة وتجارة معه ، و عندما قدم مسودة الإتفاقية عام ١٨٧٩م له ، كان الملك منليك مترددًا – نظرًا لخضوعه الأخير ليوهانيس و ضعفه العسكري – في التعهد بمثل هذا الإلتزام ، لكنه وافق على فتح رابط تجاري بين عصب وشوا في الأخير .

أظهر أنتونيلي إمكانات الرابطة من خلال تسليم ألفي بندقية ريمينجتون له في ٢٩ أبريل ١٨٨٣م ، و هو ما كان كافيًا لإغراء منليك بتوقيع معاهدة صداقة وتجارة في ٢١ مايو ١٨٨٣م صيغت كما لو كانت

---

[٧٢] خليج داخلي يقع في جيبوتي و يطل على البحر الأحمر و مضيق باب المندب (المترجم) .

[٧٣] شبه جزيرة عملاقة تقع في جنوب شرق آسيا بين الصين و الهند و مكونة من الدول الآتية : بورما ، تايلند ، لاوس ، فيتنام ، كمبوديا ، ماليزيا (المترجم) .

اتفاقية بين قوتين سياديتين ، بحلول هذا الوقت، كان الملك يعيد النظر في طموحاته السياسية ، كان منليك يعمل على توسيع حدود شوا جنوباً بشكل مطرد من أجل حشد الموارد اللازمة لدفع الجزية التي يدفعها ليوهانيس كل عامين ، وفي ديسمبر/كانون الأول ١٨٨٠م ، سلم منليك ستمائة بغل وحصان مزينين بالذهب والفضة و ثمانين ألف دولار من السلع القطنية و خمسين ألف دولار نقداً ، وفي مايو/أيار ١٨٨١م[٧٤] ، سلم منليك ما قيمته خمسين ألف دولار من الحبوب والدقيق والماشية والزبدة، وعشرة آلاف دولار ، و لم يكن بوسع شوا و هي أرض زراعية أساسا و بلا صناعة أن توفر مثل هذه الثروة من دون إفقار سكانها ، مما إضطر منليك إلى النظر جنوباً حيث لم يكن الناس يحشدون سوى الأسلحة التقليدية فحسب ، فعلى سبيل المثال، و تحديدا عامي ١٨٨٠م و ١٨٨١م ، أرسل منليك بعثة كبيرة إلى أرسي الغنية بالحيوانات و التي عادت إلى شوا على ما يقال وهي تحمل مائة ألف رأس من الماشية ، و في بعض الأحيان كانت جيوش الملك تعود خالية الوفاض أو حتى مهزومة ، و لكن أسلحتهم النارية كانت تضمن لهم الغنائم والنصر عادة ، ما سمح لطقس إثيوبيا لهم بتنظيم بعثتين كبيرتين (زاماتشا) إلى هناك سنويًا في أكتوبر ونوفمبر ومارس وأبريل بعد هطول الأمطار الطويلة والقصيرة الأجل و بعد الإنتهاء من المهام الزراعية الشاقة .

[٧٤] المؤلف في صفحات ١٤٠-١٤٢ يقدم الأحداث بشكل زمني غير مرتب ، فيجعل إتفاق منليك مع رئيس البعثة الإيطالية الكونت أنتونيلي عام ١٨٨٣م قبل تسليمه الجزية للإمبراطور يوهانيس الرابع عام ١٨٨١م ، لماذا ؟! و علي أساس ؟!! (المترجم) .

كانت كل حملة تستمر من شهرين إلى أربعة أشهر، و إن كانت الغارات العقابية الأقصر كانت تُشن غالبًا حسب الضرورة ، كما نُظمت بعض الزاماشات[٧٥] خلال أوقات المجاعة أو الجفاف من أجل توطين اللاجئين في الأراضي ذات الكثافة السكانية المنخفضة نسبيًا ، كان بإمكان منليك حشد عشرات الآلاف من الرجال بسهولة ، وكان الحرس الملكي الذي يبلغ عددهم ربما خمسة آلاف مسلحًا ببنادق حديثة و إن كان نصف الباقي على الأقل يحملون الأسلحة النارية ، أثناء سيره للغزو ، كان الجيش يبدو غوغائيا ، و لكن في المخيم كان كل ضابط و رجل يأخذ مكانه وفقًا لرتبته وأهميته حيث إحتلت خيام الملك الموقع المركزي محاطة بخيام كبار مساعديه بمجرد الوصول إلى أراضي العدو ، انتشرت وحدات الإستطلاع للعثور على جيش العدو وتحديد مكان إخفاء الممتلكات والحيوانات ، بعد الحصول على المعلومات الإستخباراتية الحاسمة، هاجم شيوان و أخذوا الغنائم والأسرى حتى إستسلم العدو رسميًا وخضع .

اعتمادًا على شدة القتال، كان من الممكن أن يقوم منليك أو نائبه إما بتأكيد الحكام القدامى كعملاء للتاج أو تعيين أحد النبلاء وحاشيته لإعادة تنظيم وإدارة الأراضي المدمرة كمقاطعة ملكية ، ولم يكن يتم تقسيم الغنائم إلا بعد عودة القوة الرئيسية إلى الوطن، حيث كان الملك يتلقى من نصف إلى ثلثي مجموعهن ،و هكذا كان الطريق إلى الجنوب

[٧٥] تشبه إلى حد ما الخطاط و التنافيذ المطبقة في اليمن الشمالي خلال فترة الإستعمار التركي الثاني (١٨٤٩-١٩١٨م) و العهد الإمامي (١٩١٨-١٩٦٢م) (المترجم) .

ممهداً بأحلام الثروة والنجاح بالنسبة للعديد من رعايا منليك، ومن بينهم شيوان أورومو ، و على مر السنين، تأقلموا واستوعبوا في البنية السياسية والعسكرية الإقليمية ، و تعاونوا بحكم الأمر الواقع في دمج المزيد والمزيد من الأورومو مع نمو شيوان .

كان الجنرال الأكثر نجاحاً في عهد سهلي سيلاسي هو أورومو ماتاكو الذي اكتسب قوة هائلة كحاكم جيديم حتى أنه تمرد وقتل في النهاية ، ومع ذلك، تمتع منليك بخدمات غوبانا المخلص (حوالي ١٨٢١–١٨٨٩م ، ديجازماتش و رأس[٧٦]) ، وهو أورومي من أصل نبيل، استسلم للملك عندما عاد إلى شوا في عام ١٨٦٥م ، و بحلول عام ١٨٧٦م ، كان مكرساً لغزو زملائه الأورومو بسلاح الفرسان والمشاة الهائل. وبحلول وقت استسلام منليك ليوهانيس كان الجنرال قد دفع سيادة شيوان إلى الجنوب الغربي من أواش و بدأ بغزو ممالك جيبي الأورومية المزدهرة ، مما أدى هذا الجهد إلى دخول منليك في صراع مع رأس عدال[٧٧] من جوجام، الذي كان يفرض الضرائب على السلع الجنوبية أثناء مرورها عبر مقاطعته في طريقها إلى جوندر و مصوع ، وكما كان سهل سيلاسي من قبله، كان منليك يعيد توجيه التجارة عبر شوا ، و حاول يوهانس تحقيق التوازن في الموقف باستخدام المصالح الحيوية لرأس عدال لوقف توسع شوا .

---

[٧٦] رتبتان من الرتب العسكرية في الجيش الإثيوبي (المترجم) .

[٧٧] إعتبر المؤلف سهوا عدال قائدا مسيحيا من قادة الجيش الإثيوبي و هو في الأصل سلطان صومالي لأحد ممالك الطراز الإسلامي حيث كان يحكم سلطنة عدال الواقعة في إقليم أوغادين الصومالي (أصبح إثيوبيا منذ عام ١٩٤٦م) (المترجم) .

فــي ٢٠ ينـــاير ١٨٨١م ، تـــوج الإمبراطـــور الـــرأس عـــدال نجـــوس تكلـــي هيمـــانوت ملكًـــا علـــى جوجـــام و كيفـــا و أعطـــاه ثمانيـــة آلاف بندقيـــة و هـــي المعـــدات اللازمـــة لـــذلك ، هنـــأه منليـــك بـــأدب، لكنـــه أمـــر أيضًـــا رأس جوبانـــا بالتوجـــه جنـــوب غـــرب جيمـــا و كيفـــا، وهـــي نفـــس الوجهـــات التـــي أعطيـــت لـــرأس ديريســـو جنـــرال تكلـــي هيمـــانوت ، عنـــدما واجـــه جـــيش جوجـــامي قـــوة جوبانـــا الأكبـــر حجمًـــا والأفضـــل تجهيـــزًا ، رمـــى ديريســـو و ســـلم الجزيـــة التـــي تم جمعها بالفعل من جيما، و بالتالي إعترف بسلطة شوا هناك .

رد تكلـــي هيمـــانوت المهـــان علـــى ذلـــك بإرســـال إبنـــه رأس بيزابـــه (حـــوالي ١٨٦٥–١٩٠٥م) جنوبًـــا مـــع التعزيـــزات ، لكـــن وحـــدات شـــيوان أجبـــرت الشـــباب علـــى العـــودة ، تحـــدى تكلـــي هيمـــانوت الغاضـــب منليـــك لإختيـــار مكـــان للمعركـــة ، و بعـــد أن إســـتدعى حرســـه وبعـــض قـــوات ويلـــو المســـاعدة ، ســـار شـــيوان غربـــاً إلـــى ويليجـــا للإنضـــمام إلـــى جـــيش رأس جوبانـــا ، و إضـــافة إلـــى التحـــدي ، إختـــار منليـــك إنتظـــار خصـــمه فـــي جـــودرو ، علـــى الســـهول فـــي إمبـــابو بـــالقرب مـــن أبـــاي والحـــدود مـــع جوجـــام ، و ســـرعان مـــا وصـــل تكلـــي هيمـــانوت، وفـــي الســـاعة العاشـــرة صـــباحاً مـــن يـــوم ٦ يونيـــو/حزيـــران ١٨٨٢م ، افتـــتح مدفعـــه الصـــغير المعركـــة ، و خـــاض الجانبـــان قتـــالاً شرســـاً، و لكـــن فـــي وقـــت متـــأخر مـــن بعـــد الظهـــر، وبعـــد تكبـــد العديـــد مـــن الخســـائر، انهـــار مركـــز جوجـــامي، ووقـــع الملـــك تكلـــي هيمـــانوت فـــي الأســـر ، و لـــم يكـــن الإمبراطـــور مســـروراً بـــذلك ، وخاصـــة لأن رجلـــه قـــد خســـر الحـــرب ، فســـار الجـــيش الإمبراطـــوري علـــى الفـــور نحـــو حـــدود شـــيوان ، وهـــي الخطـــوة التـــي جلبـــت منليـــك و أســـيره إلـــى معســـكر يوهـــانيس فـــي ويـــري إيلـــو و لـــم يكـــن

الشيوان ولا التغرينيين راغبين في القتال: كان الإمبراطور يريد الوحدة قبل كل شيء، وكان منليك راغباً في الإحتفاظ بمكاسبه في الجنوب ، و في مقابل تجديد العهد بالولاء، اعترف الإمبراطور بسلطة شوا في الجنوب الغربي، و نقل إلى منليك لقب ملك كيفا ، و اضطر حاكم شوا إلى نقل ممتلكاته في ويلو إلى ابن يوهانيس، رأس أرايا سيلاسي (١٨٧٠م ؟ – ١٨٨٨م) كمهر لإبنته زاديتو (ولدت عام ١٨٧٦م ، ثم أصبحت إمبراطورة في الفترة من ١٩١٦م إلى ١٩٣٠م) ولم يكن سنها الصغير مهما بالنسبة للإمبراطور الذي كان حريصا على أن يعترف منليك بأريا سيلاسي وريثاً للعرش ، وهو أحد شروط الزواج ، و وافق الإمبراطور على علاقة أخرى ، و هي حفل زفاف في ٢٣ أبريل/نيسان ١٨٨٣م بين منيليك وتايتو بتول (١٨٥٠–١٩١٨م) ، و لعل اختيار منليك كان ينطوي على عنصر من عناصر الشطرنج السياسي، لأن تايتو جاءت من ييجو، المقاطعة الشمالية ذات الأهمية الاستراتيجية التي كان حاكمها شقيقها وولي ، صديق مينيليك منذ أيام مكديلا .

ولكن الأهم من ذلك هو الصفات التي لا شك فيها التي كانت تتمتع بها تايتو حيث كانت متعلمة تعليماً عالياً، وقوية، وواثقة من نفسها، وذات خبرة سياسية، ووطنية عميقة ، أما الملكة دومينيكا فكانت زوجة مثالية لزوجها حيث كان الملك ميالاً إلى الاندفاع أو المغامرة ، و عندما كانت تشارك في مفاوضات جادة مع الأجانب ، كانت تتصرف بثقة ماهرة، على الرغم من أنها كانت قادرة على إثارة نوبة غضب سياسية عندما يكون ذلك ضرورياً ، و كانت هذه المرأة الفخورة المتمتعة بحكم

سليم ومزاج مستقر الزوجة المثالية لزوجها و بمثابة صندوق رنين له، وعملا معاً بشكل جيد خلال سنوات زواجهما ، و مع استقرار حياتهما الخاصة والسياسية ، كشف منليك استغلاله للجنوب حيث كانت تجارة الرقيق هناك توفر أكبر الأرباح ، و على الرغم من أن الملك لم يشارك فيها بشكل مباشر تاركا على الدوام الجانب القذر من العمل لعملائه المسلمين في منطقة عبد الرسول ، و كان الإمداد يأتي من خلال الحرب أو من جيما التي خضعت لمنليك في عام ١٨٨٤م مقابل الحكم الذاتي .

لقد تأثرت ثروة أبا جيفار الثاني (١٨٧٨ – ١٩٣٢م) ورفاهية دولته تأثرا وثيقًا بتجارة الرقيق من الجنوب الغربي والعبودية كأسلوب للإنتاج ، فلقد سهّلت له التجارة عبر ليما كمصدر لإيرادات العبور و كوسيلة للحصول على العاج من الجنوب ، فضلا عن إستخدامه هو و غيره من المسؤولين العبيد في المزارع الكبيرة التي شكلوها من الأراضي التي استولى عليها من المستخدمين التقليديين ، و قد دعم استغلال أبا جيفار للعبيد بلاطه وحكومته ودفع الجزية لمنليك الذي إستفاد من مواقف مماثلة في ليكا وغوما وجيرا حيث فرض أيضًا ضرائب على مبيعات العبيد في شوا أو على عبورهم عبر المقاطعة أو كليهما .

في الوقت نفسه، كان يوهانيس منهمكاً في حماية استقلال إثيوبيا بعدما فاز بالحرب مع مصر ، و لكن توطيد السلام استغرق سبع سنوات صعبة ومعقدة للغاية حيث كان عليه أن ينتزع العدو من ممتلكاته الإريترية وخاصة من البوجو التي يسكنها المسيحيون ، فأمر بشن غارات شبه

متواصلة على الأراضي المنخفضة المحيطة بمصوع ، و كان الإمبراطور يزعم أن مصر هي المعتدي و أن إثيوبيا هي الطرف المظلوم و أن الأراضي المحتلة يجب أن تُعاد إليه وأن يتم ضمان وصول البلاد إلى البحر ...... و غيرها من الأمور و المطالب التي رفض الخديوي مناقشتها مع يوهانس حتى ، ما دفع الأخير إلى رفض مقابلة العقيد (الذي أصبح لاحقاً جنرالاً) تشارلز جورج جوردون (١٨٣٣-١٨٨٥م) الحاكم العام للسودان الذي جاء إلى إثيوبيا في مارس/آذار ١٨٧٧م للتفاوض على السلام .

عاد جوردون إلى إثيوبيا مجددا عام ١٨٧٩م و لكنه فشل مرة أخرى ، لأن الإمبراطور كان بوسعه أن يعتمد على منليك وكان أقوى كثيراً في تأكيده على سيادة إثيوبيا ، فمارس يوهانس وجنراله رأس علولة (حوالي ١٨٤٧-١٨٩٧م) ضغوطًا متواصلة على الممتلكات المصرية مما أدى إلى عزل مصوع عن أراضيها الداخلية و أدى بالتالي إلى إعاقة التجارة وتقليص الإيرادات الحكومية ، و في الوقت نفسه، كانت الإمبراطورية المصرية تتفكك داخلياً مع فشل مخططات الخديوي إسماعيل للتنمية الإقتصادية .

و على هذا فقد كان موقف المصريين في خطر بالفعل عندما أدى صعود المهدي (محمد بن السيد عبد الله[٧٨]، ١٨٤٤-١٨٨٥م)[٧٩] في

[٧٨] إسمه الحقيقي هو محمد بن أحمد و ليس محمد بن السيد عبدالله (المترجم) .

[٧٩] مازال المؤلف يمارس التخبط الزمني لسياق الأحداث حيث لم يفرق بين عهد الخديوي إسماعيل (١٨٦٤-١٨٧٦م) و خلفه توفيق (١٨٧٦-١٨٩٤م) و لم يذكر شيئا عن قائد الجيش النظامي أحمد عرابي ولا عن ثورته العرابية عام ١٨٨٢م و لا حتى عن الإحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢م ما يكشف جهله الواضح إن لم نقل الفاضح بتاريخ مصر و ما حولها من بلدان شرق إفريقيا و القرن الإفريقي (المترجم) .

السودان إلى تدمير قبضة القاهرة على شمال شرق أفريقيا ، و لأن الخديوي توفيق لم يعد قادراً على الاحتفاظ بممتلكاته الإمبراطورية ، فقد أوصى المستشارون البريطانيون له بإجلاء الحاميات السودانية المعزولة في مصر عبر إثيوبيا ، و في مقابل التعويض، كان الخديوي على استعداد لإعادة بوغوس و لكنه حاول جاهداً الاحتفاظ بمصوع ، وقد تمسك يوهانس بعناد بالإجلاء غير المشروط والكامل لجميع الممتلكات المصرية، بدعم من اللورد نابير في لندن الذي فضل ميناءً خاضعاً لسيطرة إثيوبيا لفتح البلاد للتجارة والتحديث ، و لكن عندما جاء الأدميرال السير ويليام هيويت (١٨٣٤-١٨٨٨م) إلى أدوا في أواخر مايو/أيار ١٨٨٤ نيابة عن بريطانيا و مصر لم تسمح تعليماته بتنازل مصوع رغم أنه كان قادراً على التنازل عن السيطرة الإثيوبية على بوغوس وعن حرية مرور جميع البضائع من مصوع و إليها بما في ذلك الأسلحة والذخيرة حيث تضمنت معاهدة أدوا التي وقعتها إثيوبيا وبريطانيا العظمى ومصر في الثالث من يونيو/حزيران ١٨٨٤م هذه الشروط في مقابل تعهد يوهانس بتسهيل إجلاء القوات المصرية عبر إثيوبيا .

وبالنسبة للإمبراطور، كانت المعاهدة نجاحاً كبيراً: فقد كافأه الصبر والضغط بإعادة الأراضي التي استولى عليها ظلماً، وبإتاحة حرية الوصول إلى البحر في مصوع و ربما افترض أن الميناء سوف يصبح قريباً إثيوبياً، ولكن لا شيء في السجل الدبلوماسي يدعم مثل هذا الاستنتاج ، و حتى لو كانت المعاهدة مكتوبة على هذا النحو فإنها كانت قابلة للإختراق ، ورغم أن إثيوبيا أوفت بالتزاماتها بموجب المعاهدة بدقة ، فإن سلوك

بريطانيا كان خائناً و متواطئا للغاية ، فلقد كانت لندن حساسة للفراغ الوشيك في القوة في البحر الأحمر، وخشية أن يحصل الفرنسيون في تاجوراء على ميزة استراتيجية ، و في بحثها عن ثقل موازن، رفضت وزارة الخارجية أن تأخذ إثيوبيا على محمل الجد كقوة إقليمية و الواقع أن هيويت أوصى بالتنازل عن زويلة لروما، التي كان يعلم أنها ستحفز يوهانيس على القتال. وكان الإنجليزي يعتقد أن خمسة آلاف جندي أوروبي ستكون كافية لمعاقبة الإثيوبيين لاعتقادهم أنهم مساوون للرجل الأبيض ، و قد دفع هذا التحيز المتغطرس ، بل و الجهل، وخاصة من جانب شخص يواجه جيوش الحركة المهدية لندن نحو حليف أوروبي. وفي أكتوبر/تشرين الأول ١٨٨٤م ، شجعت وزارة الخارجية إيطاليا على الاستيلاء على مصوع لكي تعمل كبوابة بريطانية على طول ساحل البحر الأحمر الإثيوبي ، و بالتالي منع الفرنسيين من دخول حوض النيل من الشرق [٨٠].

ولقد كان من السهل إغواء روما، لأنها كانت من الوافدين المتأخرين إلى عالم الإمبريالية الأوروبية الحديثة ، وكانت المنطقة الإثيوبية[٨١] واحدة من المناطق الأفريقية القليلة التي لم تهيمن عليها فرنسا أو بريطانيا[٨٢] ، وكانت إيطاليا، وهي القوة الضعيفة نسبياً وإن كانت طموحة، فلقد ساعدت بريطانيا في عام ١٨٨٢م في قمع القوميين المصريين الذين

[٨٠] السبب الحقيقي الذي دفع البريطانيين لدعم الإحتلال الإيطالي لإرتيريا هو فرض الحصار البحري على إثيوبيا لكي تكون تحت رحمتهم الإستعمارية و ليس خوفا من أن يكون للفرنسيين موطئ قدم على سواحل البحر الأحمر ، سيما و أن الفرنسيين قد تمكنوا من إحتلال جيبوتي المعروفة بالصومال الفرنسي عام ١٨٨٩م و الشيخ سعيد التابعة لمحافظة تعز اليمنية عام ١٨٧٠م و كلاهما يطلان على البحر الأحمر و مضيق باب المندب (المترجم) .

[٨١] يقصد المؤلف منطقة القرن الإفريقي (المترجم) .

[٨٢] غير صحيح ، فلقد كان لبريطانيا و فرنسا مستعمرات في منطقة القرن الإفريقي لكن أقل من مستعمرات إيطاليا التي كان لها نصيب الأسد من أراضيها الشاسعة (المترجم) .

سعوا إلى طرد الأوروبيين من البلاد ، و بالنسبة للندن فقد بدت روما بمثابة البديل المناسب والموثوق به في منطقة جنوب البحر الأحمر ، وبطبيعة الحال، كان الإيطاليون مهتمين بمنطقة القرن الأفريقي منذ أوائل سبعينيات القرن التاسع عشر، وكانوا يعتقدون أنهم يعرفون شيئاً عن المنطقة وشخصياتها. وكانوا مسرورين بالتعاون مع بريطانيا في حماية شمال شرق أفريقيا، وخاصة وأن خبرتهم العلمية في إثيوبيا كانت سبباً في تحريض طموحاتهم في إقامة إمبراطوريتهم المنشودة .

في الخامس من فبراير/شباط ١٨٨٥م نزل الإيطاليون في مصوع وهو الحدث الذي أدرك منليك أنه قد يؤدي إلى نشوب حرب بين إثيوبيا وإيطاليا ، في البداية، نظر الإمبراطور إلى الأمر بلا مبالاة، منتظراً الأحداث ، رغم أنه أعرب عن استيائه من البريطانيين ، كان في الواقع مشغولاً بانتفاضة في ويلو ضد ابنه وكان ليرضى برؤية الإيطاليين يوفون بمهمة اتفاقية هيويت ، و لكن في غضون فترة قصيرة، انجذب الأوروبيون إلى مرتفعات بوغوس الرائعة والهادئة على بعد حوالي خمسة وأربعين ميلاً فقط من مصوع وعندما بدأ الإيطاليون في منع شحنات الأسلحة، اكتشف يوهانس أن إثيوبيا لا تزال غير ساحلية ، وأن الإيطاليين أصبحوا عدواً جديداً له، و ظل منليك، على طريقته، مخلصاً لسيادته، ومنح الإمبراطور الأمن الذي يحتاج إليه لمواجهة التهديد الإمبريالي ، و مع ذلك ظل على علاقة ودية مع الإيطاليين ، الذين ساعده وجودهم في عصب وشوا في الحصول على آلاف البنادق .

كـــان منليـــك يبنـــي معهـــم إمبراطوريتـــه الخاصـــة ، ومـــن المفارقـــات أن يوهـــانس كـــان يســـعى جزئيـــاً إلـــى الـــدفاع عنهـــا ، و كـــان التبـــاين فـــي الأنشـــطة واضـــحاً بوضـــوح فـــي عـــام ١٨٨٧م ، ففـــي الخـــامس والعشـــرين مـــن ينـــاير/كـــانون الثـــاني، فـــي دوجـــالي، أبـــاد رأس علولـــة رتـــلاً مـــن ٥٥٠ جنـــدياً إيطاليـــاً أُرسِـلوا لكسـر حصـار موقـع صـغير فـي منطقـة حـددتها معاهـدة هيويـت بأنهـا إثيوبيـة ، و فـي الوقـت نفسـه، كـان منليـك يسـتولي علـى هـرر التـي كـان يطمـع فيهـا منـذ إخلائهـا مـن قبـل المصـريين فـي مـايو/أيـار ١٨٨٥م ، و كانـت المدينـة والمنطقـة المجـاورة قـد اسـتولى عليهـا الأميـر عبـد الله مـن العشـيرة الحاكمـة القديمـة حيـث كـان لديـه بضـع مئـات مـن رجالـه المسـلحين بالبنـادق و بعـض المـدافع و الـذخائر و هـي قـوة بالكـاد كافيـة لحراسـة هـرر، ناهيـك عـن مراقبـة طـرق التجـارة ، و كـان الأميـر أيضـاً مـن الأصـوليين المسـلمين حيـث سـرعان مـا بـدأ فـي اضـطهاد المسـيحيين الأوروبيـين والإثيوبيين مما أجبر العديد منهم على المغادرة إلى شوا والساحل .

وفـي ينـاير/كـانون الثـاني ١٨٨٦م ، تـولى الأميـر عبـد الله قيـادة هـرر ، و لقـد أدخـل نظامـاً نقـدياً جديـداً أدى إلـى إفقـار الأورومـو المحليـين الـذين تمـردوا علـى الفـور ، و لقـد أصـاب القلـق منليـك الـذي كـان متـوتراً بالفعـل عنـدما أوقـف عبـد الله شـحن الأسـلحة والـذخائر عبـر أراضـيه ، و فـي إبريـل/نيسـان ١٨٨٦م ، أعطـت مذبحـة أوجـادين التـي راح ضـحيتها المستكشـفون الإيطـاليون و التـي قيـل إنهـا كانـت بنـاء علـى أوامـر الأميـر، منليـك ذريعـة للتـدخل حيـث كـان جيشـه قويـاً و جنـوده يحملـون آلاف البنـادق الجديـدة مـن طـراز ريمينجتـون، فضـلا عـن أنهـم كـانوا متمرسـين فـي

المعارك ويتمتعون بروح معنوية عالية و ذلك بفضل سلسلة من الانتصارات التي لم تنقطع تقريباً ، و مع ذلك سعى منليك إلى تجنب الحرب، وفي أوائل يناير/كانون الثاني من معسكره في شيلينكو، على بعد حوالي ثمانية وثلاثين ميلاً إلى الغرب من هرر، عرض على عبد الله نفس النوع من الحكم الذاتي الذي حافظ عليه أبا جيفار تحت سيادة شيوان ، ولكن العرض رُفِض بالطبع ، و قرر عبد الله شن هجوم في عيد الميلاد الإثيوبي في السادس من يناير/كانون الثاني ١٨٨٧م عندما اعتقد أن شيوان سوف يكونون على حين غرة وقد شبعوا من الطعام والشراب . ولكن منليك الذي كان قلقاً من وقوع هجوم مفاجئ وضع رجاله في حالة تأهب ، و عندما بدأ رجال الأمير في إطلاق النار حوالي الساعة ١١:٠٠ صباحاً، شنت قوات شوا هجوماً مضاداً على الفور، وبأقل عدد من الضحايا، هزمت العدو بسرعة ، و فر عبد الله والناجون الآخرون إلى هرر، وتبعهم منليك وقواته الذين ظهروا أمام بوابات المدينة المقفلة و إن كانت هشة في الثامن من يناير ، ومرة أخرى رفض عبد الله عرضاً بالإستسلام الحميد وهرب إلى صحراء الصومالية بعدما سمح لعمه القاضي المحلي بترتيب الاستسلام ، و عين منليك ابن عمه ديج ماكونين (١٨٥٢-١٩٠٦م ، ولاحقاً رأس؛ والد هيلا سيلاسي الأول) حاكماً على هرر ، و تحت إشراف ماكونين ، أصبحت المدينة مركزاً لتجارة الأسلحة في شوا، مما جعل خليج تاجوراء الذي تسيطر عليه فرنسا وميناء أوبوك يعتمد على الاتصال الإثيوبي حيث جاء التجار الفرنسيون إلى هرر لتزويد حكومة شيوان بأسلحة أفضل وبأسعار أقل ، و مع كل هذه المنافسة تمكن ماكونين من زيادة الضرائب والرسوم وترتيب جداول

سداد مواتية ، و بحلول سبتمبر/أيلول ١٨٨٧م ، طغت تجارة الأسلحة في هرر على كل أشكال التجارة الأخرى حيث كانت التجارة مربحة إلى الحد الذي جعل المستعمرة الفرنسية على الساحل قادرة على العيش من عائداتها ، الأمر الذي جعل من البديهي في باريس أن يتم حماية هذا المصدر من الإيرادات ، و على النقيض من ذلك، عانت مصوع من مقاطعة يوهانيس، و سعى الإيطاليون إلى استعادة "هيبتهم" المفقودة ، وفي إيطاليا ، صوت البرلمان على تخصيص الأموال اللازمة لإنشاء فيلق استكشافي قوي بما يكفي لإعادة احتلال المواقع التي طرد منها رأس علولة المستعمرين في يناير/كانون الثاني وفبراير/شباط ١٨٨٧م ، و لكن ليس بالقوة الكافية للانتقال إلى المرتفعات .

في أواخر نوفمبر ١٨٨٧م ، بدأ الجنرال أليساندرو أسيناري دي سان مارزانو، قائد الفيلق الخاص، في تحصين المستعمرة الإيطالية الصغيرة: فقام ببناء الطرق والجسور لضمان القدرة على الحركة والاتصالات ، كما شيد خط سكة حديد من مصوع إلى ساهاتي، البؤرة الاستيطانية التي زعم يوهانيس أنها تقع ضمن إثيوبيا وفقاً لاتفاقية هيويت .

ولقد حصن سان مارزانو ساهاتي و مصوع و هرجيسا و هيتمولو، على أمل أن يهاجم الإمبراطور جيشه ويدمره في مواجهة الدفاعات الجديدة للمستعمرة ، وفي الوقت نفسه، كان أنتونيلي في إنتوتو (حاليا أديس أبابا) يسعى إلى تحويل منليك إلى حليف نشط ضد يوهانيس، أو في حالة فشله في ذلك، الحصول على حياده ، و عرض الإيطالي مقايضة مساعدة روما في الفوز بالتاج الإمبراطوري بتنازلات إقليمية واقتصادية

وسياسية غير محددة ، والتي كانت في الغالب مرتبطة بإريتريا، وفقًا للأحداث اللاحقة. ومع ذلك، لم يلتزم منليك، لأن الإمبراطور كان يتمتع بشعبية في البلاط، وظل الجيش الإمبراطوري يشكل تهديدًا، وأقسمت شيوان الولاء ليوهانس ، وقد دفعته الحكمة والتردد إلى عرض التوسط بين يوهانس وإيطاليا، ليس فقط لحماية مكاسب شيوا ولكن أيضًا لتجنب الظروف المحرجة والخطيرة ، و لكن جهوده باءت بالفشل، لأن الإيطاليين كانوا غير معقولين في حل الصراع ، فقد زعموا أن رأس علولة هو المعتدي ، وأن إثيوبيا يجب أن تعتذر عن دوجالي، وأنهم يجب أن يحتفظوا بالسيطرة على سهاتي وغيرها من الأراضي المتنازع عليها. ونسيت روما أن هذه الأماكن كانت إثيوبية بموجب شروط اتفاقية هيويت وأن قواتها ربما تكون قد إستفزت رأس علولة ، وعلى النقيض من ذلك ، أظهر يوهانس اهتمامًا جادًا بالسلام مع الشرف ، وسعى إلى التحكيم في النزاع من قبل بريطانيا العظمى، الدولة الأخرى الموقعة على معاهدة هيويت. وردًا على ذلك، أرسلت لندن جيرالد هربرت بورتال (١٨٥٨–١٨٩٤م فيما بعد السكرتير الثاني لدى المندوب السامي في القاهرة) للتحدث إلى الإمبراطور ، و في طريقه إلى أسمرة، حصل على لمحة عن الموقف الإمبراطوري من رأس علولة ، الذي رفض بشدة السماح للإيطاليين بأي دور في المرتفعات ،كان موقف الإمبراطور أكثر صرامة ، فهو لن يتنازل عن أي أرض ، وكانت مصوع إثيوبية بالقتال، ولن يتفاوض إلا على تأكيد معاهدة عام ١٨٨٤م ، و كانت السياسة الإيطالية والمصالح الوطنية الإثيوبية متعارضة بشدة لدرجة أن مهمة بورتال أجهضت ، فقدمت إيطاليا سلسلة مماثلة من الحجج حول ويلو في

عـــامي ١٩٣٥م و ١٩٣٦م (انظـــر الفصـــل العاشـــر، ص ١٤٦) عنـــدما تآكـل صـبر الإمبراطـور فـي نهايـة مـارس ١٨٨٨م ، ظهـر هـو وقـوة كبيـرة أمـام سـاهاتي ، و فـي مواجهـة الهجـوم الإثيـوبي ، لـم يتـرك الجنـرال دي سـان مـارزانو تحصـيناته بحكمـة ، و مهمـا كـان الإمبراطـور يأمـل فـي تحقيقـه ، فـإن جيشـه كـان أكبـر مـن أن يحاصـره ، نفـدت إمداداتـه بسـرعة ، و اضـطر إلـى إصـدار أمـر بالانسـحاب فـي أوائـل أبريـل، وفـي ذلـك الوقـت كـان رجالـه الجـائعون مرضـى بالزحـار وكانـت حيواناتـه تنفـق بسـبب طـاعون البقـر الـذي اصـطاده مـن البغـال التـي اسـتوردها الإيطـاليون مـن الهنـد ، لقـد أضـعف جيشـه و خسـر الكثيـر مـن مـاء وجهـه علـى مـا يبـدو بـلا سـبب ، وبينمـا كـان مشـغولاً فـي سـاهاتي، غـزا المهـديون غوجـام وبيجمـدير ، أرسـل تكلـي هيمـانوت علـى الفـور رسـلاً إلـى الإمبراطـور يطلـب المسـاعدة ثـم سـار بعيـدًا، فقـط ليهزمـه السـودانيون بشـكل كـارثي فـي ١٨ ينـاير ، نظـرًا لأن الملـك فقـد معظـم جنـوده وجميـع أسـلحتهم، لـم يـتمكن مـن جمـع قـوة جديـدة، تاركًـا شـمال غـرب إثيوبيـا مفتوحًـا للعـدو ، و لقـد أعقـب المهـديون انتصـارهم بـدخول جونـدر ونهبهـا وإحراقهـا، بمـا فـي ذلـك أغلـب كنـائس المدينـة. وقـد وقـع الآلاف مـن المسـيحيين فـي الأسـر واسـتعبدوا وسـاقوهم إلـى ميتيمـا ، ولقـد أصـابت الأخبـار إثيوبيـا بالـذهول، وأمـر الإمبراطـور، الـذي كـان لا يـزال يلعـق جراحـه فـي تيغـراي، منليـك وجـيش شـيوان بالتـدخل لإنقـاذهم ، و لقـد شـعر تكلـي هيمـانوت بتحـول فـي السـلطة، فتفـاوض علـى تحـالف دفـاعي مـع منليـك، الـذي انتهـك بـذلك اتفـاق عـام ١٨٧٨م و تحـدى ملكـه بشـكل مباشـر. وبعـد أن نجـح جـيش منليـك فـي تـأمين غوجـام وبيجمـدير، أمـر الإمبراطـور شـيوان بـالعودة إلـى ديـارهم عبـر ويلـو، حيـث كـان مـن المقـرر أن

يلتقي الرجلان ، وعندما ماطل الملك، لم يتمكن الإمبراطور من الرد بالقوة بعدما أصيب بصدمة أخرى بسبب وفاة إبنه رأس أرايا سيلاسي وظهور وباء طاعون البقر ، في الواقع، فكر يوهانس في التنازل عن العرش أثناء هطول الأمطار الطويلة في عام ١٨٨٨م ، ولكن عندما تلقى تقارير تفيد بأن المهديين كانوا يغزون غرب غوجام، سارع إلى الزحف على أمل تحقيق نجاح عسكري يساعده في استعادة بريقه وسلطته. وعندما رفض تكلي هيمانوت التعاون في أواخر سبتمبر/أيلول ١٨٨٨م رد الإمبراطور بتحويل جيشه ضد أبناء قومه ، و هو القرار الذي كان أكثر تميزًا من قرارات تيودروس حيث ألقى الإمبراطور باللوم في الإرهاب على منليك لتضليله ملك غوجام وإقناعه بالتحالف مع الخائن ، أنكر شيوان كل شيء، وأعد دفاعات مملكته، وفي نوفمبر/تشرين الثاني ١٨٨٨م أعلن الحرب على الإمبراطور، محذرًا شعبه من أنه يجب عليهم القتال أو، مستشهدًا بتجربة غوجام، سيخسرون كل ممتلكاتهم من خلال النهب. في البداية، تم استقبال إعلان منليك بحماسة .

ولكن سكان شوا أصبحوا قلقّين عندما علموا أن تكلي هيمانوت قد استسلم ليوهانس وأن راس ميكائيل من ويلو قد انضم إلى المعسكر الإمبراطوري. لم يكن منليك مهتمًا، ومع ذلك، لأنه اعتقد أنه رتب تحركًا إيطاليًا في إريتريا مما استلزم انسحاب يوهانس السريع شمالاً. أثناء محادثة في ٢ يوليو ١٨٨٨م ، أخبر منليك الكونت أنتونيلي أنه يقطع علاقته بالإمبراطور ، وأنه يسعى إلى تعاون روما، وأنه يريد عشرة آلاف مدفع ريمينجتون مع ذخيرة كافية ، استنتج الإيطالي أن الوقت قد حان

للملــك للتحــرك وأن الحــرب الأهليــة الوشــيكة يمكـــن اســتخدامها كغطـــاء للتقــدم مــن مصــوع إلــى المرتفعــات ، و لقــد نصــح أنتــونيلي حكومتــه بإرســال مــا يريــده إلــى منليــك، وتحديــد موعــد لاحــتلال أســمرة و بوغــوس قبــل انــدلاع الحــرب الأهليــة ، ثــم ضــغط علــى الملــك ليوافــق علــى أن الأراضــي الإضــافية مــن شــأنها أن تــوفر حــدوداً أفضــل مــع إثيوبيــا و بيئــة معتدلــة للجنــود الأوروبيـــين ، و لقـــد أدرك منليـــك حقيقـــة مغالطتـــه ، ولكنـــه كـــان فـــي احتيـــاج إلـــى تحويـــل انتبـــاه الإيطـــاليين أكثـــر مـــن احتياجـــه إلـــى بوغـــوس ، ونصـــح أنتـــونيلي الملـــك بـــأن القـــوات الإيطاليـــة ســـوف تحتـــل المنطقـــة بمجـــرد أن يهـــاجم يوهـــانس فلقـــد فســـر منليـــك تعبئـــة شـــوا علـــى أنهـــا هجـــوم علـــى الإمبراطـــور حيـــث انتظـــر الـــرد مـــن مصـــوع ، و عنـــدما لـــم تصـــل البنـــادق والـــذخائر الموعـــودة ، بـــدأت الألســـنة البلاطيـــة تـــتكلم عـــن غـــدر رومـــا وتخليهـــا عـــن شـــيوا بعـــد إغوائهـــا بالخيانـــة ، و بحلـــول شـــهر نـــوفمبر/تشـــرين الثـــاني ، شـــعر الملـــك بـــالقلق ، فبـــدأ فـــي محاولـــة كســـب الوقـــت ، فـــدخل فـــي مراســـلات مـــع الإمبراطـــور لنـــزع فتيـــل الأزمـــة ، و ظـــل يوهـــانس متشـــككاً فـــي ولاء الملـــك نحـــوه ، وتـــدهورت المفاوضـــات إلـــى تبـــادل الشـــتائم والاتهامـــات.

وفـــي أواخـــر ديســـمبر/كـــانون الأول، عنـــدما وصـــل أنتـــونيلي إلـــى شـــوا مـــن الســـاحل ومعـــه عشـــرة آلاف بندقيـــة وذخيـــرة، بـــدا أن الحـــرب الأهليـــة حتميـــة. ولكـــن الأزمـــة تلاشـــت عنـــدما هـــاجم المهـــديون مـــرة أخـــرى بيجمـــدير، وســـار يوهـــانس للـــدفاع عـــن إمبراطوريتـــه المســـيحية الحبيبـــة ضـــد الكفـــار. وكـــان النصـــر ليصـــلح معظـــم الأضـــرار التـــي لحقـــت بســـمعة الإمبراطـــور العســـكرية، ووصـــل إلـــى ميتيمـــا فـــي أواخـــر فبرايـــر/شـــباط بجـــيش كبيـــر وتفـــاؤل كبيـــر ، و حـــذر قائـــد الحاميـــة مـــن أنـــه جـــاء للانتقـــام ، وفـــي التاســـع مـــن مـــارس/آذار

عنـــدما بـــدأت المعركـــة ، بـــدا الأمـــر وكـــأن الله يؤيـــد الإثيـــوبيين ، وتمكـــن الإمبراطـور وقيادتـه مـن اختـراق مركـز خطـوط المهـديين وانـدفعوا نحـو النصـر حتـى أصـيب يوهـانس برصاصـة فـي يـده اليمنـى أولاً، ثـم عنـدما تقـدم مـرة أخرى، استقرت رصاصة في صدره فقتلته .

بداية صعود الإمبراطور منليك الثاني إلى السلطة :

منذ ذلك الحين تردد المسيحيون ثم انكسروا، مما منح المسلمين نصرًا غير مستحق. مع أنفاسه الأخيرة، أعلن يوهانس ابنه الطبيعي، ديج. منجيشا، وريثًا، مما خلق مشكلة خلافة طفيفة. في ٢٥ مارس ١٨٨٩م عندما علم منليك بالمأساة في ميتيما، أعلن نفسه على الفور نجاوس نجاست (ملك الملوك بالأمهرية) لم يكن لديه الكثير من المنافسين حقًا ، فقد تفكك الجيش الإمبراطوري وهو يسير إلى الوطن حزينًا، ولم يحتفظ سوى رأس علولة وميكائيل بقوات صغيرة سليمة ، و مع ذلك ، قام منليك بجولة سريعة في الشمال بقوة ، و تلقى استسلام المسؤولين المحليين في لاستا وييجو وجوجام ووليلو وبيجمدير ، ولكن الإمبراطور الجديد خلص مع ذلك إلى أن ادعاءات منجيشا لابد و أن تتلاشى، أولاً بالاحتلال الإيطالي لمدينة بوغوس ، وهو ما من شأنه أن يجعل رأس علولة عاجزاً ، ثم بالاعتراف الرسمي من جانب روما بوضعه الجديد. ولذلك قرر أن يبدأ محادثات من أجل التوصل إلى اتفاق اقترحه أنتونيلي قبل وفاة يوهانس ، و خلال المفاوضات التي جرت في إبريل/نيسان ١٨٨٩م في بلدة ويشالي في ويلو، تم شرح كل عبارة من عبارات المعاهدة لمنليك ، و أصر على إدخال تغييرات مختلفة ، كتبها أنتونيلي في النسخة الإيطالية ، ثم وضعها جيراز باللغة الأمهرية ، و كان من بين هؤلاء الذين أدرجوا في المعاهدة يوسف نيجوس ، الذي لم يكن يعرف الإيطالية ، و رغم أن الوسيط كان أنتونيلي الذي استخدم اللغتين ، فإن

الإمبراطور لم يتنبأ بأي مخاطر محتملة في النص كما تم التفاوض عليه، وفي الثاني من مايو/أيار ١٨٨٩م ، وقع وختم معاهدة الصداقة والتجارة، المعروفة باسم معاهدة ويشال ، و كان النص الإيطالي للمادة ١٧ سيئة السمعة يلزم الإمبراطور باستخدام حكومة روما كوسيط للعلاقات الخارجية لإثيوبيا ، و مع ذلك ، لم تتضمن النسخة الأمهرية أي التزام ولكنها سمحت بإمكانية طلب المساعدة الإيطالية ، و لم يلحظ منليك أي قيد في المادة ١٧، التي وافق عليها لأنها جعلت الشبكة الدبلوماسية الإيطالية متاحة لاستخدام إثيوبيا و لأنها – كما أصر أنتونيلي– أظهرت حسن نية روما واحترامها لحكومة أديس أبابا ، و كان الاختلاف الكبير في النية بين النسختين الإيطالية والأمهرية له علاقة كبيرة بطموحات أنتونيلي الإمبريالية في إيطاليا ، و من الواضح أنه كان يأمل أنه عندما يتم اكتشاف التناقض النصي ، ستكون روما في وضع مهيمن في القرن الأفريقي بحيث يقبل منليك الأمر الواقع ، و في غضون ذلك ، حصدت إيطاليا فوائد المعاهدة ، احتلت قيادة مصوع كرن سلميًا في ٢ يونيو و أسمرا في ١٠ أغسطس عام ١٨٨٩م ، وفي أكتوبر/تشرين الأول، صدرت تعليمات إلى البعثات الدبلوماسية الإيطالية بإخطار الحكومات المضيفة لها بأن روما، استناداً إلى المادة ٩٠-١٧، تطالب بالحماية على إثيوبيا وفقاً للمادة ٣٤ من القانون العام لمؤتمر برلين الصادر في ٢٦ فبراير/شباط ١٨٨٥م ، و اعترضت الحكومتان الروسية والفرنسية ، حيث لم يكن هناك احتلال فعال و لا إعلان رسمي للحماية ، ولم يتم توضيح المدى الجغرافي للمطالبة ، و بطبيعة الحال، لم يكن منليك يعرف شيئاً عن هذه الكارثة الصغيرة في أوروبا، لكنه مضى قدماً في تعزيز

سلطته ، و في ٣ نوفمبر/تشرين الثاني ١٨٨٩م ، أمام حشد متألق من كبار الشخصيات ورجال الدين، في كنيسة مريم على جبل إنتوتو، توج أبونا ماثيوس (مواليد ١٨٥٧م ، أسقف شوا، ١٨٨١-١٨٨٩م ، مطران إثيوبيا، ١٨٨٩-١٩٢٧م) منليك إمبراطوراً على إثيوبيا ، قبل هذا الحدث و بعده ، أرسلت شيوان رسائل إلى القوى الأوروبية المختلفة بشأن مجموعة من الأمور. وكانت الردود التي تلقتها مزعجة للغاية بالنسبة لمينليك وكشفت عن أنه كان على وشك الدخول في أزمة كبرى .

سبعة هزائم للإمبريالية الأوروبية :

حتى عام ١٨٩٧م قررت القيادة الإيطالية في إرتيريا من جانب واحد نقل القوات إلى تيغراي، ظاهريًا لمحاربة أعداء منليك ، ومع ذلك، أثار احتلال إيطاليا لأدوا في ٢٦ يناير ١٨٩٠م تساؤلات حول نوايا روما طويلة الأجل ، خاصة و أن الإمبراطور أصبح هدفًا لاتهامات تغرينية بأنه باع نفسه للإيطاليين ، و من أديس أبابا، العاصمة الجديدة الواقعة الآن في الوادي أسفل إنتوتو، وافق أنتونيلي على شكاوى ديج ماكونين من انتهاك معاهدة ويشالي ، و خاصة الاتفاقية التكميلية التي وقعها الرجلان في روما في ١ أكتوبر ١٨٨٩م ، و التي نصت على حدود على طول نهر مأرب على أساس الاحتلال الفعلي ، و عندما انسحب الإيطاليون من تيغراي بحلول الخامس والعشرين من فبراير/شباط ١٨٩٠م ، بفضل تصديق الإمبراطور على ترتيبات أنتونيلي-ماكونين، أصبحت الحدود الإريترية تشمل الآن كل منطقة حماسين ، و لا ندري لماذا أقدم منليك على هذا التنازل التاريخي عن الأراضي ـ وهو التنازل الأول لحاكم إثيوبي. ربما كان القرار نابعاً من القلق السياسي الذي انتاب منليك إزاء الشمال والأزمة الاقتصادية المستمرة التي تعيشها الإمبراطورية ، و لأنه كان يعتقد أن نقص الإمدادات والحيوانات التي يستخدمها جيشه يحول دون إرسال حملة عسكرية إلى تيغراي ، فقد يكون قد استنتج أنه لابد و أن يعتمد على الإيطاليين للسيطرة على رأسيس منجيشا و علولة ، وبطبيعة الحال، كان الأوروبيون راضين عن كونهم رجال الشرطة في إثيوبيا، وهو الدور

الـذي كـان يسـتمتع بـه الجنـرال بالداسـاري أوريـرو، حـاكم إريتريـا (١٨٨٩-١٨٩٠م) ، وكـان أوريـرو ينظـر إلـى المسـتعمرة باعتبارهـا قاعـدة عسـكرية لغـزو إثيوبيـا، وهـو مـا يكشـف عـن الموقـف المتطـرف الـذي كـان يـرى أن إمبراطوريـة شـمال شـرق أفريقيـا هـي قـدر رومـا ، كـان فرانشيسـكو كريسـبي (١٨١٩-١٩٠١م) رئـيس الـوزراء القـومي المتشـدد و المصـاب بجنـون العظمـة، مـن أبـرز المؤيـدين لهـذا الـرأي، وكـان يعتقـد أن الوحـدة الوطنيـة التـي اكتسـبتها إيطاليـا حـديثاً تتطلـب عظمـة الإمبراطوريـة الرومانيـة الثانيـة ، و لكـن بحلـول عـامي ١٨٨٩-١٨٩٠م كـان الكثيـر مـن أفريقيـا قـد تـم الحـديث عنـه بالفعـل، بحيـث لـم يكـن هنـاك سـوى إثيوبيـا المسـتقلة التـي قـدمت الفرصـة لـه ، فلقـد حـاول كريسـبي إخفـاء نواياه مـن خـلال لعـب دور الصـديق الطيـب لإثيوبيـا ، حتـى أنـه نصـح مينيليـك بتوزيـع وثـائق إتفاقيـة ١٨٨٤م مـن خـلال البعثـات الدبلوماسـية الإيطاليـة ، كانـت هـذه الوثيقـة بمثابـة وثيقـة تحـدد حـدود إثيوبيـا وكانـت حماسـة الإمبراطـور ــ فقـد ادعـى ملكيتـه لمعظـم كينيـا وجـزء كبيـر مـن شـمال السـودان ــ متوافقـة مـع الخطـط الإمبراطوريـة التـي كـان كريسـبي ينظـر إليهـا بعـين العطـف ، و سـرعان مـا تآكلـت أسـس هـذا الـزواج المـريح بعـد يوليـو/تمـوز ١٨٩٠م ، عنـدما تلقـى منليـك ردوداً علـى الرسـائل التـي أرسـلها إلـى أوروبـا معلنـاً فيهـا عـن توليـه العـرش ، و لـم تكـن محتويـات هـذه الرسـائل ذات أهميـة باسـتثناء الكشـف عـن إعـلان إيطاليـا فـي منتصـف أكتـوبر/تشـرين الأول ١٨٨٩م عـن فـرض الحمايـة علـى إثيوبيـا علـى أسـاس المـادة ١٧ ، و قـد أعربـت الملكـة فيكتوريـا عـن سـعادتها بتـولي منليـك العـرش ، ولكنهـا نصـحته بإرسـال جميـع الرسـائل اللاحقـة إلـى لنـدن مـن خـلال ملـك إيطاليـا ، و كـان رد القيصـر

الالماني فيلهلم للإمبراطور مهيناً، إذ أشار إليه بألفاظ غير ملكية و أثار ذلك ضجة كبيرة في البلاط ، فتم استدعاء المقيم الإيطالي الكونت أوغستو ساليمبيني حيث عرض عليه النسخة الأمهرية من المعاهدة والترجمة الخاطئة الواضحة للمادة ١٧ في النسخة الإيطالية ، و لقد باءت آمال الكونت في الحصول على وظيفة مريحة في أديس أبابا، والانخراط في عمل مربح لاستعادة ثروات أسرته بالفشل ، بل لقد خلص في واقع الأمر إلى أن السلام بين أديس أبابا وروما أصبح مهدداً منذ اللحظة التي غادرت فيها إيطاليا مصوع إلى المرتفعات ، و منذ ذلك الحين ، تعرض منليك لهجوم من جانب المنتقدين المحليين بتهمة "بيع" البلاد ، كما تعرضت للهجوم من جانب الإمبراطورة تايتو التي كانت شديدة الوطنية ، والتي كادت تتهم زوجها بالخيانة. ولقد اعتبر سليمبيني روحها انعكاساً دقيقاً لعزم إثيوبيا على البقاء حرة ، وتنبأ بالفشل الباهظ الذي قد تتكبده إمبريالية كريسبي ، و لكنه كان عاجزاً عن تصحيح الموقف ، لأنه لم يكن يتمتع بسلطة حقيقية للتفاوض. وفي أواخر أغسطس/آب ١٨٩٠م ، ناشد الإمبراطور مباشرة الملك أومبرتو الأول (حكم من ١٨٧٨م إلى ١٩٠٠م) لتصحيح الخطأ الذي وقع في المعاهدة ،كان ساليمبيني يأمل في حدوث تغيير في القلب في روما ، ولقد كان من الواضح أن أنتونيلي كان يخشى الحرب ، ففي الخامس من أكتوبر/تشرين الأول، أرسل برقية إلى كريسبي يخبره فيها أن مشكلة ويشالي تعوق كل الأعمال الأخرى ، وأن الإمبراطور منليك كان شخصاً أكثر قوة وثقة من مينيلك الملك ، والواقع أن الملك كان منشغلاً بتقويض الحماية الإيطالية المعلنة من خلال كتابة رسائل إلى القوى

العظمى يشرح فيها موقف إثيوبيا ، و كان كريسبي العنصري يعتقد أنه يستطيع أن يخدع خصمه الأسود بإعادة أنتونيلي إلى أديس أبابا بكلمات طيبة ، و في ديسمبر/كانون الأول، تبادل الكونت والإمبراطور عدة محادثات ودية ، لكن منليك أصر على أن إيطاليا سوف تضطر إلى التخلي عن حمايتها المعلنة لبلاده ، و عندما ذكر أنتونيلي في وقت لاحق الإذلال الذي سوف تعانيه روما نتيجة لذلك ، وحاول تحميل جيراز المسؤولية عن المادة ١٧، فغضب الإمبراطور الذي كان يجيد الفرنسية دون الإيطالية ، و أعلنت تيتو الساخطة أن الإذلال كان من نصيب إثيوبيا كلها وأنه لا يطاق بالنسبة لدولة ذات سيادة ، كان أكثر ما وافق عليه الزوجان هو الاعتراف بالمادة ١٧ في صيغتها الأمهرية ، نصح أنتونيلي و ساليمبيني روما بقبول الظروف الأكثر ملاءمة لخطط إيطاليا وانتظارها ، ومع ذلك، ظل كريسبي متمسكًا بتمسكه بالمادة ١٧ والشرف الإيطالي، وفي الثاني عشر من فبراير ١٨٩١م ، غادر الدبلوماسيان أديس أبابا دون حل للقضية .

بدأ منليك في الاستعداد لحرب لم تكن بلاده في حالة تسمح لها بتحملها ، فخلال السنوات القليلة السابقة ، دمرت الأوبئة والمجاعات الكبرى التي أصابت شرق إفريقيا المجتمع والحياة في إثيوبيا ، و بدأت المشكلة مع طاعون البقر الذي قتل معظم الحيوانات ذات القرون وخاصة الثيران التي كانت بالغة الأهمية في الزراعة في المرتفعات ، ربما كان السكان الأصحاء قادرين على تعبئة أنفسهم للقيام ببعض الحرث ، لكن الإثيوبيين أصيبوا بالكوليرا الخبيثة بشكل خاص والتي قتلت العديد

من الناس واستنزفت قوة الناجين ، و لم يكن منليك يقبل مسألة القدر قط ، فحث رعيته على العمل بجدية أكبر وإنتاج المزيد و أمر قواته الشخصية بالعودة إلى الزراعة ، و أرسل الأدوات والمعدات إلى المقاطعات ، و بقدر الإمكان، فتح الزوجان الإمبراطوريان والأرستقراطيون مخازن الحبوب الخاصة بهم لتخفيف المعاناة ، و صلى رجال الدين من أجل التدخل الإلهي ، و مع ذلك ، استمرت الكارثة في مسارها ، و لجأ العديد من الناس إلى الغابات للعيش على اليرقات والجذور والتوت ، وقيل إن آخرين تحولوا إلى أكل لحوم البشر. وتفكك النسيج الاجتماعي : رفض الأقارب مساعدة بعضهم البعض، و ترك الأطفال ليموتوا جوعاً، وطُرِد كبار السن من منازل أطفالهم ، و لجأ الناس إلى الطرق سعياً إلى البقاء على قيد الحياة باتباع الجيوش جنوباً إلى الأراضي المحتلة حديثاً ، و لجأ العديد من الحكام والقادة إلى مداهمة المناطق في الأراضي المنخفضة وفي المناطق شبه القاحلة التي تجاوزها طاعون البقر .

لقد تزايدت غزوات الإمبراطور في أوغادين حيث أخذ الجمال والماعز والأغنام من سكانها الصوماليين الذين يعتمدون في معيشتهم على الرعي و عشائرهم تتنافس تاريخياً على مواردها المحدودة ، فانضم بعض الصوماليين بحكمة إلى رجال رأس ماكونين وساعدوهم في إخضاع الأعداء المشتركين ، بعد الغزو ، حكموا بأوامر من رعاتهم الإثيوبيين الذين كانوا يميلون إلى تحصين الحصون والقرى المحصنة التي تقع في الغالب عند حفر المياه ، و بالتالي ، أسست الحملات المستمرة نمطًا من الحكم غير المباشر من خلال المحسوبية ، والذي استخدم لفترة

طويلة بعد ذلك لإدارة أوغادين[٨٣] ، تم التوصل إلى ترتيبات مماثلة في جنوب إثيوبيا حيث أدت الغارات والغزوات إلى زيادة مدى إمبراطورية منليك. لقد ساعدت التوسعية في الفترة ١٨٩١-١٨٩٣ في إنهاء الأزمة المباشرة ولكنها أكدت أيضًا تحول القوة الاقتصادية في إثيوبيا من الشمال إلى الجنوب. لم تتمكن بيجيمدير وجوجام وتيجراي، التي كانت محل نزاع طويل ودُمرت في كثير من الأحيان، من استعادة قوتها السابقة، إلا بالاشتراك مع شيوا. في وسط إثيوبيا، كانت المقاطعة بمثابة البوابة الجيوسياسية التي تم من خلالها نقل الموارد الاقتصادية للجنوب لدعم اقتصاد الشمال المتدهور وضمان استمرار الهيمنة السياسية والثقافية للأمهرا وتيجراي. كان الأمر الأكثر أهمية هو استخدام مينيليك للذهب والعاج والمسك والقهوة والجلود والعبيد في المنطقة لشراء الأسلحة الحديثة لهزيمة الإمبريالية الإيطالية. في أوبوك، المحطة الساحلية الفرنسية، وجد الإمبراطور مهربي الأسلحة الباحثين عن الربح والإداريين المهتمين بالميزانية حريصين على مساعدته .

في فبراير ١٨٩٣م ، أبلغ الإمبراطور روما بأنه سيندد بمعاهدة ويشال اعتبارًا من ١ مايو ١٨٩٤م ، ثم أبلغ باريس أيضًا بنواياه ، كانت فرنسا العائق الأكبر أمام إيطاليا و بريطانيا في عزل إثيوبيا دبلوماسياً وتجارياً. فقد حاولتا روما و لندن جاهدة إقناع الفرنسيين بشرعية المادة ١٧، ولكن وزارتي الخارجية الإيطالية و البريطانية كررت رفضها الاعتراف بمعاهدة ويشال ، وفي أوبوك ، عمل الحاكم الطموح المؤيد لإثيوبيا

[٨٣] لم يذكر المؤلف عمدا شيئا عن المقاومة الصومالية ضد الإحتلال الإثيوبي لأوغادين عام ١٨٩٧م و لا عن أبرز قادتها الشيخ عبدالله بن محمود و لا عن ثورته الأولى (١٩٠٨-١٩١٨م) (المترجم) .

ليونس لاجارد (١٨٦٠-١٩٣٦م ، ثم دوق إنتوتو)[٨٤] على دعم تجارة الأسلحة إلى إثيوبيا التي كانت تتدفق عبر مستعمرته الصغيرة ، و كان يتجاوز تعليماته دوماً عندما يتعلق الأمر بصديقه الحميم ديج ماكونين من هارير ، و في عام ١٨٩٣م ، ومع تفاقم الأزمة الإيطالية الإثيوبية ، كان تحويله غير العادي للأموال من خزائن المستعمرة والأسلحة من مخازنها موضع ترحيب خاص باعتباره علامة على اقتناع باريس بأن إثيوبيا يجب أن تظل حرة .

في واقع الأمر، لم تبذل الحكومة الفرنسية الكثير من الجهد لتزويد منيلك بالأعداد الكبيرة من البنادق والحراب والخراطيش الجيدة التي احتاج إليها جيشه. ومن عجيب المفارقات أن إيطاليا بذلت المزيد من الجهد لمساعدة عدوها، حيث تبرعت بآلاف البنادق وملايين الرصاصات لإثيوبيا كهدايا حسن نية تهدف إلى تخفيف موقف منيلك ضد المادة ١٧. وبدلاً من ذلك، تم توجيه هذه الهدايا ضد جيش روما، إلى جانب عدة مئات من الأطنان من الأسلحة والذخائر التي تمكن الإمبراطور وديجو ماكونين من الحصول عليها من خلال العديد من تجار الأسلحة المقيمين في هارير. ولو لم تكن لاجارد حاكمة في أوبوك، ولو لم تكن باريس داعمة لإثيوبيا على الأقل من الناحية الأخلاقية، لكان من المستحيل على منيلك الحصول على الأسلحة الحديثة اللازمة لمواجهة الإمبريالية الإيطالية. بطبيعة الحال، كانت لفرنسا مصالح جيوسياسية جادة في إثيوبيا، لأنها كانت تسعى إلى السلطة في وادي النيل ، و لكن

---

[٨٤] لم تكن إثيوبيا خاضعة للإستعمار الأجنبي طوال فترة القرن العشرين ، فعلى أي أساس يطلق على الفرنسي ليونس لاجارد لقب الحاكم العام لإثيوبيا ؟ (المترجم) .

في الخامس من مايو/أيار ١٨٩٤م صدر بروتوكول إنكليزي إيطالي وضع مدينة هرر[٨٥] ضمن دائرة نفوذ إيطالية ، في وسط ما اعتبرته باريس المنطقة الداخلية لمستعمرتها أوبوك ، وقد اشتكى وزير الخارجية إلى وزارة الخارجية من أن البروتوكول يتناقض مع تبادل المذكرات بين فرنسا وإنجلترا في الثاني من فبراير/شباط ١٨٨٨م ، و الذي حرم كلتا القوتين من المدينة ، لكنه تعهد لهما بمعارضة الاستعمار من جانب الدول الأوروبية الأخرى ، و رد البريطانيون بأن معاهدة ويشال جعلت هرر التابعة لإثيوبيا ، جزءً من محمية إيطالية ، وأن البروتوكول الأخير لا يعدو مجرد إعتراف بهذه الحقيقة ، و سرعان ما أدركت باريس أن البريطانيين كانوا يحاولون إغلاق الطريق أمام وصول الفرنسيين إلى وادي النيل من الشرق ، وبالتالي أصبح بقاء استقلال إثيوبيا من الاعتبارات المهمة بالنسبة لوزير الخارجية ، و كما خلص رأس منجيشا الذي كان معزولاً في تيغراي إلى أن إثيوبيا ذات السيادة أفضل من الدولة الاستعمارية ، وقد أصابه الإحباط من تصريحات أسمرا بدعم إثيوبيا حيث ما زالت روما تقوم بتسليح الإمبراطور ، و بعد أن تخلى عن كبريائه قرر منجيشا أن يصالح منليك ، فوصل إلى أديس أبابا في الثاني من يونيو/حزيران ١٨٩٤م و يقر بالولاء و الطاعة له ، و في قاعة الاستقبال التي شُيِّدت حديثاً في القصر الكبير، كان الإمبراطور ينتظره جالساً على عرشه، وعلى رأسه تاج كبير ، و اقترب منجيشا وثلاثة من كبار مساعديه ، ومنهم رأس علولة، و كل واحد منهم يحمل على كتفه صخرة خضوع ، ثم سجدوا ، وطلبوا المغفرة ، و بعد ذلك أعلن منليك ببساطة العفو عنهم ، و بالتالي

[٨٥] هرر كانت جزء من إثيوبيا المستقلة و ليست مستعمرة إيطالية أو بريطانية كما زعم المؤلف بموجب بروتوكول لا أساس له من الصحة (المترجم) .

أعاد تيغراي إلى الإمبراطورية ، كما حاولت المرتفعات الإريترية العودة إلى الوطن الأم لأن الزعماء التقليديين كانوا منعزلين بسبب سياسة الاستيطان الإيطالية التي استولت على الأراضي الزراعية الرئيسية لصالح المستوطنين الأوروبيين ، كانت الكنيسة مستاءة بشكل خاص ، لأنها كانت تمتلك بعضًا من أفضل الأراضي ، والتي كانت تمنحها عادةً كحق انتفاع للكهنة أو تؤجرها للمزارعين .

ولقد شنت الطبقة الأرستقراطية المحلية ، باعتبارها الخاسر الأكبر الثاني، حملة شرسة ضد المتطفلين الأوروبيين ، وزعمت أنها تعمل لصالح رأس منجيشا ، وقادت أتباعهم إلى التمرد في منتصف ديسمبر/كانون الأول ١٨٩٤م ، و سرعان ما قمع الإيطاليون التمرد ، ولكنهم أساءوا فهم طبيعته المحلية ، فحذروا رأس منجيشا من سحب قواته من المناطق القريبة من الحدود ، و على رفضه ، أرسلت القيادة الإيطالية جيشاً عبر مأرب لتدمير التهديد العسكري المزعوم ، و عندما سارع منجيشا إلى الرد، انسحب الإيطاليون و أغروه بالذهاب إلى إريتريا حيث هُزم جيشه بعد سلسلة من المعارك بالقرب من سنافي في الخامس عشر من يناير/كانون الثاني ١٨٩٥م ، و قد تم إنجاز هذا الإنجاز على يد ستة وستين ضابطاً أوروبياً بجيش قوامه تسعة وثلاثون ألف رجل (كان ٩٦% منهم من الإريتريين) ، و الأفضل من ذلك كله ، أن هذا الإنجاز لم يكلف سوى تسعة عشر ألف جنيه إسترليني فقط (٥٧ ألف دولار) .

لقد أضل هذا الانتصار الصغير الإيطاليين وجعلهم يعتقدون أنهم قادرون بنفس السهولة على هزيمة الجيش الإمبراطوري وترسانته المتنامية بسرعة

من الأسلحة الحديثة ، لكنهم فشلوا في إدراك حقيقة مفادها أنهم لم يواجهوا الجيش الإمبراطوري بل جنود حاكم إقليمي فقط ، كان موقف إثيوبيا آنذاك مرضياً بشكل عام ، فقد كان الإمبراطور قد غزا للتو منطقة و الامو المزدهرة و استولى على غنائم وفيرة ، و كانت المحاصيل خلال السنوات الثلاث السابقة جيدة ، و لم يكن هناك منشقون مزعجون ، وكانت الضريبة الزراعية الجديدة البالغة ١٠% (أسرات) تدر عائدات متزايدة ، و كانت الخزانة في أديس أبابا تفيض ، وكانت مخازن الحبوب الإقليمية مليئة ، و كانت مخازن الأسلحة الإمبراطورية تمتلئ ، و لكن الأخبار الواردة من تيغراي كانت مزعجة للغاية ، لكن الإمبراطور أدرك أن منجيشا الذي رقيه إلى رأس بيتوودد كان يخدم غرضاً مفيداً هناك باعتباره مخلب قط حيث أرسل له أسلحة وذخائر لتعزيز معنوياته ، لكنه نصح القادة القريبين أيضًا بتحضير أنفسهم في حالة محاولة الإيطاليين استغلال انتصارهم المحلي بالتحرك جنوبًا ، أعلن منليك التعبئة الوطنية في ١٧ سبتمبر ١٨٩٥م محذرًا شعبه من أن الإيطاليين يريدون الاستيلاء على مزارعهم وكنائسهم ، بالإضافة إلى توجيه جنوده للاستعداد للحرب ، طلب من غير المقاتلين مساعدتهم وصلواتهم ، أمر كريسبي بنفس القدر من التصميم حاكمه في إريتريا، الجنرال أوريستي باراتيري (١٨٤١-١٩٠١م ، القائد العسكري، ١٨٩١-١٨٩٦م ، والحاكم المدني، ١٨٩٣-١٨٩٦م) بالاستعداد للهجوم ، خطط الجنرال لاحتلال المرتفعات في تيغراي لمواجهة قوات رأس منجيشا المعاد تسليحها، والتي كانت في أوائل عام ١٨٩٥م تشن غارات على إريتريا ، فكلما طاردهم الإيطاليون اتخذوا ملاذًا عبر حدود مأرب .

ولقـد نجـح بـاراتيري فـي إقنـاع الجنـرال بـأن أفضـل المواقـع الدفاعيـة لإريتريـا توجـد فـي الجبـال فـي تيغـراي ، و لكـن بدخولـه إثيوبيـا ، تخلـى الجنـرال عـن المكانـة الأخلاقيـة العاليـة لصـالح منليـك الـذي حفـز روح الوطنيـة لـدى شـعبه باتهـام إيطاليـا بانتهـاك الأراضـي المقدسـة لإثيوبيـا ، و عنـدما أعلـن الإمبراطـور التعبئـة فـي سـبتمبر/أيلـول ، كـان يعلـم أنـه سـيتجه شـمالاً لطـرد العـدو مـن مواقعـه داخـل إثيوبيـا ، و كـان لـدى بـاراتيري جـيش صـغير نسـبياً يتـألف مـن ٣٥ ألـف رجـل، أغلـبهم مـن الإرتيـريين ، و كـان هـو و سـادته فـي رومـا يعتقـدون أن هـذه القـوة قـادرة علـى احتـواء جـيش منليـك الضـخم. ولكـن الإيطـاليين الـذين أعمـتهم العنصـرية والغطرسـة الثقافيـة لـم يكـن لـديهم أي احتـرام يـذكر للأسـلحة الحديثـة التـي يمتلكهـا عـدوهم ، كمـا سـخروا مـن فكـرة القوميـة الإثيوبيـة ، ولـم يصـدقوا أن جمـاهير الإمبراطوريـة السـليمانية يمكـن أن تتحـد وتحشـد لأي مواجهـة مـع الإمبرياليـة الأوروبيـة ، و بمنطـق داخلـي قـوي ولكـن بجهـل تـام بالحقـائق ، اعتبـر كريسـبي و بـاراتيري منليـك زعيمـاً همجيـاً لشـعوب أفريقيـة بدائيـة ، و فـي خطـأ حسـاباتهما الهائـل ، اسـتنتجا أن حتـى قـوة صـغيرة مـن الجنـود المـدربين تـدريباً جيـداً والمتحمسـين سـوف تـدمر أتبـاع منليـك ، و أثبتـت شـعوب الإمبراطوريـة خطأهمـا بالالتفـاف حـول قادتهـا والزحـف لمسـاعدة ملكهـا ولـم يكـن الإيطـاليون يـدركون أن منليـك كـان يجمـع قـوة تزيـد علـى مائـة ألـف جنـدي ويحـرس مواقـع متقدمـة بعـدد قليـل نسـبياً مـن الرجـال ، و فـي إحـدى الحـالات ، فـي أمبـالاج فـي تيغـراي ، علـى بعـد سـتة وثلاثـين مـيلاً مـن أقصـى موقـع دفـاعي جنـوبي لبـاراتيري ، تـم عـزل ٢١٥٠ جنـدياً إيطاليـاً فـي منطقـة كـان يتمركـز فيهـا مـا يصـل إلـى خمسـين ألـف جنـدي إمبراطـوري ، و فـي

السابع من نوفمبر/تشرين الثاني، هاجم الإثيوبيون خطوط العدو واجتاحوها ، فقتلوا ١٣٠٠ جندي استعماري وعشرين ضابطاً إيطالياً. كان هذا النجاح فألاً لم يستطع حتى باراتيري المتفائل أن يخطئ في تفسيره. كانت إثيوبيا تتحرك من قوة إلى قوة ، و كان كل الشخصيات الإقليمية المهمة تقريبًا تدعم الإمبراطور، وكانت الأسلحة والذخائر تستمر في الوصول إليه من جيبوتي ، وفي أواخر ديسمبر ١٨٩٥م ، كانت جيوش إثيوبيا المشتركة في الشمال باحثة عن تدمير الإيطاليين أما في روما آنذاك اعتقد كريسبي أن باراتيري سوف يفرض قريبًا الشروط التالية على العدو المهزوم: التنازل عن تيغراي لإريتريا ؛ وتحول هرر إلى محمية إيطالية؛ وتتولى روما التعامل مع العلاقات الخارجية لإثيوبيا؛ ويتولى مقيم إيطالي توجيه حكومة أديس أبابا ، كان المسؤولون في روما، وخاصة رئيس الوزراء، يعيشون في وهم ذاتي عنصري .

في غضون ذلك ، كان منليك الأكثر واقعية يسعى إلى إغراء باراتيري للدخول في قتال مفتوح ضد قوته المتفوقة عددياً ، فزحف إلى شمال غرب تيغراي وعسكر في عدوة تحت أعين قوات باراتيري تقريباً ، و تمكن الجنرال و جيشه المكون من ٨٤٦٣ إيطالياً و١٠٧٤٩ إريترياً من الاحتفاظ بالأرض المرتفعة بين أديغرات وإيداجا هاموس ، و كان باراتيري مستعداً للانتظار أكثر من عدوه الذي كانت إمداداته المحدودة لتجبره على الانسحاب جنوباً، مما يسمح لباراتيري بالإعلان عن النصر والتقدم أيضاً إلى أعماق تيغراي ، و كان من الممكن تكرار نفس الاستراتيجية سنوياً إلى أن تستسلم الإمبراطورية الإثيوبية إما للإرهاق أو للانقسام

الداخلي ، و كان منطق باراتيري سليماً : فبحلول أواخر يناير/كانون الثاني، كان الجيش الإمبراطوري يعاني من نقص حاد في الإمدادات وكان مضطراً إلى البحث عن الطعام على مدى أوسع و أوسع من عدوة ، وكان الموقف الإيطالي أفضل، على الرغم من أن العصابات المسلحة كانت تهاجم خطوط إمداد باراتيري إلى إريتريا ، وكان رجاله يتقاضون نصف حصصهم حيث كان ينبغي للجنرال أن يبقى حيث هو يراقب عدوه و هو يضعف ويتراجع في النهاية ، و لكن بدلاً من ذلك ، أجبرته هجمات كريسبي المهينة على التراجع ، فقد حثته البرقيات المتوالية على الهجوم من أجل العظمة الإيطالية و شرف الجيش و هيبة الملكية و شككت ضمناً في استراتيجية باراتيري و بالتالي في شجاعته ، و شعر قادة لواء الجنرال أن حياتهم المهنية ستكون أفضل في ساحة المعركة ، فتآكلت عزيمة باراتيري على البقاء في مكانه عندما سمع شائعات بأنه سيتم استبداله بقائد أكثر عدوانية، وتبخرت تمامًا عندما تم تضليله ربما من قبل عميل مزدوج ، بأن جزءً كبيرًا من الجيش الإثيوبي إما مريض للغاية بحيث لا يستطيع القتال أو أنه بعيدًا عن المعسكر بحثًا عن الطعام والعلف ، فجأة تخلى باراتيري عن حذره و أمر بالاستعدادات للمعركة ، مما عرض فرصة روما في إقامة إمبراطورية في إثيوبيا للخطر.

في الساعة ٩:٠٠ مساءً، أرسل باراتيري رسالة إلى رئيس الوزراء الإثيوبي، الذي كان يتحدث عن استعداده للمعركة ، في الثامن والعشرين من فبراير/شباط، بدأ الإيطاليون مسيرة قسرية إلى التلال الثلاثة التي تهيمن على المعسكر الإثيوبي لمفاجأة جيش منليك وتحديه و لتأمين يساره ،

أرسل باراتيري لواءه الاحتياطي إلى تل رابع غير معروف قريبا منهم ، لكن الدليل الإثيوبي إما عن طريق التضليل أو التخريب ضلل الإيطاليين حيث لم يتم الكشف عن الجناح الأيسر فحسب بل أصبح ربع القوة الإيطالية أيضًا عديم الفائدة وعرضة للخطر ، لذا، حتى لو احتل جيش باراتيري النقاط المرتفعة ونشر في مواقع دفاعية قوية على المنحدرات الأمامية ، فقد كان محكومًا عليه بالهزيمة ، و الواقع أن توقيت الهجوم الإيطالي باعتباره مفاجأة في وقت مبكر من صباح يوم الأحد كان خاطئًا تمامًا ، ففي الساعة الرابعة صباحًا، في الأول من مارس/آذار، كان منليك و تايتو والرأسس في القداس الذي تحتفل به الكنيسة الأرثوذكسية مبكرًا .

كان ذلك وقتاً حزيناً، لأن الوضع الغذائي أجبر الإمبراطور على إصدار أمر بقصف المعسكر في الثاني من مارس/آذار ، و لابد أن ارتياحه كان عظيماً عندما اندفع عدد من الرسل والمراسلين للإبلاغ عن اقتراب العدو بقوة ، و أمر الإمبراطور الرجال بحمل السلاح ، و بينما اصطف الجنود ، مر الكهنة أمامهم ليسمعوا الاعترافات ، ويمنحوا الغفران ، و يقدموا البركات ، و عندما ظهر الإمبراطور، رفعت الأعلام الخضراء والبرتقالية والحمراء لإثيوبيا ، و هتف الجنود وهتفوا ، و في الساعة ٥:٣٠ صباحاً، تقدم جيش منليك الذي يبلغ تعداده ١٠٠ ألف رجل لمواجهة قوة إيطالية قوامها ١٤٥٠٠ جندي ، و بحلول الساعة ٩:٠٠ صباحاً ، كانت النتيجة واضحة ، فقد انهار المركز الإيطالي و كانت الوحدات الأخرى في خطر من أن يحاصرها الإثيوبيون الذين وجدوا الثغرة في دفاعات باراتيري ، و بحلول الظهر، عندما بدأ التراجع ، كان الإيطاليون

قد دفعوا ثمناً باهظاً ، لقد قتل أربعة آلاف أوروبي و ألفي إريتري ، وجُرح ألف وأربعمائة وثمانية وعشرون جندياً من جنود باراتيري ، و أسر الإثيوبيون ألفاً وثمانمائة سجين ، و في المجمل، خسر الإيطاليون سبعين في المائة من قواتهم ، و هي كارثة لا تصدق بالنسبة لجيش حديث [٨٦]، وعلى النقيض من ذلك، تكبد جيش منليك ما يقدر بنحو أربعة آلاف إلى سبعة آلاف قتيل وربما عشرة آلاف جريح، وهو ما يعني أن نسبة الخسائر كانت منخفضة إلى حد مقبول ، لقد دُمر العدو الإيطالي، في حين ظل الجيش الإثيوبي قائماً، معززاً بالأسلحة والمواد التي تركها في الميدان ، لقد كان النصر إثيوبياً بلا أدنى شك ، لقد قرر منليك الحكيم ألا يتحدى القدر و انسحب جنوباً إلى إثيوبيا، تاركاً إريتريا لروما ، كانت القيادة الإريترية تتوقع خلاف ذلك خوفاً من أن يضطر جيشها المتبقي إلى مواجهة الهجوم الكامل لقوات منليك المنتصرة .

لقد أساء الإيطاليون فهم حقيقة أن الجيش الإثيوبي كان مريضاً وجائعاً، وهي الظروف التي لا يمكن تصحيحها في الطريق إلى إريتريا، في بلد فقير دمره بالفعل رجال باراتيري ، و أخيراً، استنتج منليك أن الإيطاليين ربما لا يعترفون بهزيمتهم ويجددون القتال في العام التالي ، لذلك كان عليه أن يريح رجاله ويجمع الأموال والإمدادات والتعزيزات للحملة التالية ، و كما اتضح، فإن روما المحبطة والمؤدبة كانت تفتقر إلى الإرادة السياسية لمواصلة الحرب، على الرغم من أن هزيمتها في إثيوبيا كانت بمثابة إحراج شديد استغله الفاشيون فيما بعد ، و لكن في الوقت

[٨٦] لقد ضخم المؤلف بشكل مفتعل من هزيمة الإيطاليين أمام الإثيوبيين في معركة عدوة عام ١٨٩٦م واصفا إياها بشكل مبالغ فيه بأنها هزيمة للإستعمار الاوروبي أمام المقاومة الهمجية الإفريقية رغم أنها مجرد معركة واحدة فقط (المترجم) .

الحالي، عرض الإيطاليون السلام، ووافقوا على إلغاء معاهدة ويشال والاعتراف باستقلال إثيوبيا السيادي ، و قد تم تضمين كلا الشرطين في معاهدة السلام التي تم توقيعها في أديس أبابا في ٢٦ أكتوبر/تشرين الأول ١٨٩٦م ، و التي قبلت أيضاً حدود مأرب الإريترية .

لقد كان لاتفاق أسمرا في فندق كيرين الكائن في العاصمة الإرتيرية أثر كبير في ضمان استقلال إثيوبيا لجيل ونصف آخر من دون أي منازع تقريباً؛ فقد منح البلاد مكانة مماثلة لمكانة أفغانستان وبلاد فارس واليابان وتايلاند باعتبارها شذوذاً مقبولاً في النظام العالمي الإمبريالي ، و قد فسر الغرب انتصار إثيوبيا من خلال المغالطة ، و بما أن العنصرية لم تسمح للغربيين بالاعتراف بأن الرجال السود قادرون على هزيمة البيض ، فقد اكتشف الأوروبيون فجأة أن الإثيوبيين قوقازيون أظلموا بسبب تعرضهم لأشعة الشمس الاستوائية[٨٧] ، وفي حين كان الإثيوبيون في السابق يشتركون مع إخوانهم الأفارقة في الكسل والجهل والانحطاط، فقد أصبحوا فجأة نشيطين ومستنيرين وتقدميين ، و الكنيسة الأرثوذكسية التي كثيراً ما كان رجال الدين البيض الزائرون يسبونها باعتبارها منحطة وفاسدة أصبحت الآن تُرى باعتبارها وسيلة مناسبة للروح القدس والحارس الحقيقي للروح الوطنية الإثيوبية ، على الجانب الآخر من الحدود الإريترية ، وفي مواجهة إثيوبيا، أصبح منليك، الذي كان يُنظَر إليه في السابق باعتباره أميرًا بربريًا، تجسيدًا للفضائل الملكية، مليئًا بالحكمة

[٨٧] هذه معلومات خاطئة حتى النخاع يستغرب من المؤلف تبنيه الشديد لها ، و الصواب بأن الإثيوبيين أصبحوا من ذوي البشرة السوداء بعد تزاوج أجدادهم القادمين من اليمن مع سكان البلاد الأصليين المعروفين بالكوشيين و الزنوج و تبني عاداتهم و تقاليدهم الإجتماعية المتوارثة منذ القرن الثالث قبل الميلاد (المترجم) .

والفطنة ، و تحول نبلاؤه الذين كانوا يُصوَّرون قبل الحرب على أنهم منحطون وجشعون إلى نظام من الفروسية هدفهم الوحيد هو خدمة ملكهم ورعيته بلا أنانية ، و فجأة، تحول الجيش الإثيوبي، الذي كان يتألف حتى ذلك الحين من حشد جبان إلى قوة رائعة من الرماة الأبطال ، و اجتذبت الدولة الإثيوبية التي عادت إلى الحياة فجأة طوفانًا من الصحفيين والمغامرين ، كان منليك مسرورًا بهذا الإهتمام ، حيث كان اهتمامه الأول هو الحصول على الاعتراف بوضع البلاد المستقل و خاصة من بريطانيا ، حفزت الهزيمة الإيطالية في إثيوبيا لندن على التحرك بسرعة أكبر ضد السودانيين حيث كان البريطانيون يعتقدون أن روما ستحقق إمبراطوريتها الإثيوبية و بالتالي إزالة البلاد من ساحة الإمبريالية و بشكل أكثر تحديدًا، أرادت لندن ضمان عدم استخدام الفرنسيين لإثيوبيا كمدخل إلى السودان .

ظلت باريس غير مرتاحة لاحتلال بريطانيا لقناة السويس، وهيمنتها على مصر ، ولقد كان يعتقدون أن الموقف البريطاني القوي قد يتآكل إذا تمكنت باريس من الحصول على السيطرة على النيل في السودان ، و كانوا يحلمون بإقامة معقل فرنسي منيع على النيل الأبيض بالقرب من فاشودا، والذي قد يهددون منه أيضاً شرق أفريقيا البريطانية ، و ربما كان الاستراتيجيون الفرنسيون لاعبين جيدين في الشطرنج و لكنهم كانوا جغرافيين فقراء.

كان من الصعب الوصول إلى الموقع الذي اختاروه من أي اتجاه ، وبمجرد الوصول إلى هناك، لم توفر التضاريس الرملية أي مواد لبناء سد

يهدد تدفق النيل هناك ، و الواقع أن الهندسة المطلوبة كانت ربما تتجاوز المهارات التي يقدمها المهندسون العسكريون عادة ، و ربما تتجاوز حتى أكثر الفنيين والعلميين تقدماً في ذلك الوقت ، فقد كانت منطقة فاشودا أيضاً غير قابلة للدفاع عنها حيث لا توجد تلال أو مواقع أخرى واضحة لتحصينها ولا مكان للاختباء أو التراجع إليه و بعبارة أخرى ، كان محكوماً على الجهود الفرنسية بالفشل منذ البداية ، وهي حقيقة لم يدركها البريطانيون و لا الإثيوبيون[٨٨] .

كان منليك في موقف حساس ، فقد عرض الفرنسيون الدعم المعنوي والعسكري خلال الحرب الأخيرة ، و كانوا يسعون إلى الحصول على مقابل في شكل مساعدة لمهمتهم في السودان ، كان من الممكن تصور نجاح باريس في مغامرتها. وكانت معضلة الإمبراطور بسيطة : كيف يقدم المساعدة لفرنسا دون إثارة استياء بريطانيا أو في هذا الصدد المهديين الذين قد يظلون في السلطة ؟ كانت المصلحة الوطنية لإثيوبيا تنبع من الحاجة إلى حماية وتوسيع حدودها ، ونظراً للتعقيد الدبلوماسي والمخاطر المترتبة على ذلك، فإن أفضل تكتيك للإمبراطور هو التظاهر والتعاون مع الجميع ولكن عدم الوقوف إلى جانب أي منهم ، كانت الأزمة الإيطالية قد دفعت إثيوبيا بالفعل إلى إقامة علاقات سلمية مع السودانيين على أساس مصلحتهم المشتركة في احتواء الإمبريالية الأوروبية الحديثة ، بعد عدوة ، تبادل الإمبراطور والخليفة عبد الله (قتل عام ١٨٩٨م)

---

[٨٨] هذا غير صحيح ، فلقد كان البريطانيون يعلمون منذ البداية بأن جهود الفرنسيين لإحتلال فاشودا محكوم عليها بالفشل ، و على هذا الأساس نجحوا في إجبارهم من الإنسحاب منها عام ١٨٩٨م ، لكن صراعهم المرير مع الدولة المهدية في السودان هو من أخر جهودهم للإستيلاء عليها (المترجم) .

المعلومات ، و أعلنا عن حسن نواياهم لبعضهما البعض وسهلا التجارة الإقليمية فيما بينهما رغم أن منليك رفض نأ بنفسه بعناية عن الالتزامات الرسمية تجاه جيرانه المسلمين و تفاوض بسخرية مع الفرنسيين حول مستقبل السودان .

كانت باريس تضغط من أجل تحالف مع إثيوبيا ، وفي نوفمبر/تشرين الثاني من عام ١٨٩٦م أرسل لاجارد ، حاكم أوبوك ـ جيبوتي، إلى أديس أبابا للفوز بموافقة منليك على بعض المشاريع المشتركة بينهما ، فلقد أدت المفاوضات في البداية إلى اتفاقية التاسع والعشرين من يناير/كانون الثاني ١٨٩٧م التي أقرت السماح بمرور الأسلحة دون رسوم جمركية عبر جيبوتي التي اعترف بها منليك باعتبارها المنفذ الرسمي لبلاده و بالتالي قلصت من مطالبات فرنسا الورقية بالمناطق الداخلية من مستعمرتها و التي احتلها الآن رجال رأس ماكونين فعلياً ، وفي المقابل، وقع الإمبراطور في الثلاثين من يناير/كانون الثاني اتفاقية سرية تعهد فيها بدعم تطلعات فرنسا في منطقة أعالي النيل ووعد باحتواء البريطانيين بالاستعانة بجنود إثيوبيين مسلحين بأسلحة فرنسية ، و لم يكن منليك ينوي قط الوفاء بالتزاماته ، و هو ما كان ليضر بالوفاق الذي كان بينه وبين السودان و يحول بريطانيا إلى عدو ، و كان التهرب الخفي دليله إلى مستقبل آمن : فكان يتعاون على مستوى واحد ، في حين يضمن في الخفاء فشل جهود باريس ، فكلما اشتكى الفرنسيون من المرشدين الجهلاء، والجنود الذين لم يظهروا والمسؤولين غير المتعاونين والإمدادات غير المسلمة كان الإمبراطور يهز كتفيه و يعتذر بشدة عن

"البلهاء" الذين عصوا أوامره ، ثم يأمر بإصدار خطابات تفويض جديدة ، لكنها لم تصل إلى وجهتها أو تأخرت عن التأثير على الأحداث ، و رغم أن منليك أثبت عدم جدواه في المساعدة على تحقيق هدف باريس في أعالي النيل، فقد أظهر ما يكفي من حسن النية بحيث كان بوسعه الاستفادة من أي نجاح فرنسي .

ولكن ابتسامات الإمبراطور تجاه لاجارد وغيرها كانت كافية لإثارة القلق في لندن ، فلقد كانت وزارة الخارجية البريطانية على علم بالاتصالات بين أديس أبابا و أم درمان ، و كانت تخشى أن توجه إثيوبيا فائضها من الأسلحة القديمة إلى السودان ، وكانت تدرك الحاجة إلى التفاوض على الحدود الاستعمارية مع منليك ، وكانت تريد علاقات طيبة على الفور ، وسرعان ما أدرك الإمبراطور أن سياسة لندن كانت دفاعية و تفاعلية ، فرحب ببعثة بريطانية بقيادة رينيل رود إلى أديس أبابا في إبريل/نيسان ١٨٩٧م ، و تعاون منليك بالموافقة سراً بالطبع على عدم شحن الأسلحة إلى السودان ، وفي المقابل حصل على عبور معفى من الرسوم الجمركية لجميع السلع الحكومية الإثيوبية التي تمر عبر زيلع ، و في وقت لاحق، و بفضل المساومة الحثيثة التي أجراها رأس ماكونين على أساس الاحتلال الفعلي ، استولى الإمبراطور على كل أراضي أوغادين تقريباً، وكان سكانها الصوماليون الآن مضطرين إلى عبور حدود دولية ــ كانت موضع تجاهل إلى حد كبير حتى بعد الحرب العالمية الثانية ــ للوصول إلى مراعيهم في ديسمبر/كانون الأول ومارس/آذار ، لقد شكلت التسوية الأنجلو إثيوبية في الرابع عشر من مايو/أيار من عام

١٨٩٧م نهاية التهديد الأوروبي لإمبراطورية منليك حيث اعترفت القوى الكبرى الآن بسيادة إثيوبيا واستقلالها حتى و لو ظلت العنصرية و مشاعر التفوق الثقافي تصبغ العلاقات الدبلوماسية بينهم ، و كان الانتصار في معركة عدوة إنجازاً عظيماً لإثيوبيا حيث تمكن إمبراطورها بنجاح من حشد الرجال والموارد في مختلف أنحاء أراضيه الشاسعة للتغلب على عدو قوي ، و كشفت الدبلوماسية اللاحقة عن أن منليك رجل دولة ماهر و ماكر في آن معا ، فلقد عززت سياسته الخارجية المصممة بعناية و غير الملزمة نجاحه في ساحة المعركة و حافظت على موقف إثيوبيا على جميع الجوانب ، فضلا عن حصوله على تنازلات إقليمية واقتصادية من جيرانه الأقوياء ، و قد ساهم تحسين مكانة إثيوبيا الدولية و الاعتراف بها كدولة مستقلة لمنليك بالبدء في فترة بناء الأمة .

في الفترة من ١٨٩٦م إلى ١٩٠٧م ، أدار منليك عودة إثيوبيا إلى المناطق الجنوبية والغربية المهجورة منذ القرن السابع عشر وإلى مناطق لم تخضع لحكمه من قبل حيث عاشت فيها العديد من الشعوب التي تم دمجها حديثًا في مجتمعات غير هرمية و مارسوا تربية الحيوانات أو الزراعة بدون محراث و تبعوا الديانات التقليدية أو الإسلام و تحدثوا لغات غير سامية[٨٩] ، لقد منحتهم الأسلحة المتفوقة التي كان يمتلكها الشماليون وتنظيمهم الاجتماعي الهرمي مزايا كبيرة ، لكنهم استلهموا منهم أيضًا فكرة استعادة إثيوبيا الموحدة حيث كان منليك يعتقد بالتأكيد أن حملته كانت صليبية مقدسة ، و افترض جنوده – و لهم ما

[٨٩] بإعتبار المؤلف من أنصار المدرسة التوراتية في تاريخ إثيوبيا فإنه يقسم الإثيوبيين إلى شعوب سامية و حامية (المترجم) .

يبرر ذلك إلى حد كبير- أنهم سيساعدون ملكهم في استعادة إثيوبيا إلى عظمتها وحجمها التاريخيين ، وقد فعلوا ذلك بطريقة ملؤها الحقد و الإنتقام ، ففي مارس ١٨٩٧م ، غزا رأس و ولد جيورجيس (١٨٥١-١٩١٨م) أحد أبناء عمومة منليك و الجنرال الرائد، كيفا ، و على الرغم من أنه نشر عشرين ألف بندقية حديثة ضد ثلاثمائة بندقية إلا أن أهل كيفا دافعوا عن بلادهم بشراسة ، مما تسبب في العديد من الخسائر في الشمال قبل أن يستسلموا في سبتمبر ، بعد ذلك، أمر الرأس جيوشه بالتوجه جنوبًا إلى جامو جوفا قرب بحيرة توركانا (بحيرة رودولف سابقًا)، حيث علم أن حملة عسكرية بريطانية خيمت هناك قبل أن يقوم بطردها من هناك بالقوة حيث لم تقدم المنطقة ذات الكثافة السكانية المنخفضة مقاومة تذكر، ورفع جيش الراس العلم ثلاثي الألوان الإثيوبي عند البحيرة قبل العودة إلى كيفا ، كان التهديد الأوروبي للمحيط الإثيوبي يقلق منليك بما يكفي لإصدار أمر لرأس ماكونين بالتوجه غربًا إلى بلاد بني (أو بيلا) شنغول. أعطى اقتراب الحكم البريطاني في السودان إلحاحًا للاستحواذ على منطقة إنتاج الذهب حيث كان كافياً للسماح لبعض الفرنسيين المحبطين للغاية بمرافقة ديج .

كان تيسيما نادو (الذي أصبح فيما بعد وصيًا على العرش؛ وتوفي عام ١٩١١م) يتقدم عبر إيلوبور نحو النيل الأبيض ، ويعزز الحكم الإمبراطوري أثناء تنقله ، و من المفهوم أن رجال تيسيما لم يصلوا إلى فاشودا قط على الرغم من غرسهم العلم الإثيوبي على الضفة اليمنى للنيل الأبيض و هو كل ما كان يهم الإمبراطور حقًا ، و في الوقت نفسه ، أمر

منليك القوات بالتحرك إلى ما سيصبح لاحقًا أطراف الإمبراطورية المتطرفة وخاصة بورينا مباشرة في طريق التوسع البريطاني شمالًا من كينيا.

كانت سياسة إثيوبيا تتلخص في التسلل ببطء ولكن بإصرار إلى مثل هذه المناطق النائية بالقوات غير النظامية، ومن ثم بناء احتلال فعال بالقوات النظامية حيث كانت القوى المجاورة تفاجأ بانتظام بمدى الإدارة الإثيوبية في المناطق التي اعتبرتها تابعة لها إما من خلال المعاهدات التي لم توقع عليها أديس أبابا أو من خلال الحقوق المؤكدة على المناطق الداخلية الاستعمارية.

بين عامي ١٨٩٦م و ١٩٠٦م ، توسعت إثيوبيا إلى حجمها الحالي، بما في ذلك المرتفعات وأنظمة الأنهار الرئيسية ومنطقة عازلة حدودية في المناطق المنخفضة أو القاحلة أو الاستوائية لحماية النواة المركزية للدولة. خلال هذا العقد ، تم إضفاء الشرعية على المحيط الإثيوبي من خلال سلسلة من اتفاقيات الحدود التي تفاوض عليها منليك مع القوى الاستعمارية المجاورة ، تم توحيدها على الأرض من القرى المحصنة أو الكتيما التي تقع عمومًا فوق أعلى النقاط و تهيمن على المناطق أدناه. كانوا على اتصال مع بعضهم البعض من خلال العدائين، بحيث يمكن خلال الأزمات تركيز الرجال والأسلحة بسرعة ، نظرًا لأن الكتيما كانت مأهولة إلى حد كبير بالإداريين والجنود الشماليين وعائلاتهم، فقد كانت أيضا نقاط انتشار للثقافة المسيحية و باعتبارها مراكز للسوق حيث

ساعدت في تحفيز الاقتصادات الإقليمية وبالتالي تشكيل اقتصاد وطني جديد .

ساعد المستوطنون العسكريون الشماليون، أو النفتنيا أيضًا في نشر النظام الجديد حيث تم تعيين مزارعين، أو غابار الذين تم وضعهم في جميع أنحاء الريف لتشبيط الفوضى ومساعدة الإدارة المحلية، والذين قدموا لهم الطعام والخدمات. تم إدارة الغابار من قبل البلابات (رؤساء القبائل) ومساعديهم (الكورو) المسؤولين الذين غالبًا ما يتم اختيارهم من بين النخب التقليدية والعائلات الحاكمة حيث يتوسط المسؤولان المحليان بين الرعايا وسادتهم، و باعتبارهما مالكي أراضي يتمتعان بحقوق على غابار ، فقد كانا حليفين طبقيين لنفتنيا ، و لقد كان هؤلاء وأسرهم يتزوجون من المستوطنين في كثير من الأحيان ، و نظراً للقوة الجذابة التي يوفرها التثاقف ، فقد أصبحوا لا يختلفون كثيراً عن زملائهم الشماليين ، كما استفاد بعض الزعماء السياسيين التقليديين من بنية الدولة الإمبراطورية ، فقد قرر موروودا من نيكيمتي (حكم من ١٨٦٨م إلى ١٨٨٩م) الذي كان مسؤولاً في منطقة غادا ذات يوم أن ممتلكاته في ويليجا تستحق إقامة روابط سياسية مع الشماليين الأقوياء ، و وافق ابنه كومسا موروودا (حكم من ١٨٨٩م إلى ١٩٣٢م) على ذلك حتى أنه اعتنق المسيحية من أجل إشباع طموحات أبيه الكبرى ، و بصفته ديج جبري إيغزيابيهر (حرفياً، "خادم الله") فقد لعب دوراً مهماً في السياسة الوطنية و أدار دولة مستقلة و احتفظ ببعض مظاهر النظام السياسي لدى الأورومو ، و كان جبري إيغزيابيهر يقدم سنوياً جزية كبيرة من الذهب

والعاج إلى أديس أبابا ، و كان عليه أيضاً أن يدفع مدفوعات استثنائية في أوقات الأزمات أو لتغطية نفقات غير عادية ،كان جبري إيغزيابيهر يكتب إلى أديس أبابا دائماً ليشكو الضرائب الإمبراطورية الباهظة التي يتحملها شعبه ، و كان سريعاً أيضاً في مواجهة أي جهد حكومي لتولي مسؤولياته الإدارية و قادراً على الاحتفاظ باستقلال بلاده حتى وفاته في عام ١٩٣٢م ، فخلف لشعبه اقتصاداً أفضل ، ومرافق تعليمية أكثر، وبنية أساسية للاتصالات أفضل من تلك المتاحة في أغلب مقاطعات إثيوبيا ،كما نجح منليك في جعل إثيوبيا مكاناً أفضل للعيش حيث كان شديد الذكاء وسريع البديهة و فضولياً بشأن كل شيء و خاصة فيما يتعلق بالآلات والتكنولوجيا ، ورغم أنه كان رجلاً تقدمياً فإن تعليمه السياسي جعل من غير المرجح أن يغير النظام الاجتماعي في بلاده ، وباعتباره جنرالاً منتصراً نجح في حماية سيادة إثيوبيا فإنه لم ير أي حاجة لتبني صيغة اجتماعية واقتصادية فعّالة بغية تطوير بلاده و تغييرها نحو الأفضل ، و لذلك اختار استيراد السلع المصنعة إلى إثيوبيا دون تبني أسلوب الإنتاج الأوروبي أو بنيته الاجتماعية ، و على النقيض من الدولة اليابانية ، لم تخضع الإمبراطورية السليمانية للثورة الاجتماعية المطلوبة لتحقيق الأمن من خلال التحديث الصناعي .

ولم يكن الشعب الإثيوبي منضبطاً مثل الشعب الياباني[٩٠] ، فقد كانت الإمبراطورية حديثة التأسيس وكانت إدارتها ما تزال بدائية ، و كانت

[٩٠] لو إطلع المؤلف على تاريخ اليابان جيدا و لا سيما فترة الشوغان توغاوا (١٤١٦-١٦١٦م) و الغزو الأمريكي للبلاد عام ١٨٤٨ م لأدرك مليا بأن اليابانيين كانوا شعبا همجيا و غير منضبط و غير متحضر ، و لم يصبحوا منضبطين و متحضرين إلا في عهد الإمبراطور مايجي (١٨٦٠-١٩١٢م) (المترجم) .

الدولة السليمانية شاسعة و وسائل الاتصال فيها بدائية و سكانها غير متجانسين و لم يكن هناك تجانس ثقافي منعزل يمكن استغلاله وإعادة تشكيله ، و كانت موارد رأس المال وعائدات التجارة محدودة بسبب الأسواق الضيقة في إثيوبيا ، ونطاق صادراتها المحدود ، ومرافقها المصرفية والائتمانية شبه المعدومة ، و كان هناك عدد قليل نسبياً من الإثيوبيين المهرة والمتعلمين الذين لعبوا أدواراً مهمة في الحياة السياسية والاقتصادية ، في الواقع كانت النخب التقليدية منخرطة بشكل كامل في نظام سياسي جديد حيث كانت الإمبراطورية التي كانت لديها القدرة على استيعاب مصالحهم وطموحاتهم والتي لم تشكل أي خطر بنيوي من طبقة المحاربين الفقيرة ، باختصار، لم تكن هناك أسباب مقنعة لتغيير إثيوبيا. ومع ذلك، جلب الإمبراطور بعضًا من منجزات العصر الحديث إلى أديس أبابا حيث تم تشييد المباني الحجرية وبناء الجسور و رصف بعض الشوارع و تم إدخال المياه عبر الأنابيب والسباكة والكهرباء في القصر الإمبراطوري و الأحياء المجاورة لها ، و قدمت هيئة البريد الحكومية خدمات بريدية كافية بما يكفي لدخول إثيوبيا في الاتحاد البريدي الدولي في عام ١٩٠٨م ، كما قدمت أيضًا خدمات الهاتف والتلغراف ، وبعد عام ١٩٠٥م ، ارتبط سكان العاصمة بأسواق المال العالمية من خلال بنك الحبشة و هو بنك تابع للبنك الوطني المصري ، كما تم تحقيق تقدم في التعليم والصحة من خلال افتتاح العديد من المدارس والمستشفيات وإنشاء مطابع حكومية .

لكــن بالنســبة لمعظــم ســكان إثيوبيــا، كانــت مظــاهر العصــر الحــديث المحـدودة بمثابـة حداثـة لـم تـؤثر علـى حيـاتهم. وبالنسـبة لهـم، كـان الابتكـار الحقيقـي الوحيـد الـذي أحدثـه منليـك هـو بنـاء خـط سـكة حديـد أديـس أبابـا ــ جيبــوتي بموجــب امتيــاز لشــركة فرنســية حيــث لــم يقتصــر الأمــر علــى ربــط إثيوبيــا بالعــالم الخــارجي ماديــاً فحســب، بــل حفــز أيضــاً علــى تبلــور الرأســمالية واســتغلال المنتجــات الزراعيــة الضــخمة فــي الــبلاد كمحاصــيل نقديــة ، و قــد جــذبت ســهولة الوصــول إلــى إثيوبيــا ومحيطهــا انتبــاه التجــار الأجانــب الأثريــاء ، الــذين كــانوا يعملــون بالفعــل علــى دمــج شــرق أفريقيــا فــي الاقتصــاد العــالمي ، وفــي إثيوبيــا حفــز التجــار الممارســات الرأســمالية بالتعــاون مــع النخــب الحاكمــة ، فاســتغلوا خــط الســكك الحديديــة وتســهيلات الائتمــان التــي يقــدمها بنــك الحبشــة لضــم إثيوبيــا إلــى النظــام العــالمي ، و هــو التغييــر الأساســي الــذي كــان مــن شــأنه أن يــؤثر علــى حيــاة ســكانها عبــر خــط الســكك الحديديــة الــذي أثــار بنــاؤه الكثيــر مــن الجــدل حيــث صــاحب الامتيــاز الفرنســي يعــاني دومــاً مــن نقــص الأمــوال، وعنــدما ســعى رأس المــال البريطــاني إلــى الاســتيلاء عليــه تــدخلت بــاريس وكــأن الخــط ملــك وطنــي ناســية أنــه يمــر فــي الغالــب عبــر الأراضــي الإثيوبيــة ، و أمــر منليــك الغاضــب بنقــل البضــائع الموجهــة إلــى حكومتــه بواســطة قافلــة مــن الجمــال مــن جيبــوتي ، الأمــر الــذي حــرم شــركة الســكك الحديديــة مــن الإيــرادات الكافيــة لتغطيــة النفقــات ودفــع الفائــدة علــى ســنداتها ، وعنــدما رفــض فــي عــام ١٩٠٢م الموافقــة علــى إنشــاء خــط مــا بعــد ديــر داوا، المحطــة الرئيســية الأولــى فــي إثيوبيــا، وقعــت الشــركة فــي ورطــة عميقــة ، و لكنهــا ســرعان مــا تمكنــت مــن تجــاوز الأمــر

حتى عام ١٩٠٨م عندما وافقت فرنسا على إبرام اتفاقية جديدة مع إثيوبيا تتمتع الأخيرة بموجبها بالسيادة على الجزء الإثيوبي من الخط .

ولكن هناك مفارقة هنا، ففي الرابع من يوليو/تموز ١٩٠٦م [٩١]، وقعت فرنسا وبريطانيا وإيطاليا بالأحرف الأولى على اتفاقية ثلاثية حددت مصالحها في إثيوبيا كما لو كانت البلاد ظاهرة عابرة أو أقل من السيادة ، وفازت باريس بخط سكة حديد تديره فرنسا ومنطقة نفوذ اقتصادية تمتد من جيبوتي إلى أديس أبابا؛ وحصل البريطانيون على اعتراف بمصالحهم الأساسية في حوض النيل؛ وحصل الإيطاليون على اعتراف غامض بإمكانية استغلالهم لغرب إثيوبيا، والذي قد يؤدي إلى بناء رابط بين إريتريا وأرض الصومال الإيطالية ، ومع ذلك، زعمت ديباجة المعاهدة أن الموقعين كانوا يرغبون في الحفاظ على سلامة إثيوبيا، وتعهدت إحدى موادها الحادية عشرة بحياد الثلاثي وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلاد. والواقع أن إثيوبيا اكتسبت قدراً كبيراً من الاستقرار من خلال المعاهدة، التي كانت بمثابة نهاية للإمبريالية البريطانية والفرنسية النشطة في المنطقة و أزالت، لبعض الوقت، احتمال التوسع الإيطالي. ورغم أن المعاهدة لم تحترم السيادة الكاملة لإثيوبيا في الشؤون الدولية ، فقد عملت القوى الثلاثية على تعزيز سلامة إثيوبيا الوطنية في وقت اهتز فيه الاستقرار الداخلي للإمبراطورية بسبب مرض منليك و خلافته المضطربة ، وكان الإمبراطور القديم بمثابة الصخرة التي بنيت عليها إثيوبيا الحديثة ،

[٩١] الإتفاقية السالفة الذكرالصادرة عام ١٩٠٦م لم تكن إتفاقية سرية و دون علم إثيوبيا بل كانت وراء ظهورها حيث وقعتها مع فرنسا و بريطانيا و إيطاليا لتقاسم أراضي القرن الإفريقي و لا سيما الصومال فيما بينهم و ليس لتقاسم أراضي إثيوبيا و حرمانها من إستقلالها و سياستها الخارجية المستقلة كما زعم المؤلف (المترجم) .

وفي عام ١٩٠٢م ، عقد إستعراضاً عسكرياً في أديس أبابا لإحياء ذكرى أولئك الذين سقطوا في عدوة. وشارك في الاستعراض أكثر من ثلاثمائة ألف جندي من المقاطعات ، ولكن اليوم توج باستعراض للجيش الإمبراطوري و كان عدد الجنود تحت قيادة فيت يقارب المائة ألف رجل ، و مر أمام الإستعراض العسكري هابتي جيورجيس (الذي أصبح فيما بعد وزيراً للحربية وتوفي في عام ١٩٢٦م) و أظهرت وحدات النخبة الاستخدام الفعّال لنيران المدافع الرشاشة والمدافع ، ثم تلتها بوابل من البنادق المنضبطة ، لم يكن أي حاكم إقليمي قادراً على الصمود أمام مثل هذه القوة النارية، الأمر الذي جعل من موقف الإمبراطور الداخلي موقفاً لا يمكن المساس به ، و بعد انتصاره في عدوة نجح في احتواء كل أشكال المعارضة الداخلية ، بما في ذلك التمرد في تيغراي الذي قاده في عام ١٨٩٩م الزعيم المزعج رأس منجيشا ، وفي وقت لاحق، أعاد الإمبراطور توزيع الحكومات الفرعية في الإقليم على السياسيين المتنافسين و كلهم بلا شك من أقارب يوهانس الرابع.

و في عام ١٩٠١م م ، عندما توفي نجوس تكلي هيمانوت من غوجام ، سلم منليك الإقليم على نحو مماثل إلى ثلاثة أفراد تم اختيارهم بعناية ، وكان كل منهم متوازناً بشكل جيد ضد الآخر. ومع ذلك، كان الإمبراطور معزولاً بشكل متزايد في مركز الحكومة ، و في أوائل القرن العشرين، توفي العديد من مستشاريه ومقربيه الموثوق بهم، ومن بينهم رأس ماكونين في عام ١٩٠٦م ، و في ذلك العام ، خسر الإمبراطور أيضاً خدمات ألفريد إيلج الذي كان يشغل منصباً كبيرا في حكومة إثيوبيا حيث أصبح

مستشـــار الإمبراطـــور لفتـــرة طويلـــة ومستشـــاره فـــي الشـــؤون الخارجيـــة ، عـــلاوة علـــى ذلـــك، كـــان الإمبراطـــور متقـــدماً فـــي الســـن، ولـــم يعـــد قـــادراً علـــى الســـفر بشـــكل دوري إلـــى المقاطعـــات لإظهـــار عظمتـــه والإشـــراف علـــى المســـؤولين الإقليميـــين ، أصـــبح يحكـــم الآن عـــن طريـــق الهـــاتف ، وفـــي حـــين كـــان الخـــط إلـــى المقاطعـــات يحمـــل رعبـــاً يوميـــاً للمســـؤولين، إلا أن يـــوم عملـــه كشـــف عـــن مـــدى تبـــاطؤه ، كـــان الإمبراطـــور يســـتيقظ مبكـــراً فـــي الصـــباح ويـــذهب علـــى الفـــور إلـــى إحـــدى الكنـــائس الـــثلاث فـــي القصـــر للصـــلاة ، ثـــم يعـــود إلـــى مســـكنه لتنـــاول الإفطـــار مـــع الإمبراطـــورة وبعـــض أصـــدقائه المقـــربين ومناقشـــة أعمـــال اليـــوم ، و فـــي الســـاعة التاســـعة صـــباحاً، ذهـــب إلـــى قاعـــة العـــرش للتعامـــل مـــع الدبلوماســـيين أو كبـــار المســـؤولين ، وبعـــد ذلـــك مباشـــرة وحتـــى الســـاعة الواحـــدة ظهـــراً، كـــان يتوجـــه إلـــى القصـــر ، كـــان الإمبراطـــور يعمـــل كمحكمـــة عليـــا فـــي إثيوبيـــا حيـــث كـــان يســـتمع إلـــى الالتماســـات النهائيـــة مـــن المتقاضـــين فـــي جميـــع أنحـــاء الإمبراطوريـــة ، و عنـــدما انتهـــى عمـــل الصـــباح ، عـــاد الإمبراطـــور إلـــى شـــقته لتنـــاول الغـــداء مـــع تـــايتو ودعـــا المســـؤولين ثـــم أخـــذ قيلولـــة قصـــيرة قبـــل العـــودة إلـــى غرفـــة العـــرش لمزيـــد مـــن العمـــل ، و فـــي حـــوالي الســـاعة ٠٠:٤ مســـاءً، كـــان منليـــك يـــأمر غالبًـــا بغلـــه أو عربتـــه بجولـــة فـــي أراضـــي القصـــر الواســـعة أو المغـــامرة فـــي عاصـــمته ســـريعة النمـــو محاطًـــا بحـــراس وحـــراس شـــباب مختـــارين ، كـــان يتفقـــد الأشـــغال العامـــة ويعـــرض نفســـه علـــى رعيتـــه ، و كثيـــراً مـــا كـــان يتوقـــف للتحـــدث إلـــى الملتمســـين و المـــارة ، مـــن أجـــل قيـــاس الـــرأي العـــام والتعـــرف عـــن كثـــب علـــى مخـــاوف النـــاس ومشـــاكلهم ، وكـــان يعـــود إلـــى القصـــر قبـــل الغســـق ، لـــيجلس علـــى شـــرفة شـــقته ، ويثرثـــر ويرتشـــف نبيـــذ العســـل مـــع أصـــدقائه حتـــى تغـــرب الشـــمس ، و كـــان يتنـــاول

العشاء مع الأصدقاء والزوار المميزين والمستشارين الأجانب أو الدبلوماسيين ، و بعد الساعة العاشرة مساءً، كانت الإمبراطورة والإمبراطور، مثل معظم سكان أديس أبابا، يتقاعدان ليوم واحد .

في أوائل القرن العشرين، كانت العاصمة التي تغطيها الغابات بكثافة، ويبلغ عدد سكانها ربما خمسة وستين ألف نسمة، مدينة غريبة مترامية الأطراف، يهيمن عليها على التلال إما القصر الإمبراطوري أو القصور التقليدية الكبيرة للنبلاء الكبار ، و على التلال المجاورة لكل منشأة كانت هناك مجتمعات تابعة بحيث تشبه المدينة تكتلاً من القرى ، كانت هناك أحيانًا كنيسة أو مبنى على الطراز الأوروبي يتخلل المساكن التقليدية السائدة المصنوعة من القش ، على الرغم من أن المنازل المربعة ذات الأسقف المصنوعة من الصفيح بدأت في الظهور فقط أمام قصر منليك في منطقة السوق، كانت هناك كثافة سكانية مميزة للمدينة اللاحقة حيث عاش هنا التجار والحرفيون والعمال اليوميون وأصحاب المتاجر وأصحاب الحانات والعاهرات وعمال القصر والخدم ، أغلبهم قد جاءوا إلى أديس أبابا بعد الحرب المنتصرة ضد إيطاليا والتوسع الإقليمي الذي أعقبها و كان بعضهم في الواقع أسرى أو عبيداً ، و كان أهل البلدة يتجاوزون الخطوط الدينية والطبقية والعرقية في سعيهم إلى تحقيق مستقبلهم المهني والثروة ، و في نهاية المطاف ، كانوا يعملون في اقتصاد وطني حقيقي للغاية و إن كان غير مكتمل ، فيعملون من أجل المال والملابس والطعام والسكن ، و لم تكن هيبة أرباب العمل مهمة بقدر أهمية مستوى أجورهم وأمنهم حيث كان العامل الذي يحصل على

أجر جيد يأمل في الحصول على راتب شهري قدره ١٢ دولاراً (جنيه إسترليني واحد) ويحصل على ملابس مرتين في السنة ، و كان موظفو القصر يأملون في الحصول على مكافآت ومعاشات تقاعدية ومنح أراض ، و كانوا يحصلون على الطعام يومياً كجزء من أجورهم ، و كان تقديم مثل هذا السخاء أمراً طبيعياً بالنسبة للحكام الإثيوبيين الذين استخدموا التغذية المؤسسية لأغراض خيرية وتمثيلية وإعادة توزيع لثرواتهم الخاصة ، و كان القصر الإمبراطوري يقدم خدماته يومياً لنحو ثلاثة آلاف شخص، وفي أيام الأحد كان ما يصل إلى أربعة آلاف يتناولون وجباتهم مع منليك ، كان عدد الذين قدموا الطعام للقصر خلال احتفالات الأعياد المهمة التي استمرت ثلاثة أيام حوالي خمسة وأربعين ألف شخص ، و كانت هذه الأحداث ضخمة وتتطلب تعبئة كاملة تقريباً لموظفي القصر وموارده ، و كان لابد من البدء في الترتيبات قبل العيد بوقت طويل ، و كان على جميع العاملات أن يتنازلن عن مهامهن المعتادة للمساعدة في طهي الطعام وإعداده. وبدأ كبار المسؤولين والإداريين الإقليميين وغيرهم من الشخصيات البارزة وحاشيتهم في الوصول إلى أديس أبابا قبل أسبوع أو أكثر من المناسبة، الأمر الذي أدى إلى تضاعف عدد السكان ثلاث مرات ، و اكتسبت العاصمة جواً احتفالياً بشكل عام، و في السوق ، كانت التجارة في الملابس الجديدة نشطة ، و كان الجيبر، أو العيد، يبدأ في الساعة التاسعة صباحاً، في القاعة الحديثة الضخمة التي بناها منليك في عام ١٨٩٧م لتحل محل خيمة قديمة الطراز ضخمة الحجم ، و من منصة في مقدمة القاعة ، كان الإمبراطور يرأس ما يصل إلى ثماني جلسات كل يوم ، ويدعو النبلاء

للانضمام إليه حيث يحيونه ويؤدون له التحية والولاء ، و بما أن العرض العام يتطلب الاعتدال والرصانة ، فقد غادر كبار الشخصيات بسرعة كما فعل عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألفًا من عامة الناس الذين تدفقوا إلى القاعة وخارجها على فترات ينظمها حرس القصر ، لقد أكلوا حتى الشبع من يخنة الدجاج واللحوم و الخبز و لحم البقر النيئ (بريندو) المحبوب جدًا من قبل الإثيوبيين ، وفي حوالي الساعة ٤:٠٠ مساءً ، غادر الإمبراطور، وانتهت وليمة اليوم رسميًا ، ترأس مينيليك آخر جبر له في ١١ سبتمبر ١٩٠٩م ، و كان مريضًا بمرض الزهري بحلول ذلك الوقت ، كان مريضًا منذ عام ١٩٠٤م حيث اتخذ خطوات لضمان استمرارية الدولة ، ففي ٢٥ أكتوبر ١٩٠٧م ، أعلن عن تشكيل أول حكومة في إثيوبيا واستخدم بسرعة وزارة العدل الجديدة لإنشاء نظام محكمة استئناف في المقاطعات .

لقد انخفض عدد القضايا التي أحيلت إلى الإمبراطور للاستئناف النهائي بشكل حاد ، مما أراحه من عبء رهيب ، و علاوة على ذلك ، كانت المحاكم الجديدة مستقلة هيكليًا عن الإدارة الإقليمي ة، وكان الكتبة يسجلون إجراءات القضايا ، مما جعل من الصعب على كبار الشخصيات المحليين التدخل بمجرد استئناف التقاضي إلى التاج حيث كان نظام الاستئناف الإقليمي يمثل فرضًا مهمًا للسلطة الإمبراطورية في الريف. كما عزز منليك بشكل كبير حقوق الأفراد في الملكية .

في ٤ أكتوبر ١٩٠٨م ، أصدر قانونًا جديدًا للميراث وحظي بشعبية فورية ، حتى ذلك الحين، كانت جميع السلع والممتلكات مملوكة

للإمبراطور الذي كان بإمكانه منحها أو استردادها حسب رغبته ، في الواقع، كانت الملكية قابلة للتوريث ، ولكن الدولة كان لها دائماً الحق في مصادرة الثروة عند وفاة المالك ، و لم تكن الإجراءات التعسفية من جانب المسؤولين الإقليميين والمحليين الجشعين غير معروفة ، و قد أضفى التشريع الجديد طابعاً رسمياً على الميراث بالوصية ، و باستثناء قضايا الإعدام أو الخيانة ، لم يعد من الممكن مصادرة السلع وفقاً لأهواء الدولة ، و قد عكس هذا التغيير الاقتصاد المتغير في إثيوبيا ، وكان مستوحى بالتأكيد من الحاجة إلى حماية رأس المال ونقله من جيل إلى جيل ، و إلى جانب هذه الإصلاحات ، أنشأ الإمبراطور منصب رئيس الوزراء ، الذي أعطاه لفيت هابتي جيورجيس الذي كان أيضاً وزيراً للحربية وأبرز جنرال في البلاد ، كما أسس مينيليك مجلساً للتاج يضم كبار النبلاء وكبار المسؤولين في الكنيسة ووزراء الحكومة حيث اكتسب هذا التنظيم أهمية كبيرة في فبراير/شباط ١٩٠٨م عندما أصيب الإمبراطور بسكتة دماغية أعاقته بشدة عن ممارسة مهامه ، فسقطت الحكومة في يد مجلس التاج ، و بصفتها رئيسة للمجلس ، ركزت الإمبراطورة تايتو قدراً كبيراً من السلطة في يديها حتى أصبحت رئيسة الدولة بحكم الأمر الواقع ، و لكن ما دام منليك يتمتع بالقدر الكافي من الصفاء الذهني للتعبير عن دعمه لأنشطتها، لم يعارض أحد قراراتها علناً .

و على الرغم من خبرتها وذكائها وقدرتها ، لم يكن سماسرة السلطة في شوا مستعدين للسماح لامرأة بممارسة السيادة في حقها الخاص ، و في

أغسطس/آب ١٩٠٩م ، أثروا على منليك لتعيين رأس تيسيما نادو، الموالي للإمبراطورية وصياً مفوضاً لحفيد منليك ووريثه المعين ليج إياسو (١٨٩٦-١٩٣٥م) وفي ٢٨ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٠٩، أصيب الإمبراطور بسكتة دماغية هائلة كادت أن تودي بحياته مما جعله مشلولاً وبلا كلام و سرعان ما استدعت الحكومة القوات لحفظ النظام وفرضت حظر تجوال من الفجر إلى الغسق ، و في حين كان موقف تايتو ضعيفاً بطبيعته فقد تمكنت بمهارة من الحصول على المؤيدين ـ بل وسمحت حتى لديج ـ بالتحرك ، لقد تم ترشيح تافاري ماكونين (هيلي سيلاسي الأول في المستقبل) وهي شابة في السابعة عشرة من عمرها حاكمة على هرجي المقاطعة الشرقية الاستراتيجية الغنية ، و لكنها لم تتمكن من كسب تأييد حكام المقاطعات الجنوبية المهمة أو تعزيز حلفائها في الشمال ، و مع ذلك ، أدت مؤامراتها إلى تفاقم الموقف المربك بالفعل، مما عرض النظام الجديد للخطر بشكل خطير ، فقد رفض الإداريون والحكام تحمل المسؤولية عن التدابير الجديدة ، أو اتخاذ القرارات، أو إطاعة الأوامر، أو حتى الرد على الرسائل الواردة من القصر ، لقد أدى موت منليك الحي واستمرار تدخل الإمبراطورة إلى تآكل سلطة الحكومة المركزية في إثيوبيا ، أما رأس تيسيما، في المراحل المبكرة من المرض الذي أودى بحياته في غضون عام، فقد كان غير مبالٍ في مواجهة تايتو العنيدة حيث كانت في الوقت نفسه تتلاعب بمجلس التاج والوزارات ، وتستبدل رجال منليك بمنافقين من أتباعها ،كما سعت إلى السيطرة على العلاقات الدبلوماسية و بالتالي إجبار القوى على الاعتراف ضمناً بسلطتها العليا ، و بينما كان الأوروبيون منشغلين بمناقشة رفضهم

التعامل حصرياً مع تايتو استجمع رجال مينيلك قواهم أخيراً لإنهاء حكم الإمبراطورة القصير ، وفي ٢١ مارس/آذار ١٩١٠م ، أدانت مجموعة من الضباط العسكريين والمدنيين الإمبراطورة لتدخلها في الحكومة ، وساروا إلى مقر إقامة أبونا ماتيوز وطالبوا بالإعفاء من قسم الولاء ، ثم ذهبوا إلى رأس تيسيما وكسبوا تعاونه ، وفي صباح اليوم التالي، تحالفوا معه و تبعه هابتي جيورجيس ، وفي اجتماع عقد في إحدى كنائس العاصمة ، اعترف الرجلان بحكمة بالإهمال في فشلهما في السيطرة على الإمبراطورة وتعهدا بدعمهما لإبعادها عن السلطة ، و بعد مناقشات طويلة ، صدرت تعليمات للزعيمين بإبلاغ تايتو بأنها لن تتحمل أية واجبات فيما بعد باستثناء رعاية منليك ، واحتجت الإمبراطورة بشدة على ذلك و جادلت بلا جدوى ضد منتقديها ، و لم يؤد رحيلها عن الحكومة إلى تحسين إدارتها حيث أصرت القيادة الجديدة على أن يتولى وزراء منليك إدارة الأعمال، لكن هؤلاء الوزراء لم يفهموا أدوارهم و لا مفهوم المسؤولية الجماعية ، و بدلاً من ذلك، أدرك الوزراء أدوارهم وفقًا للمصطلحات التقليدية وتصرفوا كحكام يسعون إلى تحسين ثرواتهم و اتخذوا القرارات على أساس الإكراميات والمحسوبية ، فلم يتمكن تيسيما المريض ولا ليج ياسو الشاب عديم الخبرة من السيطرة على الموقف ، و في غياب الزعامة الوثيقة ، عملت الحكومة بطرق شخصية مألوفة ، و كانت هذه الظاهرة مزعجة بشكل خاص للدبلوماسيين الأوروبيين ورجال الأعمال الأجانب الذين ضغطوا باستمرار على البيروقراطية للحصول على تنازلات وقرارات مؤسسية .

.

ولكــن بالنســبة للإثيــوبيين، كــان الأمــر بمثابــة عمــل تجــاري كمــا جــرت العــادة ، فقــد حــل لــيج ياســو محــل منليــك فــي احتفــالات القصــر، وتجــول فــي المدينــة تحــت المظلــة الحمــراء المخصصــة للملــك. كمــا تــم ســجن العديــد مــن المطــالبين المحتملــين بالتــاج ؛ وتــم تطهيــر معظــم المعينــين مــن قبــل تــايتو؛ وطلــق لــيج ياســو ابنــة أختــه ، عروســه الطفلــة التــي لــم يمــض علــى زواجــه منهــا أكثــر مــن عــام بقليــل ، وفــي الوقــت نفســه، تــم تســليم بيجيمــدير الاســتراتيجية إلــى رأس وولــد جيــورجيس، الرجــل القــوي فــي الجنــوب حتــى ذلــك الوقــت، والــذي حــرك جيشــه القــوي نحــو الشــمال ، و بالتعــاون مــع راس ميكائيــل فــي ويلــو، تــم تحييــد حلفــاء تــايتو بشــكل كامــل، ممــا جعــل قلــب إثيوبيــا آمنًــا لياســو ، أخيــرًا، تمــت مكافــأة الشــباب الــذين قــادوا الانقــلاب ضــد تــايتو بمناصــب فــي جنــوب إثيوبيــا التــي أخلاهــا مــؤخرًا مســاعدو وولــدي جيــورجيس .

وبحلــول نهايــة عــام ١٩١٠م ، تــم تطبيــق نظــام الوصــاية فــي الســلطة تمامًــا علــى الــرغم مــن أن ســلطة راس تيســيما ظلــت غيــر مكتملــة حيــث استســلم بــبطء لمــرض الزهــري ، ففــي فبرايــر مــن عــام ١٩١١م ، عــانى مــن نوبــات شــلل متكــررة تــذكرنا بعلــم الأمــراض الــذي أصــاب منليــك ، و بحلــول نهايــة مــارس ، بقــي كــل مــن الوصــي والإمبراطــور فــي أجســاد محطمــة ، بالكــاد واعيــين بمــا يحــيط بهمــا ، عنــدما كــان تيســيما محظوظًــا بمــا يكفــي للمــوت ، فــي ١٠ أبريــل ١٩١١م ، اغتــنم ياســو البــالغ مــن العمــر ســتة عشــر عامًــا الفرصــة للمطالبــة بــالحكم الشخصــي ، وامتثــل الــوزراء بإعــادة تنظــيم أنفســهم

في مجلس وصاية برئاسة الأمير ، ولم يكن الشاب مستعداً للحكم: فخلال فترة مراهقته [٩٢]، كان قد هجر الفصول الدراسية في قصر منليك إلى الحانات وبيوت الدعارة في العاصمة ، ولكن من المؤكد أنه كان ذكياً و لكنه كان جاهلاً في إدارة معقدة على نحو متزايد ، وكان تركيزه قصيراً و كان يفتقر إلى الحس السياسي السليم إن لم يكن الرؤية العظيمة. وكان هدفه الفارغ هو بناء مجتمع لا يهم فيه الانتماءات الدينية والعرقية، وهو الهدف الذي يتناقض مع الوضع السياسي في الإمبراطورية. ولم يعترض مستشاروه و هم مجموعة من رجال البلاط المضحكين ولكن المتملقين، على عدم حساسيته تجاه هذا الواقع الأساسي ، و كان هؤلاء وسيدهم يشعرون بالملل بسهولة ، ولهذا كانوا دائماً في انتظار التسلية . كان ياسو كثيراً ما يغادر أديس أبابا، ويقوم برحلات طويلة إلى الريف، حيث كان يصطاد ويزور رعيته ويسعى إلى بناء تحالف سياسي مستقل عن الرجال الذين بنوا إمبراطورية منليك وحافظوا عليها ، لقد تجاهل بقاء العاصمة الجديدة للإمبراطور القديم، والتي أصبحت الآن متصلة بوسائل الاتصالات الحديثة بالمقاطعات والعالم الخارجي والتي لقد تطلبت الحكومة المركزية خدمات زعيم مستعد للتعامل مع العصر الحديث. وفي ظل غياب رئيسها، تدهورت الحكومة المركزية خلال الفترة ١٩١١-

---

[٩٢] يبدو أن المؤلف لا يعرف شيئا عن شخصية الإمبراطور ليج ياسو (١٩١٣-١٩١٨م) ، فهو لم يكن رجلا مستهترا فاشلا في حياته و حكمه لقد كان رجلا ملتزما ناجحا في إدارته للبلاد صومالي الأصل و إبن أحد شيخ القبائل الصومالية في إقليم أوغادين قبل سقوط أوغادين بيد الإثيوبيين عام ١٨٩٧م حيث أجبره عدوه و صهره منليك الثاني على الزواج من إبنته و إعتناق المسيحية قبل أن يعود إبنه ليج ياسو إلى دينه الأصلي الإسلام إثر توليه السلطة عام ١٩١٣م و قد خلعه الإثيوبيين بضغط من بريطانيا و إيطاليا و فرنسا عام ١٩١٨م لدعمه ثورة عبدالله بن محمود الصومالية (١٩٠٨-١٩١٨م) و وقوفه إلى جانب تركيا و المانيا ضدهم خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) و ليس بسبب إستهتاره و مجونه و زواجه من إبنة أخته لأنه ليس لديه أخوات أصلا كما زعم المؤلف قبل قليل ، و ليج ياسو هو والد إمبراطور إثيوبيا الأخير هيلاسلاسي (١٩١٨-١٩٧٤م) (المترجم) .

١٩١٣م ، ولكـن الحكومـات الإقليميـة ظلـت قويـة مثـل قادتهـا، وفـي بعـض الحـالات كانـت قويـة بمـا يكفـي لتجاهـل الأوامـر والتهـرب مـن الضـرائب ، و لـم ينضـم ديـج تافـاري مـاكونين ، مـن موقعـه المتميـز فـي هـارغي، إلـى إذلال حكومـة ياسـو ، فقـد نشـأ هـو و الأميـر معًـا فـي قصـر منليـك، وقبـل توليـه منصـب الحـاكم، تعهـد تافـاري رسـميًا بعـدم اسـتغلال سـلالته "السـليمانية" للتنـافس علـى التـاج الإمبراطـوري ، و مـع ذلـك ، فقـد اعتبـر أن موقـف إياسـو اللامبـالي تجـاه الإدارة كـان مسـؤولاً عـن تـدهور الحكومـة المركزيـة. ومـع بـدء الحـرب العالميـة الأولـى، بـدأ ياسـو فـي التـودد إلـى تركيـا و المانيـا و كـان يعتقـد أن هزيمـة الحلفـاء قـد تسـمح لإثيوبيـا بطـرد إيطاليـا مـن إريتريـا والصـومال ، لـذلك سـعى إلـى التحـالف مـع السـيد عبـدالله بـن محمـود (تـوفي فـي ٢٣ نـوفمبر ١٩٢٠م) الملقـب بـالملا المجنـون الـذي سـعى لفتـرة طويلـة إلـى شـن حـرب معاديـة للاسـتعمار الأجنبـي فـي الصـومال الكبـرى ، و بمـا أن السـيد اتبـع بحكـم الأمـر الواقـع خطًـا معاديًـا لإثيوبيـا فـي أوغـادين ، فقـد اعتقـد الكثيـرون أن سياسـة ياسـو كانـت خيانـة ، و عـلاوة علـى ذلـك، نظـر كبـار المسـؤولين فـي الإمبراطوريـة بكراهيـة شـديدة إلـى جهـود الأميـر لـدمج المسـلمين فـي الإدارة ، ومـع ذلـك ، كـان ياسـو مقتنعًـا بـأن سياسـته مـن شـأنها أن تقلـل مـن الاضـطرابات المزمنـة فـي دولـة الإمبراطوريـة وأن تفيـد الاقتصـاد حيـث كانـت مهمتـه الأساسـية هـي بنـاء الأمـة و لـيس الاسـتغلال الإمبراطـوري، لكـن طريقتـه هـددت أولئـك الـذين أداروا دولـة منليـك ، و مـن بينـهم دج. تفـاري حـاكم هرجـي المسـلمة إلـى حـد كبيـر ، و بعـد أن قـرر أن المقاطعـة كانـت مكانـاً ممتـازاً لتطبيـق سياسـته الجديـدة ، لـم يتوقـع ياسـو تـدخلاً يـذكر مـن أديـس أبابـا التـي أصـبح وزراؤهـا العـاجزون – باسـتثناء فيـت

هابتي جيورجيس – مدينين له بوظائفهم وثرواتهم ، و علاوة على ذلك ، بحلول عام ١٩١٥م ، استبدل ياسو العديد من المسؤولين الإقليميين الذين عينهم منليك بموظفين من اختياره ، و كان عدد كبير من الساسة المحبطين وغير السعداء يعيشون إحباطاتهم وحقدهم في العاصمة ، و هو المكان الذي احتقره ياسو وتجاهله إلى حد كبير ، و مع ذلك ، كان بإمكان النخبة القديمة – بالتحريض والقيادة المناسبين – أن تشن تمرداً قوياً ضده .

وفي ١٣ أغسطس/آب ١٩١٦م ، أقال ياسو تافاري من هرجي، و أعاد تعيينه في مقاطعة كيفا الأقل أهمية ، و بدلاً من تولي منصبه الجديد ، ظل ديجازماتش في أديس أبابا ، حيث كان هناك منذ مايو/أيار الماضي ، فانتشرت شائعات مفادها أن ياسو كان يفضل انتصار القوى المركزية ، وأنه كان ينوي تطهير القرن الأفريقي من الاستعمار الاوروبي ، و لقد زعم معارضيه الإثيوبيين أن ياسو كان يسلح غير المسيحيين ضد الأوروبيين. وفي الثاني عشر من سبتمبر/أيلول ١٩١٦م ، أعطى الحلفاء مصداقية للشائعات بإرسال مذكرة إلى وزارة الخارجية تطلب تفسيراً لعدوانية ياسو وإعلان حظر الأسلحة ضد إثيوبيا ، و كان أعداء ياسو العديدون يخشون أن يؤدي استمراره في الزعامة إلى جر إثيوبيا إلى حرب مع الحلفاء ، و أن يؤدي أيضاً إلى حرب أهلية طويلة الأمد ، و في اجتماع للأرستقراطيين بالسابع والعشرين من سبتمبر/أيلول ١٩١٦م ، اتهموا ياسو بالردة والتخريب الداخلي على أسس واهية لدرجة أن الأبون رفض طرده من الكنيسة ، و عندما تم إسكات الأسقف كرر نائبه الذي كان من الواضح

أنــه طــرف فــي المــؤامرة الاتهامــات الواهيــة الســالفة الــذكر ، و بنــاءً علــى سـلطته الخاصــة طــرد ياســو باعتبــاره كــافراً وأنهــاء حكمــه الفاشــل ، و لكــن المثيــر للاهتمــام حســبما تشـير الأدلــة الظرفيــة إلــى أن تافــاري كــان شخصــية بــارزة فــي الأزمــة التــي أدت إلــى خلــع ياســو ، و لا يوجــد تفسـير آخــر لترقيتــه الفوريــة إلــى رأس و ترشـيحه وليــاً للعهــد ووصــياً علــى الملــك الجديــد ســوى الإمبراطــورة زاديتــو (ولــدت عــام ١٨٧٦م ، حكمــت مــن عــام ١٩١٦م إلــى عام ١٩٣٠م) ابنة منليك .

لــم يفلــح ترشـيح تافــاري بســهولة، وهــو مــا يشـير إلــى أنــه كــان قــوة فعّالــة فــي الانقــلاب ، و خلــف الأبــواب المغلقــة ، أقنــع الــوزراء أنفســهم بــأن قلــة خبــرة تافــاري وشــبابه مــن شــأنهما أن يجعــلاه طيعــاً، وقــرروا بالتــالي مســاعدة زاديتــو فــي الحكــم و تافــاري فــي الإدارة ، ثــم شــرعوا فــي تعزيــز ســلطة الحكومــة الجديــدة ، وفــي هــرر، ســارت الأمــور علــى نحــو خــاطئ، وفــي الثــامن مــن أكتــوبر/تشــرين الأول، هــرب ياســو إلــى صــحراء أوغــادين ، و مــن مدينــة ويلــو، أبــدى ميكائيــل اســتياءه مــن موقــف ابنــه مجــادلاً بــأن الصــبي ربمــا كــان متهــوراً بعــض الشــيء فــي بعــض سياســاته، ولكــن خلعــه كــان عقوبــة قاســية لا داعــي لهــا ، و بــدلاً مــن الجــدال مــع أديــس أبابــا، كــان ينبغــي لــه أن يتقــدم نحــو المدينــة التــي لــم تكــن تتمتــع بحمايــة كافيــة خــلال هــذا الأســبوع حيــث كــان جــيش الملــك الممتــاز الــذي يبلــغ تعــداده مائــة ألــف رجــل قــادر بســهولة علــى الاســتيلاء علــى جيبــي منليــك حيــث كانــت زاديتــو تقــيم فيــه منــذ الثلاثــين مــن ســبتمبر/أيلــول الماضــي ، و بعــد أســبوعين، تــولى خمســون ألــف جنــدي حمايــة النظــام الجديــد ، و كــان ٣٥ ألفــاً مــنهم علــى طــول الحــدود الشــمالية

لشوا ، و كان حكام جنوب وغرب إثيوبيا يدركون أن المعركة تدور حول قوتهم ، و استجابوا بحماس شديد له حتى أن جيش الحكومة تفوق في العدد على عدوه إلى حد كبير بحلول الحادي والعشرين من أكتوبر/تشرين الأول ، و في السادس والعشرين من أكتوبر/تشرين الأول، وبعد مناورات استمرت عدة أيام من أجل تحديد أفضل المواقع التكتيكية، واجهت القوتان بعضهما البعض في سيجيلي، على بعد حوالي ٤٠ ميلاً إلى الشمال من أديس أبابا ، و في وقت مبكر من اليوم التالي ، بدأ نيجوس ميكائيل واحدة من أهم المعارك التاريخية في إثيوبيا و التي خسرها بحلول الظهر بعد أن هزمه عدد أكبر من الرجال و أسلحة أفضل و جنرال أعلى منه فيت هابتي جيورجيس ، وبعد أسر الملك، تم الاستيلاء على معسكره سليماً بما في ذلك أطنان من الذخيرة والأسلحة. كانت هذه الأسلحة مخصصة لجيش ياسو، لكن الأمير وصل إلى أنكوبر القريبة متأخراً للغاية لمساعدة والده ، فأرسل على الفور ستة آلاف رجل نحو الأراضي المنخفضة ومن ثم إلى ملاذ آمن في ويلو ، و ظل ياسو يشكل تهديداً خطيراً للحكومة الجديدة حراً طليقا في بث وجهة نظره التخريبية[٩٣] بشأن تكافؤ الفرص لجميع الإثيوبيين بغض النظر عن العرق أو الدين أو الطبقة أو أسلوب الحياة ، و كان حكام المقاطعات الجنوبية المحتلة معادين بشكل خاص لياسو، لأن مصالحهم الاقتصادية تتطلب استغلال السكان المستعبدين .

[٩٣] عجيب أمر المؤلف يعتبر وجهة نظر الإمبراطور ليج ياسو بتوحيد إثيوبيا تحت لواء قومية جديدة خالية من النعرات العرقية و الدينية و الطبقية نوعا من التخريب ! (المترجم) .

كـــان نظـــام زاديتـــو يمثـــل العقيـــدة الاجتماعيـــة والاقتصـــادية، وبالتـــالي كـــان يمثـــل مؤيـــديها بشـــكل جيـــد ، و فيمـــا يتصـــل بـــالتغيرات الاقتصـــادية الشـــاملة التـــي حفزهـــا الاقتصـــاد العـــالمي فـــي مختلـــف أنحـــاء أفريقيـــا، فـــإن الحكومـــة الجديـــدة ، التـــي دبرهـــا رأس تافـــاري ، كانـــت تتوســـط النمـــو التجـــاري و لكنهـــا كانـــت تحـــافظ علـــى الاقتصـــاد السياســـي الـــذي كـــان يحكمـــه منليـــك ، و الواقـــع أن الانقـــلاب ضـــد ياســـو كـــان بمثابـــة جهـــد للحفـــاظ علـــى التسلســـل الهرمـــي الاجتمـــاعي الـــذي أعـــاد إحيـــاء الإمبراطوريـــة القديمـــة أولاً ثـــم توســـع إلـــى مـــا هـــو أبعـــد مـــن حـــدودها الســـابقة ، و فـــي حفـــل تتويجهـــا فـــي الحـــادي عشـــر مـــن فبرايـــر/شـــباط ١٩١٧م و هـــو أول حفـــل يحضـــره ممثلـــون أوروبيـــون رســـميون فـــي تـــاريخ إثيوبيـــا ، تعهـــدت زاديتـــو بـــالحكم العـــادل مـــن خـــلال وصـــايتها ، وكـــان اختيارهـــا للكلمـــات ينفـــي أي دور نشـــط لهـــا فـــي الحكومـــة، وحتـــى فـــي المناســـبات العامـــة، كـــان تافـــاري هـــو الأكثـــر بـــروزاً بـــين الثنـــائي ، و لكنهـــا لـــم تكـــن حاكمـــة فخريـــة بحتـــة ، حيـــث كـــان منصـــبها علـــى قمـــة الدولـــة الإثيوبيـــة الهرميـــة يتطلـــب التحكـــيم فـــي مطالبـــات الفصـــائل المتنافسة .

كـــان لزوديتـــو الكلمـــة الأخيـــرة ، وهـــي القـــدرة التـــي أزعجـــت تافـــاري فـــي بعـــض الأحيـــان ولكنـــه كـــان يحترمهـــا ويحـــاول التلاعـــب بهـــا. ومـــع ذلـــك، كـــان الـــرأس يحمـــل عـــبء الإدارة اليوميـــة ، و هـــو مـــا كـــان فـــي كثيـــر مـــن الأحيـــان تمرينًـــا فـــي العبـــث ، كـــان موقفـــه ضـــعيفًا و جيشـــه الشخصـــي مجهـــزًا تجهيـــزًا ســـيئًا، ومـــوارده الماليـــة محـــدودة ، لـــم يكـــن لديـــه ســـوى القليـــل مـــن النفـــوذ لمقاومـــة النفـــوذ المشـــترك للإمبراطـــورة ووزيـــر الحـــرب وحكـــام المقاطعـــات الأكثـــر

أهميــة حيــث كــان عليــه أن يتشــاور علــى نطــاق واســع لدرجــة أن الإصــلاح كــان يُحــبط باســتمرار، ولــم تصــبح ســوى التــدابير الأقــل ضــررًا فــي السياســة. حتمًــا، تبنــى وجهــة نظــر بعيــدة المــدى ، فتوقــع الأهميــة المتزايــدة لأديــس أبابــا كمركــز سياســي وتجــاري واتصــالات لإثيوبيــا ، فبــدأ فــي وقــت مبكــر فــي وضــع أنصاره في المجالس البلدية، وخاصة في إداراتها المالية.

كــان تافــاري يــدرك دومــاً أهميــة شــوا فــي النهضــة السياســية فــي إثيوبيــا، ولــذلك شــكل تحالفــاً سياســياً مــع رأس كاســا هيلــو (الــذي أصــبح فيمــا بعــد لــول رأس؛ ١٨٨١-١٩٥٦م) الشخصــــية السياســــية الأكثــــر أهميــــة فــــي الإقلــيم، والــذي أدرك أيضــاً أن البقــاء الــوطني يتطلــب الإصــلاح ، و أخيــراً، عمــل تافــاري وزيــراً للخارجيــة ، فلــم يكتــف بتجســيد إثيوبيــا أمــام الأجانــب فحســـب، بـــل نجـــح أيضـــاً فـــي إقنـــاعهم و حكومـــاتهم بأنـــه لا يمكـــن الاستعاضــة عنــه وأنــه يســتحق دعمهــم الكامــل ، وعلــى هــذا الأســاس ، و منــذ بدايــة الحكومــة الجديــدة، حــدد تافــاري طبيعــة حياتــه المهنيــة الطويلــة حيــث ركــز علــى أديــس أبابــا و شــوا والشــؤون الخارجيــة التــي ســيبني حولهــا ســلطته ، فلقــد كانــت سياســته الأولــى هــي التوســع المــالي، لتغذيــة ســعيه إلــى الســلطة الشخصــية حيــث حصــل علــى الأمــوال مــن الإثيــوبيين الــذين كــانوا يريــدون وظــائف ، أو قــرارات حكوميــة مواتيــة أو امتيــازات مــن الأوروبيــين الــذين كــانوا يســعون للحصــول علــى تنــازلات مــن شــركاء الأعمــال الآســيويين مــن هرجــي حيــث كــان لديــه العديــد مــن الاســتثمارات فــي المــزارع والشــركات التجاريــة و مــن مختلــف الأجهــزة الماليــة للحكومــة المركزيــة بعــدما وضــع أتباعــه هنــاك ، فلقــد أنشــأ مــع آخــرين شــركة التجــارة والصــناعة الإثيوبيــة التــي

أصبحت الوكيل التجاري الرئيسي للحكومة وحققت أرباحًا كبيرة لها . اعتبر الأوروبيون أن تافاري فاسد ومرتزق، على الرغم من أن سلوكه كان مفهومًا تمامًا من الناحية التقليدية لأنه أعاد توزيع عائدات مشاريعه على فقراء أديس أبابا بما في ذلك الجنود ، و بذلك أصبح زعيمًا للجماهير الحضرية التي كانت بدورها ظاهرة جديدة في السياسة الإثيوبية.

في عام ١٩١٨م ، كانت الحياة في العاصمة صعبة، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى أن الحرب عزلت إثيوبيا عن المشترين والموردين التقليديين ، و لم يعد عمال المدينة قادرين على العثور على عمل في النقل والبناء والعمل اليومي ، كما طارد سوء الحظ الآلاف من الجنود الذين زعموا أنهم تعرضوا للخداع في الرواتب والطعام من قبل ضباطهم الذين ألقوا باللوم بدورهم على الوزراء لاختلاس الأموال ، فاجتمع العسكريون وفوضوا لجنة لطلب الإنصاف ، في ٢٠ مارس، دعت القيادة المجهولة إلى إقالة مجلس الوزراء بأكمله ونقل السلطة إلى مجلس وصاية يتألف من زاديتو وهابتي جيورجيس وتافاري خلال الأيام القليلة التالية بعد عدد من المظاهرات الشعبية ، و وضعت اللجنة الوزراء تحت الإقامة الجبرية، و وافقت زاديتو على مضض على نفي الرجال إلى مقاطعاتهم الأصلية. طوال الأزمة ، ظل تفاري يجهل المؤامرة، وكتب لاحقًا أنه عارض عمليات الفصل باعتبارها غير تقليدية. كان تافاري دائماً ما يجيد الترويج لنفسه و لا يمكن أخذ تصريحاته على محمل الجد لأن خروج الوزراء جعله المسؤول الوحيد عن إدارة الحكومة ، كان تافاري قبل كل شيء لاعباً من وراء الكواليس يتلاعب بالممثلين و الأحداث لصالحه ، و كانت

أهدافـــه السياســـية ـــ كمـــا فـــي هـــذه الحالـــة – تتمثـــل فـــي الســـيطرة علـــى الحكومـــة حتـــى وإن كـــان يخفـــي تكتيكاتـــه ، و مـــع رحيـــل الـــوزراء، عـــيّن تافـــاري مـــديرين لـــلإدارات المختلفـــة فـــي الحكومـــة ، لقـــد عـــين تافـــاري مسـؤولاً غامضـــاً ولكنـــه حزبـــي فـــي القصـــر لإدارة مكاتـــب البريـــد والبـــرق، ووجهـــه لتوســـيع النظـــام. وكـــان مـــديرو مكاتـــب البريـــد ومشـــغلو التلغـــراف والهـــاتف عيـــون وآذان الـــرأس و قـــادرين علـــى توصـــيل الأخبـــار الإقليميـــة بســـرعة إلـــى العاصـــمة ، و قـــد اختـــار أحـــد أنصـــاره أمينـــاً لخزانـــة الإمبراطوريـــة وآخـــرين كمســـؤولين عـــن الأســـواق فـــي أديـــس أبابـــا و ديـــر داوا و ويليجـــا و ولامـــو و أنكـــوبر ، كمـــا قـــدم رواتـــب لكـــل مـــن تـــم تعيينـــه بـــدلاً مـــن الرســـوم التقليديـــة ، فبـــدأ نظـــام الرواتـــب الـــذي يميـــز إثيوبيـــا البيروقراطيـــة الحديثـــة عـــن نظيرتهـــا البدائيـــة ، و مـــع ذلـــك لـــم تعمـــل إصـــلاحاته علـــى زيـــادة تـــدفق المعلومـــات إلـــى العاصـــمة فحســـب، بـــل أضـــافت أيضـــاً بشـــكل كبيـــر المزيـــد مـــن العائـــدات المحولـــة إلـــى الحكومـــة المركزيـــة ، و بعـــد أوبئـــة الأنفلـــونزا فـــي عـــام ١٩١٨م ، شـــرع تافـــاري فـــي إرســـاء سياســـة خارجيـــة قابلـــة للتطبيـــق ، و نظـــراً للحصـــار الاســـتعماري لإثيوبيـــا[٩٤] ، فقـــد ســـعت الحكومـــة الجديـــدة إلـــى ضـــمان أمـــن الـــبلاد؛ ونظـــراً لوضـــعها الـــداخلي، فقـــد كانـــت تحتـــاج إلـــى أســـلحة حديثـــة لكي تكون أقوى من أي مجموعة من أمراء المقاطعات الأكثر قوة .

ولكـــن إثيوبيـــا لـــم تـــتمكن مـــن كســـر الحظـــر الأوروبـــي علـــى الأســـلحة ، فقـــد كانـــت إيطاليـــا، التـــي كانـــت لا تـــزال تطمـــع فـــي إثيوبيـــا، تعـــارض تمامـــاً أي عمليـــة شـــراء للأســـلحة مـــن شـــأنها أن تعـــزز مـــن قـــوة حكومـــة أديـــس أبابـــا ، و

---

[٩٤] لـيس إسـمه الحصـار الإسـتعماري كمـا زعـم المؤلـف بـل هـو حصـار الحلفـاء المنتصـرين فـي الحـرب العالميـة الأولـى العسـكري لإثيوبيـا و قد إنتهى بعد خلع الإمبراطور ليج ياسو من العرش عام ١٩١٨م (المترجم) .

كانــت لنــدن راضــية عمومــاً بالوضــع الــراهن ، لأن وزارة المســتعمرات كانــت تعتقــد أن الأســلحة الجديــدة لإثيوبيــا مــن شــأنها أن تــؤدي إلــى تجــارة الأســلحة عبــر الحــدود ، وهــو مــا مــن شــأنه أن يــؤدي فقــط إلــى تفــاقم الأمــن فــي الممتلكــات البريطانيــة المجــاورة ، و لــم يكــن بوســع بــاريس وحــدها أن تفعــل الكثيــر، وعلــى هــذا فقــد رفــض الحلفــاء فــي عــام ١٩١٨م عــرض إثيوبيــا بــإعلان الحــرب علــى القــوى المركزيــة فــي مقابــل دور فــي محادثــات الســلام وأســلحة جديــدة ، و كانــت إثيوبيــا تعــاني مــن مشــكلة خطيــرة فــي صــورتها فــي أوروبــا ، ففــي نظــر الغــرب كانــت الحكومــة فاســدة مــن أعلــى إلــى أســفل. كانــت الإدارة المركزيــة بطيئــة فــي تحقيــق الإجمــاع، وكــان الأوروبيــون يعتبــرون الغمــوض الــذي يكتنــف التعامــل مــع الأمــر بمثابــة عــدم كفــاءة ، و كــان الكثيــر مــن الخمــول الواضــح نابعــاً مــن الافتقــار إلــى المــوظفين المــؤهلين الــراغبين فــي اتخــاذ القــرارات ، و لمعالجــة تخلــف البيروقراطيــة الحاليــة لأجهــزة الدولــة المدنيــة و العســكرية ، شــرع رأس تافــاري علــى الفــور فــي تجنيــد المتعلمــين حــديثاً للخدمــة الحكوميــة رغــم نــدرة المــدارس فــي الــبلاد ، وكــان التحــول إلــى ســلالة جديــدة مــن المســؤولين، الشــباب الإثيــوبيين ــــ الكفــؤين والحــديثين والــوطنيين ــــ بطيئــاً حتميــاً ، و مــن حيــث المبــدأ، كــان الرجــال الجــدد سيتخلصــون مــن ممارســات عتيقــة تاريخيــا مثــل العبوديــة حيــث كــان الإثيوبيــون يســتغلون العبيــد كخــدم فــي المنــازل أو كعمــال مــزارع، فــي كثيــر مــن الأحيــان للعمــل كمجــرمين فــي العصــابات أو لإعــلان الثــروة والمكانــة ، و طالمــا كانــت إثيوبيــا تتمتــع بالاكتفــاء الــذاتي، فــإن الفــائض الزراعــي المتــاح كــان قــادراً علــى دعــم حشــود العبيــد ، و قــد أدى تــدخل الاقتصــاد العــالمي فــي أواخــر القــرن التاسع عشــر والنمــو اللاحــق للمحاصــيل

النقدية في جنوب إثيوبيا إلى تحويل الموقف ، فخلال عشرينيات القرن العشرين، أصبحت الزراعة الإثيوبية، وخاصة في مجال زراعة البن، مربحة على نحو متزايد، الأمر الذي جعل استغلال العبيد غير اقتصادي من حيث تكاليف الفرصة ، و علاوة على ذلك، أصبح اللوردات الإقطاعيون فجأة مهتمين بتحويل الحقوق على الجبايات إلى حقوق على الأرض ، فلقد دخلوا في تحالفات اقتصادية مع بعضهم البعض ومع التجار الآسيويين الذين توسطوا الرأسمالية في إثيوبيا ، باختصار، تحول النبلاء الإقطاعيون إلى حكم أوليغاركي أكثر اهتمامًا بالربح من الاستعراض .

تم تحرير العبيد ليحتلوا مكانهم إلى جانب المزارعين الذين يعيشون على الكفاف كمزارعين مشاركين في اقتصاد السوق النامي في إثيوبيا ، كانت هذه العملية الطبيعية تحدث عندما تطورت الانتقادات للنظام الاجتماعي في إثيوبيا في الخارج ، كان من الصعب على الأوروبيين أن يدركوا أن الرأسمالية في إثيوبيا كانت تهزم العبودية عندما رأوا مؤسسة مزدهرة على ما يبدو بصفته أفضل رجل علاقات عامة في إثيوبيا، زعم تافاري أن مرسومه لعام ١٩١٨م بحظر تجارة الرقيق كان بمثابة تحول نحو الإلغاء النهائي لها حيث أوضح بصبر أنه سيضطر إلى تثقيف مواطنيه للنظر إلى العبودية باعتبارها مشكلة اجتماعية، لأن الحكومة كانت تحاول تدمير مؤسسة تاريخية يعتقد الكثيرون أنها تفيد العبيد والمالكين على حد سواء .

كانت العملية المؤدية إلى التحرير طويلة وصعبة، وكان لابد من ربط المراحل النهائية بالنمو الاقتصادي من أجل استيعاب طاقات ومواهب

مئات الآلاف من المحررين ، و لكن الغربيين كانوا يريدون تحركا أسرع من ذلك ، ولهذا السبب لم يحظ مرسوم عام ١٩١٨م إلا بقليل من الأصدقاء في أوروبا ، فلم تنجح أيضاً بعثات النوايا الحسنة التي أُرسِلَت في عام ١٩١٩م إلى الولايات المتحدة و أوروبا لتهنئة المنتصرين في الحرب العالمية الأولى والسعي إلى المشاركة في مفاوضات السلام. كانت سياسة تفاري الطويلة الأمد تتلخص في إحاطة إثيوبيا بعباءة الأمن الجماعي التي فرضتها عصبة الأمم حيث كان متحمساً تماماً لفكرة الرئيس ويلسون المتمثلة بحق تقرير المصير و التي بدت و كأنها الإجابة المثالية على احتياجات إثيوبيا الأمنية ، فلقد كان يعتقد أيضاً أن العضوية في عصبة الأمم من شأنها أن تحرر الأمة من هيمنة القوى الإستعمارية الثلاثة المحيطة بها (إيطاليا – فرنسا – بريطانيا) و تفتح أمامها بلدانا أخرى مثل الولايات المتحدة التي تزداد قوة على نحو متزايد ، و مع ذلك كان فيت يعارض وجهة نظره العالمية مثله مثل هابتي جورجيس الذي كان يكره بشدة العلاقات الأجنبية وكان يؤمن بحصن إثيوبيا. وعندما اختارت الإمبراطورة الإنضمام لعصبة الأمم أثناء أزمة في أغسطس ١٩١٩م نمت مكانة تافاري السياسية ، فضلا عن تحسن موقفه إثر إلقائه القبض على ليج إياسو في تيغراي وفي يناير ١٩٢١م .

مع ذلك ، افتقر الرأس تافاري إلى القوة الساحقة اللازمة لفرض الإصلاحات على مستوى البلاد وإبقاء الإمبرياليين في مأزق ، فبالنسبة له

كانت العضوية في عصبة الأمم التي من شأنها أن توفر لإثيوبيا سيادة ضرورية غير متنازع عليها بموجب القانون الدولي .[٩٥]

كانت بريطانيا تعتقد أن الدولة الإثيوبية القوية التي تمتلك إمدادات موثوقة من الأسلحة الحديثة قد تكون قادرة على السيطرة على حدودها ، فوافقت إلى جانب فرنسا و إيطاليا (بعدما تعرضت لضغوط بريطانية و فرنسية لإعادة النظر) على رفع الحظر على دخول الأسلحة إلى إثيوبيا القائم منذ بداية الحرب العالمية الأولى حتى عام ١٩٣٠م عندما أعلنت أديس أبابا أن المشتريات سوف تقتصر سنويًا على ٣٠٠ ألف إلى ٤٠٠ ألف جنيه إسترليني تنفق في الغالب على البنادق والأسلحة السريعة النيران وقطع الميدان الخفيفة والمركبات المدرعة حيث كانت مهتمة فقط بالأمن الداخلي، ولن تهدد مشترياتها المستعمرات المجاورة .

كانت معاهدة الأسلحة الجديدة التي تم توقيعها في ٢١ أغسطس ١٩٣٠م انتصارًا لإثيوبيا التي تعاملت معها القوى الإستعمارية الثلاثة لأول مرة كدولة ذات سيادة كاملة تمارس سلطتها بحرية لضمان الهدوء الداخلي ، ما دفع الإمبراطور إلى نشر الحرية الدينية في البلاد و لكنه فشل حيث أراد تعيين رئيس أساقفة محلي قبل أن يرغم على إختيار مطران مصري عندما وافق مقر القديس مرقس على تكريس خمسة أساقفة إثيوبيين للخدمة في المقاطعات ، لكنه كان أكثر نجاحًا عندما حاول تحقيق سيطرة الدولة المركزية على عملة إثيوبيا الرسمية ، ففي عام ١٩٢٩م ، عانى الاقتصاد مرة أخرى عندما هبطت قيمة ريال ماريا تيريزا

[٩٥] رغم إنضمام إثيوبيا إلى عصبة الأمم إلا أن هذه المنظمة الدولية لم تحرك ساكنا إثر سقوط الأولى بيد الإستعمار الإيطالي عام ١٩٣٦م بتواطؤ بريطاني – فرنسي مشترك (المترجم) .

مع انخفاض سعر الفضة على المستوى الدولي و إنتشار الكساد الإقتصادي الكبير في إنحاء العالم إثر إنهيار بورصة نيويورك عام ١٩٢٨م ، و لإنهاء هذا النوع من العملات الذي كان له قيمة جوهرية متغيرة قرر هيلا سيلاسي تحويل بنك الحبشة و هو مؤسسة خاصة مرخصة من الحكومة إلى بنك حكومي يصدر العملة ، و رغم أن البنك كان في حالة احتضار إلى حد كبير بعد استنفاد رأس المال فيه فلقد أصرت الشركة القابضة للبنك – البنك الوطني المصري – على سعر بيع قدره ١٩٠ ألف جنيه إسترليني ، ما دفع الإمبراطور إلى إفراغ جيوبه الخاصة و تنظيف خزانته الملكية كي يدفع الثمن على قسطين في الوقت المناسب لفتح بنك إثيوبيا الجديد للعمل في الأول من يوليو ١٩٣١م ، وأخيرًا، بدأ هيلا سيلاسي في تنظيم الأنشطة الأجنبية من خلال فرض تأشيرات الدخول على الزوار .

كان الإمبراطور حريصاً على تسجيل الشركات التجارية العاملة في إثيوبيا، وإصدار التراخيص لجميع المحامين الذين يمثلون أمام المحكمة الخاصة التي تتولى القضايا بين المواطنين والأجانب ، و كان متشدداً بشكل خاص في الإصرار على اختصاص المحاكم الإثيوبية على الرغم من إصرار القوى الإستعمارية الثلاثة بعناد على أن المادة المترجمة بشكل خاطئ في المعاهدة التجارية الفرنسية الإثيوبية (كلوبوكوفسكي) لعام ١٩٠٨م تمنحها حقوق الإستسلام حيث كانت المحكمة الخاصة بالأجانب تسعى دائمًا إلى استيعاب عملائها الأوروبيين، لكنها عملت كمؤسسة إثيوبية مما تسبب في ضائقة كبيرة للقنصليات المتغطرسة التي كان

أعضاؤها العنصريون يستمتعون بوصف قانون الحكومة بأنه وحشي وبدائي ، وفي الوقت نفسه، عمل الإمبراطور على إصلاح الحكومة حيث بشر تعيينه رأس كاسا في بيجمدير بعلاقة جديدة بين الملك وعملائه رغم تولي تافاري سلطة تسمية عمدة ورئيس التجار في جوندر ، أدت مسؤولياتهم عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية إلى تقليص استقلالية مكتب الحاكم بشكل كبير .

عكس قبول كاسا لمنصب ثانوي قناعته – لا تقل عن قناعة هيلا سيلاسي – بأن المسؤولين الإثيوبيين يجب أن يضعوا احتياجات أديس أبابا قبل الطموحات الشخصية في عملية بناء دولة حديثة ، و كان تتويج الإمبراطور في نوفمبر ١٩٣٠م مصممًا للإعلان عن تقدم نظامه الإداري الجديد ، فقرر أن يجعل الحدث بمثابة ظهور لأول مرة للدولة المتجددة التي ترأسها مرارا و تكرارا ، لقد إتخذ هذا القرار في وقت الأزمة الاقتصادية عندما ظلت معظم برامج الحكومة غير مكتملة أو لم تبدأ بعد مما يعكس إيمان الإمبراطور بمصيره وقدرة شعبه.

تولى هيلا سيلاسي مسؤولية الاستعدادات و الإشراف على الأشغال العامة و المساعدة في تصميم ثياب التتويج ورموز الدولة والزي الرسمي وجمع "التبرعات" من النبلاء والتجار نحو ٣٠٠ ألف جنيه إسترليني المقدرة والتي سيكلفها الاحتفال الذي يستمر أسبوعًا كاملاً ، و لقد تم إنجاز الجزء الأعظم من العمل في شهري سبتمبر/أيلول وأكتوبر/تشرين الأول عندما بدأت الأنشطة تتزايد في انتظار وصول الآلاف من الضيوف والزوار الرسميين ، و لقد تحولت المدينة إلى مهرجان كرنفالي ملفت

للنظر ، و لكن الأكثر إثارة للدهشة كان التحول الذي طرأ على الشرطة والحرس الإمبراطوري الذين خلعوا ملابسهم الممزقة وظهروا مرتدين زياً جديداً أنيقاً من اللون الكاكي ، وك انت المعجزات في كل مكان ، فقد ارتفعت أقواس النصر على الطرق الرئيسية ، و ظهرت فجأة خطوط الكهرباء ، و تم تركيب الهواتف في مواقع استراتيجية ، و تم تسوية الشوارع ورصفها بين عشية وضحاها، وفي بعض الحالات تم وضع الأرصفة الجديدة لها .

وفي الساعة العاشرة صباحاً ، وبعد الكثير من الصلاة والقراءة من الكتاب المقدس، توج هيلا سيلاسي، ثم نصب ولي العهد والإمبراطورة والعائلة المالكة ، و في نهاية الحفل ، عزفت فرقة بحرية بريطانية زائرة النشيد الوطني الذي تم تأليفه حديثاً، وأطلقت مائة وواحدة طلقات تحية ، وأدى رجال إثيوبيا العظماء طقوس الخضوع الرسمية ، و بعد ذلك صعد الإمبراطور والإمبراطورة حديثي التنصيب إلى عربة الدولة في رحلة طولها ميلين عبر أديس أبابا لإظهار أنفسهما للشعب قبل أن يأخذا قسطاً من الراحة المستحقة ، و قضيا الأسبوع التالي في المناسبات الاحتفالية والأعياد والاستقبالات ، و في السابع من ديسمبر/كانون الأول، حضرت جماهير المدينة استعراضاً عسكرياً ضخماً أقيم في ساحة العرض الإمبراطورية ، و ترأس الإمبراطور الذي كان يرتدي زياً عسكريا رائعاً برتبة مشير بكل سعادة مرور عشرات الآلاف من المحاربين الإثيوبيين عبر الجناح الذي جلس فيه هو وضيوفه الأجانب ، من وقت لآخر، كان أحد الضباط يهرع نحو الإمبراطور ويصيح أو يتظاهر بمآثره الشجاعة ضد

الوحـوش البريـة أو الأعـداء بينمـا يعلـن فـي الوقـت نفسـه ولاؤه المطلـق حيـث كـان الثنـاء علـى الـذات الملكيـة باللغـة الأمهريـة و هـو مـا كـان مـن حسـن مبعـوث رومـا الـذي شـهد جثـامين العديـد مـن الرجـال الأكبـر سـناً عـدد الأوروبيـين عامـة و الإيطـاليين خاصـة الـذين قتلـوا خـلال حـرب ١٨٩٤-١٨٩٦م و هـم يـوارون الثـرى فـي مقـابر الأجانـب بالعاصـمة ، ومـع ذلـك، فقـد وجـد الإيطـاليون عـزاءهم فـي رؤيـة كتيبـة واحـدة ضـخمة مـن القـوات الحديثـة تسـير أمـامهم مسـلحة بالبنـادق الحديثـة والرشاشـات الخفيفـة ومـدافع الهـاوتزر الجبليـة مشـيرين لأنفسـهم و زيهـم الكـاكي إلـى التـزام الإمبراطـور بـالتغيير و الـذي كـان إظهـاره أحـد أهـداف التتـويج ، فلقـد كانـت المراسـيم و الأحـداث الملكيـة عصـرية الطـابع بشـكل لا لـبس فيـه علـى الـرغم مـن أنهـا إثيوبيـة فـي التنفيـذ و ترمـز إلـى المـزيج الـذي سـعى هـيلا سيلاسـي إلـى صـقله مـن خـلال إدارتـه المحنكـة للـبلاد حيـث أظهـر الانتهـاء النـاجح مـن التتـويج قـدرة الحكومـة علـى تعبئـة وتنظـيم سـكانها ومواردهـا.

أصـبح نظـام أديـس أبابـا موثوقًـا بـه لـدى الأوروبيـين الـذين كـان حضـورهم فـي التتـويج دلـيلاً كافيـاً للإثيـوبيين علـى أن العـالم يعتـرف بسـيادة دولـتهم و اسـتقلالها ، و بالتـالي تأكيـد صـحة السياسـة الخارجيـة التـي تبناهـا هـيلا سيلاسـي منـذ عـام ١٩١٨م حيـث كـان الإمبراطـور سـريعًا فـي اسـتغلال مكانتـه الجديـدة مـن خـلال إصـلاح حكومتـه ، فلقـد اسـتبدل عـدداً مـن الإداريـين مـن الطـراز القـديم بكـوادر إثيوبيـة شـابة حيـث أصـبح مـاكونين هـابتي ولـدي (١٨٩٥-١٩٦٠م) مـديراً عامـاً فـي وزارة الماليـة تحـت قيـادة رجـل مـتعلم آخـر و هـو بيجيرونـد تيكلـي ولـدي هاواريـات (١٩٠٠-١٩٦٩م) أمـا مـدير وزارة الحربيـة ، فقـد عـيَّن هـيلا سيلاسـي الـدجال نسـيبو

زمانويـــل (ت. ١٩٣٦م) و الــذي كثيــراً مــا تعــرض للهجــوم باعتبــاره غيــر إثيــوبي لأنــه كــان كاثوليكيــاً تلقــى تعليمــه فــي بعثــة تبشــيرية و يتحــدث الإيطاليــة والفرنســية بطلاقــة و يرتــدي ملابــس و زيــاً رســمياً أوروبيــاً عصــرياً ، و مــع ذلــك ، لــم يكــن الإمبراطــور يهــتم إلا بكفاءتــه وحماســه الإصــلاحي ، وعلــى النقــيض مــن هــذا ، كــان بلاتينجيتــا هيــروي وولــدي سيلاســي (١٨٧٨-١٩٣٨)، وزيــر الخارجيــة الجديــد ، وهــو مثقــف اجتمــاعي قضــى حياتــه فــي خدمــة الإمبراطــور. ولقــد كــان تقدمــه نــذيراً بتطــور كبيــر فــي العلاقــات الدوليــة لإثيوبيــا، حيــث وظــف الإمبراطــور مستشــاراً مــؤهلاً تــأهيلاً جيــداً وفــوض ممــثلاً لهــا فــي لنــدن وبــاريس ورومــا. وكانــت العلاقــات الخارجيــة الأكثــر تعقيــداً تتطلــب حــل قضــية العبوديــة المزعجــة. فعــين هــيلا سيلاســي ابــن أخيــه فــي الإدارة التــي تشــكلت حــديثاً فــي مــاجي وجولــديا، المتاخمــة لكــل مــن كينيــا والســودان. وكانــت غــارات الرقيــق الشرســة فــي المنطقــة قــد امتــدت عبــر الحــدود، ممــا أثــار اســتياء جيــل مــن المســؤولين الاســتعماريين. وباختيــار قريــب مقــرب كحــاكم، أشــار الإمبراطــور إلــى التجديــد الوشــيك للســلطة الإثيوبيــة فــي المنــاطق الحدوديــة. وفــي الســادس عشــر مــن يوليــو/تمــوز ١٩٣١، تــوج هــيلا سيلاســي إصــلاحاته بإصــدار دســتور علــى الطــراز اليابــاني، والــذي كــرس فــي مــواده الخمــس والخمســين حكــم القــانون مــع الاعتــراف بالســلطة النهائيــة للإمبراطــور فــي تفــويض الســلطة إلــى مؤسســات أخــرى مثــل البرلمــان المكــون مــن مجلســين ، و بعــد أن وقــع هــيلا سيلاســي علــى المســودة أضــاف ممثلــو الطبقــات الحاكمــة فــي الــبلاد تأييــدهم لــه ، فلــم يســبق لملــك أثيــوبي مــن قبــل أن نجــح فــي تحقيــق مثــل هــذا الإجمــاع الــوطني الواســع و هــو موضــوع الوحــدة الــذي ذكــره الإمبراطــور كثيــراً

في خطابه الذي افتتح به مسودة الدستور على الرغم من كل المشاكل التي شابتها وتأكيداتها على الصلاحيات الإمبراطورية المطلقة ، فقد كان الدستور بياناً تقدمياً أرسى إطاراً لحكومة حديثة حيث أكد هيلا سيلاسي على هذا الموضوع وعلى الحاجة إلى الوحدة الوطنية في الثالث من نوفمبر/تشرين الثاني من عام **١٩٣١**م عندما ترأس الإفتتاح الرسمي للبرلمان .

لقد أعطى إضفاء الطابع المؤسسي على الحكومة الوطنية الحديثة الإمبراطور السلطة للتحرك ضد أحد المفارقات التاريخية البارزة ، و هو أبا جيفار الثاني ملك ليما الذ ضمن منليك استقلاله في عام **١٨٨٤**م مقابل جزية سنوية حيث نفذ صبر حكومة هيلا سيلاسي معه ، ففي الثاني عشر من مايو/أيار غزت القوات الإمبراطورية إقليم ليما المذكور سلفا ، وفي يوليو/تموز **١٩٣٢**م ، عُيِّن صهر الإمبراطور، رأس ديستا ديمتيو حاكماً عسكريا عليها إلى جانب أبا جيفار الحاكم الرسمي لها ، و بعد سقوطه جاء رأس هيلو من غوجام الذي حقق نجاحاً عظيماً في الاقتصاد الوطني الجديد .

ولم يكن سيلاسي يستثمر بذكاء في العقارات في العاصمة فحسب بل كان هو وعائلته يسيطرون أيضاً على اقتصاد غوجام ، فضلاً عن أنه استغل استقلاله الإداري من خلال التفاوض بشكل مستقل مع الإيطاليين الذين أصبحوا يعتقدون أن رأسا إثيوبيا يمكن شراؤه حيث كانت روما على استعداد دائم لإضعاف الحكومة الوطنية بشتى الوسائل ، و بدأ الإمبراطور ينظر إلى هايلو على نحو متزايد باعتباره خطراً أمنياً عليه ، و

باعتباره عدواً مفترضاً للدولة أصبح الرأس ضحية يجب أن يسلب منه آخر دولار لديه حيث احتجزه الإمبراطور في العاصمة بعد التتويج ، لذا لم يكن بوسع هايلو أن يفعل الكثير لإنقاذ نفسه ، و كانت سياسات هايلو الاقتصادية قد أدت إلى نفور العديد من غوجام ، وجاء عدد منهم إلى أديس أبابا للتعبير عن انتقاداتهم والسعي إلى التدخل الإمبراطوري ، و ليس من المستغرب أن يقف هيلا سيلاسي إلى جانب المدعين و يغرم الرأس عشرات الآلاف من الدولارات بسبب سوء الإدارة ، في إحدى الحالات البارزة في أبريل ١٩٣٢م ، فرض الإمبراطور عليه غرامة قدرها ٣٠٠ ألف دولار تايواني و جرده أيضًا من نصف غوجام ، و بينما كان حراً طليقًا، خطط هايلو لمؤامرة لتحرير ليج ياسو ، و لكن في عام ١٩٣٢م ، كان هايلي سيلاسي يتمتع بسيادة مطلقة في إثيوبيا. فقد نجح في بناء حكومة مركزية تعتمد كلياً على التاج في السياسة والتوجيه. وكان رجاله في المقاطعات ينفذون السياسة الإمبراطورية، بدعم من جيش وقوة جوية متزايدة الفعالية .

كان الإيطاليون معه، مقدرين الرخاء الذي ضمنه لهم بناء أمته، لكنهم كانوا غير مرتاحين لتحفظه، الذي استخدمه الإمبراطور كسلاح سياسي ، فلقد سمح له التحفظ بالمناورة بين الفصائل المتنافسة والحكم بشكل غير مباشر من خلال عدد قليل من الأتباع المختارين جيدًا ،كما سيطر على تدفق المعلومات من خلال حجب الأخبار، والتلاعب بالتقارير، أو تشويه الحقيقة حيث كان بإمكانه بسهولة الاستجابة لوابل من التصرفات

المختلفة الناجمة عن سلوكه أن يختار جانبًا منها دون الآخر ، و أن يخلق و يحل سلسلة من التحالفات المتغيرة طوال الوقت .

خلال فترة (١٩٣١-١٩٣٤م) حافظ هيلا سيلاسي على نفسه كمصدر وحيد للسلطة في البلاد و فعالًا بما يكفي، كما لاحظ غالبية الإيطاليين قيادة إمبراطوريته المتخلفة إلى الحداثة والشرعية الدولية ، فضلا عن أن الإمبراطور كان مشغولًا بتنفيذ مخططات تنبئ بجدار للمستقبل شملت هناك زوبعة من النشاطات المختلفة على كافة الأصعدة حيث بدأت المشاريع والخطط في التنفيذ فيما يتصل بالطرق والمدارس والمستشفيات والاتصالات والإدارة والخدمات العامة رغم موارد إثيوبيا المحدودة والقوى العاملة المتعلمة، إلا أن هذه المشاريع السالفة الذكر كان ممولة في الغالب من القطاع الخاص ، فلقد استفاد الإمبراطور و العائلة المالكة والأرستقراطية والبرجوازية الوطنية والأجنبية جميعاً من الاستثمارات في شركات النقل أو اتحادات بناء الطرق ذات الرسوم الجمركية ، و بحلول منتصف عام ١٩٣٤م ، كان طريق أديس أبابا-جيما قد عبر نهر أومو ، و تم الانتهاء من طريق هرر-جقجقة و طريق موجو-سيدامو الذي تم تمديده إلى ميجا ، لقد كانت الحكومة تضع شبكة استراتيجية من المسارات في أوغادين؛ وأكمل رأس ديستا ديمتيو المسارات الوعرة من سيدامو إلى مويالي عبر ميجا، ما جعل من الممكن للشاحنات السفر من أديس أبابا إلى نيروبي.

كان التأثير المشترك لهذه المشاريع هو فتح أبواب البلاد للاقتصاد العالمي ، فبحلول عام ١٩٣٢م ، كانت العائدات تتدفق على أديس أبابا

من الضرائب المفروضة على الصادرات على خمسة وعشرين ألف طن من البن أي ثلاثة أمثال الكمية التي تم شحنها في عام ١٩٢٨م ، ولكن في ظل الكساد لم تزد إلا بمقدار الثلث من حيث القيمة النقدية من المكاتب الإقليمية التي افتتحت حديثًا لوزارة المالية و من محطات الجمارك التي أعيد تنظيمها والتي طبقت تعريفات جديدة أعلى ، و استجابة للاقتصاد الوطني المتنامي، استبدلت الحكومة دولار ماريا تيريزا[٩٦] بالعملة الورقية والعملات المعدنية التي أصدرها بنك إثيوبيا ، ولأن القطاع الحديث كان يقع إلى حد كبير في المدن فقد تمكنت الحكومة من إجبار التجار على استخدام هذه الأموال ، وفي سبتمبر/أيلول ١٩٣٣م ، حظر البنك الجديد الاستيراد والتصدير الخاصين لدولارات ماريا تيريزا مما أدى في النهاية إلى تحرير إثيوبيا من سوق الفضة الدولية ، و منذ ذلك الحين عندما تغيرت قيمة الفضة، أصبح بوسع بنك إثيوبيا أن يغير متطلبات احتياطي النقد الأجنبي ويبيع فائضه من الدولارات مقابل النقد الأجنبي ، و بفضل هذه السيطرة المحكمة على موارده المالية ، أصبح بوسع البنك أن يجمع الأموال لتغطية احتياجات الحكومة في الأمد القريب من خلال إصدار السندات وغيرها من الأوراق المالية مقابل إحتياطياته المصرفية بعدما ساعدت الإصلاحات المالية الحكومة في تمويل و تحديث جيشها النظامي .

[٩٦] ما زال المؤلف يصر خطأ على تسمية ريال ماريا تريزا بإسم دولار ماريا تيريزا و لا نعرف ما السبب رغم أن هذه العملة نمساوية الأصل و تعني عملة ماريا تيريزا الملكية باللغة الإسبانية لأنها كانت تصدر عبر دار سك ملكية في فيينا منذ عهد الملكة ماريا تيريزا (١٧٤٠-١٧٨٠م) (المترجم) .

في عام ١٩٣٢م ، أبلغت أديس أبابا القوى الثلاثة بأنها ستشتري ما قيمته ١٥٠ ألف جنيه إسترليني من المدافع الرشاشة والبنادق والذخيرة ، ومع ذلك، أزعج هذا المبلغ الضئيل الإيطاليين الذين كانوا بالفعل منزعجين من التدريب العسكري الحديث الجاري في أديس أبابا وغيرها من المدن الأخرى ، و بحلول أوائل عام ١٩٣٣م ، أعدت بعثة بلجيكية حرسًا إمبراطوريًا يضم ٢٢٥٠ رجلاً للانتشار السريع في قوة سرية إلى غوجام وغيرها من مناطق الاضطرابات ، و في وقت لاحق من ذلك العام ، غادر أول ضابطين إثيوبيين مدربين في سان سير وثلاثة من البلجيكيين وأربعة عشر ضابطًا غير مفوض من الحرس الإمبراطوري إلى مصب نهر جوبا في بيل لتدريب قوة أمن داخلي للانتشار على طول الحدود الإثيوبية – الصومالية .

اشتكى الملحق العسكري لروما في أديس أبابا من أن المركز العسكري الجديد الذي يبعد ٢٣٠ ميلاً عن أقرب نقطة استيطانية إيطالية يهدد الصومال ، و للاستهلاك المحلي بالغ في تقدير استعداد إثيوبيا للمعركة وأسلحتها وتدريبها ، و في الواقع، بحلول سبتمبر/أيلول ١٩٣٤م – قبل شهرين من بدء الأزمة مع إيطاليا ــ لم يكن قد تم تدريب وتجهيز سوى ثلاثة آلاف جندي للحرب الحديثة و لم يأت خمسة ضباط سويديون لافتتاح أكاديمية عسكرية إلا في ديسمبر/كانون الأول الماضي ، و بعد عام ١٩٣١م ، عمل الإيطاليون على خلق بيئة قد تمكنهم من تدمير استقلال إثيوبيا ، و قد ساعدت حكومة أديس أبابا عن غير قصد في ذلك من خلال رفع الرسوم الجمركية بشكل حاد على الواردات الفاخرة

من الكماليات والتي كان أغلبها من فرنسا ، و على الفور بدأت السلطات الفرنسية في إعادة النظر في علاقات فرنسا بإثيوبيا و خلصت إلى أنه ربما حان الوقت لنقل مصالحها هناك إلى الإيطاليين ، و كانت روما تمتلك الموارد اللازمة للمساعدة في بناء إثيوبيا الحديثة ، و كان الفرنسيون يأملون في أن يؤدي هذا التدخل إلى تبديد الطاقات القومية الإيطالية دون ضرر لهم و تشتيت انتباه موسوليني عن المؤامرات وعدم اليقين في سياسات القوى العظمى الأوروبية ، و لم يكن لفرنسا أي مصلحة حيوية في منطقة القرن الأفريقي [٩٧]، باستثناء خط السكة الحديدية حيث استنتجت باريس أن إيطاليا قد تحصل على حرية التصرف في إثيوبيا في مقابل تنازلات مهمة لها في تونس بعدما مارست روما ولاية قضائية خارج الإقليم مزعجة على الرعايا الإيطاليين هناك ، وطوال عام ١٩٣١م ، بدأت العلاقات الودية بين فرنسا وإثيوبيا في البرودة مما أثار قلق الإمبراطور نفسه ، و في أوائل عام ١٩٣٢م ، رفضت باريس جهوده لتحسين الوضع ، و أوضحت لوزيرها في أديس أبابا أنه لا يمكن السماح بأي شيء من شأنه أن يعطل علاقات فرنسا الأوروبية ، في حين كانت فرنسا في طور التخلي عن إثيوبيا لصالح موسوليني [٩٨]، كان هيلا سيلاسي يواجه إيطاليا بإصدار أوامر لجيشه بالتحرك إلى أوغادين لمواجهة التسلل من الصومال ، و في وقت مبكر

---

[٩٧] هذه المعلومة تؤكد عدم فهم المؤلف لإهمية القرن الإفريقي و لاسيما جيبوتي بالنسبة لفرنسا تماما حيث تطل على مضيق باب المندب من ناحية الغرب و على مستعمراتها الواقعة في اليمن و لاسيما مستعمرتي الشيخ سعيد و المفرق التابعتان لمحافظة تعز و المجاورتان لمستعمرة عدن البريطانية آنذاك (المترجم) .

[٩٨] الذي تخلى عن إثيوبيا لصالح موسوليني هي بريطانيا و ليست فرنسا كما زعم المؤلف و لكن من وراء الكواليس ، لأن بريطانيا كانت تخاف من إزدياد قوة إثيوبيا العسكرية أكثر من ذي قبل مما يهدد مستعمراتها في الصومال البريطاني و كينيا و السودان و خطها الإستعماري الطويل الممتد من القاهرة إلى كيب تاون (المترجم) .

من عام ١٩٢٥م ، سيطر الإيطاليون على خط من ينابيع المياه الاستراتيجية التي حددتها مستوطنات جيريجوبي، وويلويل، ووأردر، و جيلادي ، و بحلول أواخر أكتوبر/تشرين الأول ١٩٢٦م ، أصبح انتظام الدوريات الإيطالية من هذه الأماكن واضحًا وأثار احتجاجًا إثيوبيًا ، في يونيو/حزيران ١٩٢٧م ، أرسلت أديس أبابا بعثة دبلوماسية إلى المنطقة قبل أن يتم استدعاؤها لاحقًا عندما بدأت المحادثات بشأن المعاهدة الإيطالية الإثيوبية لعام ١٩٢٨م حيث رفض موسوليني النظر في أي إشارات نصية لترسيم الحدود بين الصومال وإثيوبيا لأنه كان يأمل في إضافة المزيد من الممتلكات الإيطالية. وبحلول عام ١٩٣٢م ، كان التقدم كبيرًا حتى أن الإيطاليين بنوا طريقًا من دانوت إلى جيلادي فوق تضاريس لا تتطابق مع الخرائط المعاصرة .

كان من المحتم أن تقع مواجهة بين القوات الإمبراطورية و الإيطالية حيث كانت القوات الإمبراطورية تهدف إلى إقامة حكومة على جميع المستويات و فتح مكاتب إدارية وأسواق في جميع حفر المياه والآبار المهمة و بناء الطرق و خاصة بين جيجيجا وديجه بور وكوراهي ، و في أوائل عام ١٩٣٤م ، اقترب الإثيوبيون من البؤر الاستيطانية الإيطالية ، مما أثار احتجاجًا بأن القوات الإمبراطورية قد تعدت على الأراضي الإيطالية على الرغم من رفض روما تحديد مدى ممتلكاتها حيث قرر الإمبراطور بالتالي استخدام ترسيم الحدود الأنجلو إثيوبية الوشيك للكشف عن مدى التسلل الإيطالي إلى الأراضي ذات السيادة السليمانية ، فلقد نصت المادة ٤ من المعاهدة الإيطالية الإثيوبية المؤرخة ١٦ مايو

١٩٠٨م علـى أن الأراضـي التـي يسـكنها بشـكل أساسـي العشـائر المهيمنـة علـى السـاحل يجـب أن تقـع ضـمن سـيادة مقديشـو والتـي وفقًـا للاتفاقيـة الإيطاليـة الإثيوبيـة المتنـازع عليهـا لاحقًـا لعـام ١٨٩٧م تتبـع خطًـا لا يزيـد عـن ١٣٠ مـيلًا فـي الـداخل ، و علـى هـذا فـلا يمكـن بـأي حـال مـن الأحوال اعتبار واردر و ويلويل أراضي إيطالية .

كـان البريطـانيون علـى علـم تـام بـالنزاع وكـانوا مهتمـين بمعرفـة مـدى الاختـراق الإيطـالي، ولكـن لـيس علـى حسـاب خـلاف كبيـر مـع رومـا ، و فـي ٢٢-٢٣ نـوفمبر/تشـرين الثـاني ١٩٣٤م ، وصـل فريـق ترسـيم الحـدود الأنجلـو إثيـوبي إلـى ويلويـل وعسـكر بـالقرب مـن المحـيط الإيطـالي قريبـا مـن الآبـار ، و اشـتكى القائـد الإيطـالي مـن أن وصـول اللجنـة كـان مفاجـأة كاملـة و رفـض التعامـل مـع الإثيـوبيين علـى قـدم المسـاواة ، و فـي ذلـك المسـاء، عنـدما حلقـت طائرتـان إيطاليتـان فـوق معسـكرات البعثـة ، قـرر البريطـانيون الانسـحاب شـمالاً غربـاً إلـى أدو والإثيـوبيين للتحصـين ، و نشـبت حـرب أعصـاب حيـث كـان الجانبـان يصـرخان بالشـتائم والتهديـدات حتـى هـاجم الإيطـاليون الـذين كـانوا يتصـرفون علـى مـا يبـدو بنـاءً علـى أوامـر عليـا بعـد ظهـر يـوم ٥ ديسـمبر/كـانون الأول ، و بعـد يـومين مـن القتـال ضـد الطـائرات والسـيارات المدرعـة ــ الإنسـان ضـد الآلـة، وهـو موضـوع الحـرب اللاحقـة ــ هُـزم الإثيوبيـون و تكبـدوا العديـد مـن الخسـائر وانسـحب النـاجون ، علـى إثـر تلـك الحادثـة فـي سـبتمبر/أيلـول ١٩٣٤م قـرر موسـوليني الاسـتيلاء علـى إثيوبيـا، لـذا فقـد وفـرت حادثـة ويلويـل أساسـاً ممتـازاً لمزيـد مـن التحـرك و إن كـان مـن غيـر المؤكـد مـا إذا كـان الإيطـاليون يريـدون الحـرب آنـذاك أم لا

وعلى الفور، دعت إثيوبيا إلى التحكيم وفقاً لمعاهدة عام ١٩٢٨م ، و هو ما رفضته روما بحجة غير عقلانية مفادها أن عدوان إثيوبيا يجعل المادة الرابعة غير ذات جدوى ، و عندما أصرت إيطاليا على عدد من الشروط المهينة لحل المسألة ، لجأ هيلا سيلاسي إلى عصبة الأمم ، متذمراً من أن القوات الإيطالية ليس لها الحق في التواجد داخل حدود إثيوبيا ، و منذ بداية الأزمة تقريباً ، كانت هناك فرصة ضئيلة للتوصل إلى تسوية سلمية ، و ذلك لأن موسوليني قرر في ديسمبر/كانون الأول شن الحرب باعتباره تهديداً لأمن إيطاليا .

كان موسوليني يرى أن أفضل السبل لتدمير التهديد المحتمل الذي تشكله إثيوبيا هي استخدام القوة ، و في رأيه، كان لزاماً على إيطاليا أن تتحرك قبل منتصف عام ١٩٣٧م حينما تستعيد ألمانيا قوتها الكافية لتولي زمام المبادرة في أوروبا ، و لكن كان لزاماً على إيطاليا في المقام الأول أن تسعى إلى الحصول على حياد فرنسا في أي مغامرة في منطقة القرن الأفريقي ، و خلال السنوات القليلة الماضية ، كانت باريس تشير إلى استعدادها للتفاوض بشأن إثيوبيا ، و كانت هناك بعض المناقشات الأولية والاتفاق من حيث المبدأ ، الأمر الذي سمح لرئيس الوزراء بيير لافال وموسوليني بإبرام اتفاق رسمي في السابع من يناير/كانون الثاني ١٩٣٥م و الذي اعترف بعدم اهتمام فرنسا بإثيوبيا ــ الحرية التي سعى إليها الإيطاليون منذ فترة طويلة ــ مقابل التخلي عن حقوق روما في التعامل مع رعاياها في تونس وإقامة تحالف عسكري مؤقت في حالة تحرك هتلر ضد النمسا .

الغزو الإيطالي لإثيوبيا :

في من يناير/كانون الثاني ١٩٣٥م ، لم يكن بوسع أي من القوى الأخرى سواء بمفردها أو مجتمعة أن تمنع إيطاليا من شن حربها على إثيوبيا ، و لكن أغلب المراقبين لم يتوقعوا هذا الاحتمال لأنهم استنتجوا أن إثيوبيا سوف تقدم تنازلات بدلاً من محاربة قوة أوروبية كبرى ، و لم يكونوا يجهلون رفض إثيوبيا التاريخي للتخلي عن استقلالها فحسب ، بل كانوا أيضاً عنصريين في الأغلب الأعم ، و اعتبروا السود غير أكفاء وغير مسؤولين ، و لم يأخذوا في الحسبان العمود الفقري الفولاذي لهايلي سيلاسي ومواطنيه الذين كانت مواقفهم المعادية لإيطاليا راسخة ، وفي الوقت نفسه ، كانت روما تستدعي قواتها وتستعد للحرب، في حين كانت تعلن في الوقت نفسه عن نواياها السلمية ، و لكن في أديس أبابا قاوم الإمبراطور الأدلة المتزايدة على ذلك ، فلم يكن لديه المال الكافي، ولا الأسلحة و لا القوات المدربة الكافية لاحتواء قوة حديثة ، صحيح أنه كان بوسعه أن يستدعي قوة إثيوبية تقليدية تتألف من خمسمائة ألف رجل، ولكن مثل هذا التعبئة كان بمثابة عمل من أعمال الهزيمة ، كما أدرك الإمبراطور ، فلم يعد بوسعه أن يعتمد على فرنسا التي منعت في مارس/آذار ١٩٣٥م شحن المواد الحربية من جيبوتي على النقيض من كل المعاهدات ذات الصلة ، و كان خياره الوحيد هو الاستمرار في الثقة في وعد عصبة الأمم بالأمن الجماعي ، و في جنيف ، اتهم الإثيوبيون إيطاليا باستخدام حادث صغير كذريعة لشن الحرب ، و رفضت روما كل الاتهامات ، و كسياسة عامة ، كذبت وتظاهرت

بالكذب، وسعت مراراً وتكراراً إلى تأجيل كل المناقشات ، و ببطء ، أدركت الحكومة الإثيوبية أن الإيطاليين سوف يستخدمون إجراءات عصبة الأمم التي تستغرق وقتاً طويلاً كغطاء مناسب للتحضير للحرب ، و من السذاجة أن نقول إن عصبة الأمم تعمل ضد مصالح إثيوبيا حيث حاولت القوى الكبرى في المجلس فرض تنازلات مهينة على إثيوبيا حتى تتمكن إيطاليا المسترضية من تلبية احتياجات السياسة القارية ، فلم تفهم فرنسا ولا بريطانيا أن التكيف مع موسوليني بعد نقطة معينة من شأنه أن يؤدي إلى تفاقم التوترات بين الجانبين .

كان من شأن هزيمة عصبة الأمم أن تدمر مصداقية العصبة، و إمكانية تحقيق الأمن الجماعي، وتوازن القوى في أوروبا ، و قد أصبح الدمار واضحاً في اجتماع عقد في ستريزا في أبريل/نيسان ١٩٣٥م ، و كان للمؤتمر هدفان: إعادة ألمانيا إلى الشرعية ، و إظهار التضامن بين بريطانيا وإيطاليا وفرنسا في الشؤون الأوروبية ، و لم يكن ستريزا مهتماً على الإطلاق بتفاصيل العالم أو حتى بالأزمة المتنامية في منطقة القرن الأفريقي، الأمر الذي أثار دهشة موسوليني إلى حد كبير ، فقد سأل المندوب الإيطالي مرتين ما إذا كان البيان الختامي بشأن الأمن الجماعي وحرمة المعاهدات ينطبق على أوروبا وحدها حيث كان الصمت بمثابة إشارة إلى أن إيطاليا قد تخوض الحرب و هي محصنة بمؤخرة أوروبية، الأمر الذي سمح لروما بأن تصبح أكثر عدوانية في مايو/أيار ، عندما حظرت القوى الكبرى بيع الأسلحة إلى الأطراف المتحاربة ، و هو الإجراء الذي أضر بإثيوبيا فقط في أديس أبابا ، ظل الإمبراطور هادئاً

وهـو يخطـط لحـرب لا يمكـن الفـوز بهـا ، أينمـا ذهـب ، طالـب ضباطه بالأسـلحة والـذخائر والطعـام والسـيارات المدرعـة والوقـود وأي شـيء لاسـتخدامه ضـد العـدو ، لقـد وزع القليـل الـذي كـان لديـه ، لكنـه و جنرالاتـه الأكثـر واقعيـة كـانوا يعرفـون أن إثيوبيـا لا تسـتطيع الصمود فـي وجـه قوة حديثة مدعومة بطائرات مسلحة بالغاز السام .

كـان الدبلوماسـيون فـي جنيـف ولنـدن وبـاريس يـأملون أن يـؤدي هـذا الاسـتنتاج الواضـح إلـى تخفيـف عـدم رغبـة إثيوبيـا فـي النظـر فـي تقـديم تنـازلات لإيطاليـا ، و رفـض هـيلا سيلاسـي أي صـفقة مـن هـذا النـوع علـى أمـل أن تعـود القـوى العظمـى إلـى رشـدها و تتـدخل مدركـة أن تـدمير إثيوبيـا مـن شـأنه أن يـدمر عصـبة الأمـم ، وفـي الوقـت نفسـه، وضـع اسـتراتيجية دفاعيـة تعتمـد علـى تكتيكـات الكـر والفـر علـى الأجنحـة وخلـف خطـوط العـدو لتوليـد الخسـائر والفوضـى واسـتنزاف إرادة إيطاليـا فـي الاسـتمرار ، و كـان تجنـب الحـرب الموضـعية تكتيكـاً سـليماً، و إن كـان يتعـارض مـع الحكمـة العسـكرية الإثيوبيـة التقليديـة ، و فـي الوقـت ذاتـه ، كـان الاسترضـاء هـو النظـام اليـومي فـي أوروبـا حيـث تجنـب معظـم رجـال الدولـة عـزل إيطاليـا خوفـاً مـن ألمانيـا النازيـة ، و عـلاوة علـى ذلـك، اسـتنتجت لنـدن أنهـا لا تملـك أي مصـالح فـي إثيوبيـا تسـتحق التـدخل، وفـي فرنسـا، كـان لافـال ملتزمـاً بحليفـه الإيطـالي ، و علـى هـذا الأسـاس فقـد توصـلت عصـبة الأمـم إلـى حلـول تميـل لصـالح الإيطـاليين الـذين كـان لـديهم بحلـول أوائـل سـبتمبر/أيلـول ٢٠٠ ألـف رجـل فـي القـرن الأفريقـي و١٤٠ ألـف آخـرين قيـد الإعـداد للسـفر إلـى هنـاك ، و فـي الخـامس والعشـرين مـن

سبتمبر/أيلول أعلن الإمبراطور أن القوات الإثيوبية سوف تظل على مسافة ثلاثين كيلومتراً من الحدود لتجنب الحوادث والذرائع للقتال ، و مع ذلك فقد وقع على مرسوم التعبئة العامة الذي احتفظ به في مكتبه ، على أمل التوصل إلى حل دبلوماسي للأزمة رغم كل الوقائع حيث قام بإضفاء الطابع الرسمي على الأمر في الثاني من أكتوبر/تشرين الأول عندما علم أن الإيطاليين عبروا الحدود إلى أوسا ، و في صباح اليوم التالي ، توجهت أعداد غفيرة من الإثيوبيين والصحافيين الأوروبيين إلى قصر الإمبراطور استجابة لقرع طبول الحرب العظيمة التي أطلقها منليك، وهي الطريقة القديمة في استدعاء الجيش ، و عندما توقف القرع، قرأ حاجب البلاط أمر التعبئة بصوت عال وواضح أمام حشد من الناس و دعا هيلا سيلاسي شعبه إلى القتال من أجل وجودهم الوطني ودينهم اللذين لولاهما لكانوا أشبه بعبيد الصومال وإريتريا ، و نصح جنوده بأن يكونوا ماهرين و ألا يرتدوا اللون الأبيض أو يحضروا القداس ، وبينما تفرق الحشد انتشرت أنباء تفيد بأن الإيطاليين غزوا تيغراي وأن الحرب قد بدأت للتو ، و في الساعة الخامسة صباحًا، عبر مائة ألف جندي إيطالي تحت قيادة الجنرال إميليو دي بونو نهر مأرب في ثلاثة تشكيلات على طول جبهة تمتد ستين ميلاً .

تقدم الإيطاليون بسرعة لأن منطقة الحدود كانت غير محمية ، و كان القادة الإثيوبيون لديهم أوامر بالانسحاب حتى تجلب التعبئة التعزيزات ، في ٦ أكتوبر، دخل الإيطاليون عدوة ، بعد يومين من القصف الذي صدم رأس سيوم و دفعه إلى التراجع السريع والتخلي عن مخزونات كبيرة من

المواد الغذائية وغيرها من الإمدادات حيث أعقب الإذلال العار في ميكيلي عندما انشق ديج هيلا سيلاسي جوجسا مع ١٥٠٠ رجل مسلحين جيدًا عنه ، و بحلول ١٥ أكتوبر، دخل الإيطاليون أكسوم[٩٩] التي كانت محصنة بشكل خفيف و التي قاموا بحمايتها، ثم تحركوا ببطء نحو تيكيزي ، و مع ذلك ، واجه الإيطاليون على جبهة أوإادين مقاومة عنيفة من القوات الإثيوبية التي تعلمت في كوراهي بسرعة كيفية التعامل مع الهجمات الجوية بالغوص في الخنادق العميقة حيث كان لديهم أسلحة حديثة كافية لإحباط الهجمات على الأرض وإلحاق خسائر فادحة قبل أن تنهار معنوياتهم عندما أصيب قائدهم الشجاع و الذكي جيرازماش أفورك بجروح قاتلة في الخامس من نوفمبر ، بعد ذلك سرعان ما هيمن الإيطاليون عليها بالرغم من أن الجنرال رودولفو جراتسياني أصبح يحترم قدرات عدوه القتالية ، لذلك توقف برهة من الزمن لإعادة تجميع صفوفه و إعادة التفكير في استراتيجيته العسكرية وتعزيز مؤخرته قبل الزحف على ٦٠.٠٠٠ رجل بقيادة ديج ناسيبو في مثلث هرر- جقجقة – ديغيه بور.

مع الهدوء الحذر لكلا الطرفين في جبهة القتال جاءت موجة من النشاط الدبلوماسي لإنهاء الأزمة ، ففي ٧ أكتوبر ١٩٣٥م ، وجد مجلس عصبة الأمم رسميًا إيطاليا معتدية و بالتالي أثار فرض قضية العقوبات عليها ، و لقد عرقل الفرنسيون كل التدابير غير المهدئة ، في حين تبجح موسوليني بأنه لن يقبل السلام إلا إذا تنازلت إثيوبيا عن

[٩٩] أطلال أكسوم أو ما تبقى من أكسوم في أرتيريا و ليس في إثيوبيا كما زعم المؤلف للتو (المترجم) .

فتوحات منليك في شرق تيغراي و أوغادين ، و في المقابل سوف يسمح هايلي سيلاسي بلطف باتباع النصيحة الإيطالية في حكم دولته المتخلفة ، فرد الإمبراطور عليه بعقد استعراض عسكري ضخم سارت خلاله كل أنواع القوات المسلحة بما في ذلك المقاتلون الإقليميون الشرسون المسلحون فقط بالعصي الحادة ، و من ساحة العرض، سار ربع مليون إثيوبي شمالاً لمنع التقدم الإيطالي ، و في الثامن عشر من نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٣٥م ، فرضت جنيف عقوبات على الواردات والصادرات الإيطالية، وهي عقوبات استخدمها موسوليني لحشد شعبه للحرب ، و لعل القيود المفروضة على مبيعات النفط كان لها بعض التأثير، و لكن باريس اشتكت من أن مثل هذا الحظر كان بمثابة عقوبة عسكرية و ليس مدنية ، و قد واكبت هذه المغالطة جهود السير صمويل هوار وزير الخارجية البريطاني و رئيس الوزراء الفرنسي لافال للتوصل إلى اتفاق يرضي موسوليني دون أن يبدو وكأنه مكافأة على عدوانه السافر على إثيوبيا، و يهدئ في الوقت ذاته هيلا سيلاسي دون أن يشعره تماما بفقدان الشرف والأراضي ، و في السابع من ديسمبر/كانون الأول ١٩٣٥م – قبل ست سنوات من يوم آخر من أيام العار ــ أعلن الرجلان عن خطة للتنازل عن الأراضي والتفوق الاقتصادي الإيطالي، وهو ما أدى إلى استرضاء موسوليني في صياغة جديدة .

وعلى الرغم من عدم تنفيذ خطة هواري-لافال تنفيذا حرفيا – حيث واجهت رفضاً عالمياً ــ فإن تجاهلها الساخر لمصير إثيوبيا دمر أي فرصة لإنهاء الأزمة بشكل عادل ، ففي منتصف ديسمبر/كانون الأول قرر هيلا

سيلاسي شن هجوم في تيغراي لاختبار الجنرال بييترو بادوليو، القائد الإيطالي الجديد الذي حل محل دي بونو البطيء الحذر ، فأمر رأس كاسا و سيوم بالتقدم إلى الأمام في تيغراي التي تحتلها إيطاليا، في حين كان على رأس مولوجيتا أن يتحرك شرقاً لتطويق العدو في ميكيلي و قطع خطوط إمداده ، و قد نجحت الخطة إلى الحد الذي جعل الإثيوبيين متحصنين في تمبن ، و لكنها فشلت في تعطيل العمق الإيطالي ، و في حين تمكن رأس كاسا من إعلان النصر، نجح بادوليو في وقف الهجوم في الحادي والعشرين والثاني والعشرين من ديسمبر/كانون الأول باستخدام قنابل الغاز السام، وهو ما كان ينذر بالهجمات الإيطالية المدمرة التي كانت ستلي الهجوم ، و لكن أول استخدام مكثف لهذا السلاح القوي كان على الجبهة الجنوبية ضد جيش رأس ديستا ديميتيو ، ومنذ منتصف ديسمبر/كانون الأول، نفذ غراسياني دفاعاً نشطاً بقوة حتى تحول إلى هجوم ، فقام الإيطاليون بقصف المواقع الإثيوبية الأمامية بسحب من الغاز، مما تسبب في خسائر فادحة و فرار أعداد هائلة من الجنود ، و بحلول السادس من يناير/كانون الثاني ، أبلغ ديستا قواته التي كانت متحصنة على ضفتي نهر جوبا ، على بعد ستين ميلاً إلى الشمال من دولو ، بكارثة وشيكة ، و تحول هجوم غراسياني في العاشر من يناير/كانون الثاني إلى هزيمة ساحقة لهم : فلقد قُتل الآلاف من الإثيوبيين و فر الناجون إلى الريف بعد التخلي عن أسلحتهم وإمداداتهم.

لم يكن غراسياني مدركاً لإمكانية زحفه بسهولة إلى الجانب الضعيف من إثيوبيا، فأوقف تقدمه لتعزيز مكاسبه مما سمح للإمبراطور بإرسال التعزيزات بعدما رفض الانضمام إلى انتقادات صهره مدركاً أن الهزيمة

كانت بسبب الأسلحة والتكتيكات الحديثة و ليس بسبب الافتقار إلى الشجاعة أو القدرة العسكرية ، و في الثامن والعشرين من نوفمبر/تشرين الثاني، غادر الإمبراطور أديس أبابا إلى ديسي، حيث أسس مقره هناك ، و عمل من الصباح إلى الليل في محاولة لبناء استراتيجية رابحة .

كان في الغالب زعيمًا صبورًا يتمتع بالهدوء والسكينة و الانفصال عن الأزمة المحيطة به ،كان شجاعًا و غالبًا ما كان يترك مأوى لمدفعه الشخصي المضاد للطائرات ليطلقه ، ربما على ابن موسوليني[١٠٠] ، كان العدو يقصف يوميًا خطوط الإمداد من ديسي شمالًا، مما تسبب في صدمة سكان أورومو المحليين ، الذين تمردوا عندما استولى الجيش على معظم طعامهم وحيواناتهم ، حاول الإمبراطور بقدر ما بذل من جهد، لكنه لم يتمكن من تأمين مؤخرة جيشه ، حيث كانت قوة المتمردين تواكب إحباطات الفلاحين .

كان هايلي سيلاسي رجلاً قومياً ومصلحاً انتقد الحكومة بسبب محاباتها وافتقارها إلى الديمقراطية ، و بسبب صراحته ، احتُجز هايلي سيلاسي لمدة عامين ونصف العام في حرم القصر الإمبراطوري ، و بحلول وقت إطلاق سراحه[١٠١] ، كان هايلي سيلاسي قد أعاد خلق الاقتصاد السياسي قبل الحرب و اعتمد على الطبقة البيروقراطية كوسيلة للسيطرة والتغيير ، والآن أصبح من الممكن تنفيذ سياسات الإمبراطور في بلد حيث قام

---

[١٠٠] لم يكن إبن موسوليني مشاركا في الغزو الإيطالي على إثيوبيا كما يزعم المؤلف (المترجم) .

[١٠١] هذه قصة مختلقة من قبل المؤلف للتعظيم من شأن الإمبراطور هيلاسلاسي لإخفاء الحقيقة الساطعة التي مفادها أنه لم يكن هناك ديمقراطية برلمانية أو ملكية دستورية في إثيوبيا بالمعنى المفهوم آنذاك حيث كانت الحكومة مجرد خيال مآتة لا تهش و لا تنش و لعبة بيد الإمبراطور الذي حصر جميع السلطات التنفيذية و التشريعية و القضائية بين يديه و لكن من وراء الستار (المترجم) .

الإيطاليون بتكييف عدة ملايين من الناس لقبول الأجور النقدية والاستجابة للسوق ، و خلال الفترة الاستعمارية ، تعزز الطلب على القطن والملح والكيروسين وما شابه ذلك ، و ظهرت احتياجات جديدة للأدوات والآلات والمعدات التقنية والشاحنات وقطع الغيار ومنتجات البترول ، و قد حفزت الفترة الإيطالية النمو على طول الخطوط الواضحة بالفعل قبل الاحتلال ، و عندما عاد هايلي سيلاسي وأتباعه إلى السلطة ، وجدوا اقتصادًا و بنية أساسية مألوفة ولكنها أكثر تعقيدًا و أكبر و أفضل تنظيمًا لاستغلالها لإشباع الطلب المرتفع في زمن الحرب على المنتجات الإثيوبية ، و على غرار النموذج الذي كان سائداً قبل الحرب ، قامت الأوليغارشية الإثيوبية الجديدة ــ التي تتألف الآن من الوطنيين والمتعاونين والعائدين ــ بتنظيم مؤسسات الاستيراد والتصدير بالتعاون مع رجال الأعمال المغتربين ، و كانت أهم هذه المنظمات الجديدة ، و هي شركة خاصة مجهولة الهوية لتصدير الحبوب مقراً لوزارة الزراعة، و هو ما يشير بوضوح، إن لم يكن يكشف عن ملكية الاحتكار ، و كانت الشركة ناجحة إلى الحد الذي جعل لندن تعتبر مشترياتها من إثيوبيا شكلاً من أشكال الدعم .

ولكن الأرباح لم تذهب إلى الحكومة بل إلى الأفراد الذين كانوا يمتلكون أيضاً أسهماً في مشاريع تتعامل في القهوة والجلود و شمع العسل و هي سلع مطلوبة بشدة في الشرق الأوسط ، وكانت مرونة العرض عالية بسبب شبكة الطرق التي بناها الإيطاليون ، و حتى مع تهالك وسائل النقل كان تبادل السلع بين الداخل والعاصمة أسرع كثيراً مما كان عليه قبل

الحـــرب ، و كـــان الفلاحـــون حريصـــين علـــى مقايضـــة منتجـــاتهم بالســـلع القطنيـــة النـــادرة التـــي كانـــت الأوليغارشـــية توفرهـــا بأســـعار باهظـــة مـــن خـــلال الشـــركة الوطنيـــة الإثيوبيـــة، المـــوزع الخـــاص الـــذي تعينـــه وزارة التجـــارة علـــى الدوام للتعامل مع استيراد وتوزيع المنسوجات.

كانـــت الشـــركة مملوكـــة ومـــدارة مـــن قبـــل العائلـــة الإمبراطوريـــة وكبـــار المســـؤولين الحكـــوميين و أعضـــاء كبـــار مـــن الطبقـــة الأرســـتقراطية ، فـــي عـــام ١٩٤٤م ، أعـــادت الشـــركة ربحًـــا يتـــراوح بـــين ١.٢ مليـــون جنيـــه إســـترليني و ١.٨ مليـــون جنيـــه إســـترليني، أو ٢٥ فـــي المائـــة ، و هـــو مـــا يقـــرب مـــن ضـــعف الهـــامش القياســـي لمعظـــم الشـــركات فـــي إثيوبيـــا حيـــث تـــم توريـــد المنســـوجات مـــن خـــلال نظـــام الإعـــارة والتـــأجير الأمريكـــي، وقـــد شـــعر مســـؤولو المفوضـــية الأمريكيـــة بـــالفزع مـــن الضـــجة لكـــنهم كـــانوا عـــاجزين عـــن التـــدخل نظـــرًا لتـــورط الإمبراطـــور بـــذلك ، فـــي الواقـــع، اعتبـــرت واشـــنطن تمســـك هـــيلا سيلاســـي بالحلفـــاء و عصـــبة الأمـــم بمثابـــة تعزيـــز للمجهـــود الحربـــي بـــين الأمـــريكيين مـــن أصـــل أفريقـــي ، لـــذلك دعمـــت وزارة الخارجيـــة الأمريكيـــة اجتماعًـــا فـــي ١٣ فبرايـــر ١٩٤٥م بـــين الإمبراطـــور و الـــرئيس فـــرانكلين ديلانـــو روزفلـــت (تـــوفي عـــام ١٩٤٥م) فـــي مصـــر فـــي طريـــق العـــودة إلـــى الـــوطن بعـــد مـــؤتمر يالطـــا ، اعتبـــر هـــيلا سيلاســـي الاجتمـــاع نقطـــة عاليـــة فـــي حياتـــه المهنيـــة واعترافًـــا بأهميـــة إثيوبيـــا الإقليميـــة ، كـــان جـــدول الأعمـــال الـــذي قدمـــه إلـــى الـــرئيس يصـــف أهـــداف السياســـة الخارجيـــة لإثيوبيـــا حتـــى ثـــورة ١٩٧٤م الشـــيوعية : (١) الملكيـــة الإثيوبيـــة للســـكك الحديديـــة إلـــى جيبـــوتي؛ (٢) الوصـــول الحـــر و غيـــر المقيـــد إلـــى البحـــر؛ (٣) اســـتعادة إريتريـــا؛ (٤) تعويضـــات الحـــرب مـــن

إيطاليا؛ (٥) المساعدة العسكرية لتطوير جيش حديث صغير؛ (٦) والاستثمارات الأمريكية في مشاريع التنمية ، لم يسع الإمبراطور إلى أقل من الدعم السياسي الأمريكي والتكنولوجيا الأمريكية وتمويل وول ستريت. وفي الوقت نفسه، واصل ترسيخ استقلاله في العمل ، في أوائل عام ١٩٤٥م ، قدمت الحكومة الإثيوبية عملة جديدة إسمها البر ، و استبدلت شلن شرق إفريقيا بالجنيه الإسترليني مما أضاف إلى حيازاتها الكبيرة بالفعل ؛ و سحبت مرة أخرى دولار ماريا تيريزا أدى إلغاء العملة الأخير إلى إتاحة أطنان من الفضة للتصدير إلى عدن وإعادة بيعها ، أضافت الأرباح الكبيرة إلى فائض النقد الأجنبي الكبير بالفعل في إثيوبيا حيث كان هناك ما يكفي من المال لتمويل الإدارة و بناء المدارس في العاصمة و أماكن أخرى ، و لقد كانت الحكومة البريطانية حريصة على إنشاء بعض المشروعات التنموية ، من بينها مجمع لغزل القطن والصوف، وبنك للتنمية الزراعية، ومركز للتدريب الصناعي ، كما استخدمت الحكومة احتياطياتها من الجنيه الإسترليني لشراء الشاحنات والإطارات والآلات وقطع الغيار، و لكن التسليم كان بطيئاً بشكل محبط، حيث حاولت بريطانيا تلبية الطلب في مختلف أنحاء إمبراطوريتها .

ولقد كان البريطانيون يماطلون أيضاً في توفير المعدات للجيش الإثيوبي ، ففي أوائل عام ١٩٤٦م ، بلغ تعداد الجيش الإمبراطوري نحو سبعة وعشرين ألف رجل نصفهم من القوات غير النظامية ، و كان الإمبراطور يريد أربع فرق يبلغ مجموعها نحو خمسة وأربعين ألف رجل ، وهو العدد الكافي لإعادة احتلال أوغادين وتحصين البلاد بأكملها ، و كانت بعثة

التدريب البريطانية في إثيوبيا صغيرة الحجم ، بما يتفق مع تركيز حكومة حزب العمال على البرامج الاجتماعية المحلية وميلها إلى التخلي عن الإمبراطورية والهيمنة ، و كان الموقف البريطاني في منطقة القرن الأفريقي ضعيفاً إلى حد لا يمكن إصلاحه حتى و لو بدا لأديس أبابا أن لندن لديها كل النية للاحتفاظ بأوغادين كجزء من الصومال الكبرى ، و هو الترتيب الذي اعتقدت وزارة الخارجية أنه ليس عادلاً فحسب بل و من شأنه أيضاً أن يخفف من حدة التوترات الإقليمية ، و كانت حكومة أديس أبابا تنظر إلى هذا المخطط باعتباره لعنة ، في نفس الفئة التي تنظر بها إلى جهود إيطاليا الرامية إلى تدمير وحدة إثيوبيا ، و على نحو مماثل، كانت أديس أبابا تكره عصبة الشباب الصومالية القومية التي سعت إلى دمج كل شركائها في كينيا وجيبوتي وإثيوبيا في دولة عرقية واحدة ، وبحلول أواخر عام ١٩٤٧م ، كان معظم رجال الشرطة والجنود والمسؤولين الصوماليين أعضاء في الرابطة، مما يعني أن الرابطة كانت تدير المحمية لصالح البريطانيين ، وهي الحقيقة التي دفعت أديس أبابا إلى استعادة أوغادين[١٠٢] في أقرب وقت ممكن. وقررت وزارة الخارجية الإثيوبية استخدام أعمال الحفر الاستكشافية التي تقوم بها شركة سينكلير الأميركية للنفط كغطاء. وكان هيلا سيلاسي قد أخبر الوزير الأميركي أن منح الامتياز لشركة أميركية كان بمثابة عمل سياسي. وعندما أصدرت حكومته للأميركيين تصاريح صالحة للإقامة لمدة عام واحد في أوغادين،

[١٠٢] ما زال المؤلف يقدم معلومات مغلوطة فيما يتعلق بقضية الصومال الكبرى ، فمن المعروف إن إيطاليا تولت الوصاية على الصومال بشقيه الإيطالي و البريطاني بقرار من الأمم المتحدة عام ١٩٤٦م و إن عصبة الشباب الصومالي لم تظهر إلا عام ١٩٥٥م و ليس عام ١٩٤٥م ، فضلا عن أن إيطاليا و بريطانيا تواطأت مع إثيوبيا لتسليمها إقليم أوغادين الصومالي على طبق من ذهب عام ١٩٤٤م ، إلى جانب أن إقليم أوغادين أرض صومالية و ليست إثيوبية كما زعم المؤلف قبل قليل (المترجم) .

كــان علــى البريطــانيين التعــاون بموجــب أحكــام معاهــدة عــام ١٩٤٤م ، و ردًا علــى ذلــك، اســتنكر فــرع جقجقــة مــن الحركــة الشــعبية لتحريــر إثيوبيــا ســيادة إثيوبيــا علــى المنطقــة ورضــوخها لبريطانيــا ، و عنــدما وصــلت لجنــة دوليــة إلــى مقديشــو فــي ينــاير/كــانون الثــاني ١٩٤٨م لطلــب المشــورة بشــأن تصــرفات الصــومال بعــد الحــرب شــككت الحركــة الشــعبية لتحريــر إثيوبيــا فــي حــق ســنكلير فــي التواجــد فــي أوغــادين و هــاجم بعــض نشــطائها فريــق حفــر أمريكــي يعمــل بــالقرب مــن واردر ، و كــان الضــابط البريطــاني الــذي يقــود قــوات الــدرك المحليــة عــاجزًا عــن التــدخل لأن جميــع رجالــه ينتمــون إلــى الحركــة الشــعبية لتحريــر إثيوبيــا ، لقــد خــدم هــذا الحــادث بشــكل صــارخ فــي الكشــف عــن ضــعف لنــدن، وأدركــت القيــادة العليــا المــذعورة أن التحســن أمــر مســتحيل، ونصــحت بالانســحاب الفــوري مــن أوغــادين وغيرهــا مــن المنــاطق المحميــة و بالتــالي إنهــاء أي مســؤوليات بريطانيــة عــن ســنكلير وواشنطن .

وعنــدما وافقــت وزارة الخارجيــة علــى هــذا الاقتــراح، أُبلــغ الإثيوبيــون فــي الســابع عشــر مــن مــارس/آذار ١٩٤٨م بــأن القــوات البريطانيــة ســوف تنســحب قريبــاً مــن جقجقــة ، و ســارعت حكومــة أديــس أبابــا إلــى التخطــيط لإدارة جديــدة لأوغــادين و التــي كانــت قائمــة بحلــول نهايــة ســبتمبر/أيلــول ١٩٤٨م ، و كــان النجــاح الدبلوماســي الــذي حققتــه إثيوبيــا مــذهلاً إلــى الحــد الــذي دفــع الإمبراطــور إلــى إشــراك الولايــات المتحــدة فــي مســاعيه إلــى اســتعادة إريتريــا ، و بعــد اســتعادة إريتريــا فــي عــام ١٩٤١م[١٠٣] ، كــررت

---

١٠٣ لــم يــذكر المؤلــف الفتــرة الممتــدة مــن قيــام الحــرب العالميــة الثانيــة عــام ١٩٣٩م حتــى خــروج القــوات الإيطاليــة مــن إثيوبيــا و إرتيريــا و حلول نظيراتها البريطانية محلها عام ١٩٤١م (المترجم) .

حكومة أديس أبابا في كل فرصة تسنح لها أن إريتريا، التي كانت تحكمها آنذاك إدارة عسكرية بريطانية، كانت جزءاً لا يتجزأ من إثيوبيا قبل استعمارها من قبل إيطاليا و أن استعادتها سوف توفر لها القدرة على الوصول إلى البحر والتعويض العادل عن القسوة والخسائر التي لحقت بها أثناء الحرب ، و في إريتريا نفسها ساعد عملاء الإمبراطور في تأسيس "الجمعية الوطنية لاتحاد إريتريا وإثيوبيا" المعروفة شعبياً باسم "الحزب الاتحادي" حيث كانت مدعومة من قبل "جمعية توحيد إثيوبيا وإريتريا" ومقرها أديس أبابا بقيادة وولدي جيورجيس وولدي يوهانيس (١٩٠٢-١٩٨٤م) وزير القلم ورئيس الديوان الإمبراطوري بحكم الأمر الواقع. سعت المجموعتان إلى التكامل غير المشروط لإريتريا في إثيوبيا و هو الهدف الذي قاومته مجموعة من الفصائل المسيحية و المسلمة في المستعمرة السابقة ، و بينما أضر الانقسام بفرصهم فقد ضاعت قضية الاستقلال عندما أرسل الحلفاء وفدًا لتقصي الحقائق ("لجنة القوى الأربع") إلى إريتريا ، و بعد زيارة طويلة من ١٢ نوفمبر ١٩٤٧م حتى ٣ يناير ١٩٤٨م خلصت البعثة إلى أنه على الرغم من معارضة السكان عمومًا لتقسيم المستعمرة بين السودان وإثيوبيا إلا أنه لم يكن هناك وعي وطني لتغذية الدولة و أن الزراعة المتخلفة في إريتريا و القاعدة الصناعية الخام والموارد الطبيعية الفقيرة لا يمكن أن تدعم رغبتهم بالاستقلال ، لذلك أوصت اللجنة ببعض أشكال التبعية و هو القرار الذي أحيل في النهاية إلى الأمم المتحدة حيث كانت الولايات المتحدة هي القوة الأكثر نفوذاً فيها .

كـــان الاهتمـــام الرئيســـي لواشـــنطن فـــي إريتريـــا يـــتلخص فـــي محطـــة راديـــو مارينـــا، وهـــي منشـــأة إيطاليـــة فـــي أســـمرة اســـتولى عليهـــا الجـــيش الأميركـــي فـــي عـــام ١٩٤٢م ، ثـــم توســـعت بعـــد ذلـــك و أُدرجـــت فـــي شـــبكة عالميـــة تعمـــل علـــى جمـــع المعلومـــات الاســـتخبارية ونقلهـــا إلـــى البنتـــاجون ، و علـــى ارتفـــاع ســـبعة آلاف قـــدم ، كانـــت أســـمرة تقـــع فـــي موقـــع مثـــالي علـــى خـــط عـــرض لا يتـــأثر كثيـــراً بـــالتغيرات اليوميـــة فـــي الطقـــس أو بـــالتغيرات الموســـمية ، الأمـــر الـــذي قلـــل بالتـــالي مـــن الحاجـــة إلـــى تغييـــر التـــرددات مـــرات عديـــدة ، و كـــان راديـــو مارينـــا يشـــكل أهميـــة كبـــرى بالنســـبة للأمـــن الأميركـــي، وكـــان يقـــع فـــي منطقـــة أرادت واشـــنطن أن تبقيهـــا خاليـــة مـــن النفـــوذ الســـوفييتي ، و بمـــا أن إيطاليـــا كانـــت تضـــم آنـــذاك أكبـــر حـــزب شـــيوعي فـــي الغـــرب، وكـــان مـــن الممكـــن أن يحكـــم الماركســـيون رومـــا، رفضـــت الولايـــات المتحـــدة قبـــول أي فكـــرة بشـــأن إعـــادة إريتريـــا إلـــى إيطاليـــا ، و اعتبـــرت وزارة الخارجيـــة الأمريكيـــة مينـــاء مصـــوع حيـــث كانـــت الســـفن الأمريكيـــة تتمتـــع بحقـــوق الرســـو والزيـــارة فيهـــا المينـــاء الوحيـــد الـــذي يمكـــن أن يلبـــي مطلـــب إثيوبيـــا بالحصـــول علـــى منفـــذ بحـــري ســـيادي ، و لأن أديـــس أبابـــا كانـــت تميـــل بشـــدة إلـــى الغـــرب، قـــرر صـــانعو السياســـات الأمريكيـــون دعـــم مطالبـــة إثيوبيـــا بإريتريـــا، و هـــي خطـــوة دعمتهـــا فـــي نهايـــة المطـــاف بريطانيـــا العظمـــى وقـــوى عظمـــى أخـــرى ، مـــع ذلـــك، اســـتنتجت واشـــنطن أن التـــاريخ الحـــديث للمســـتعمرة الســـابقة كانـــت مختلفـــة بمـــا يكفـــي عـــن المقاطعـــات الإثيوبيـــة الأخـــرى لتبريـــر حكومـــة مســـتقلة هناك .

كانت رعاية الترتيب الفيدرالي هي الطريقة الأمريكية المثالية لإظهار الامتنان لمساهمة إثيوبيا بقوات في جهود الأمم المتحدة في كوريا، مع تهدئة الانفصاليين المسلمين وغيرهم من الإريتريين ، لم يرض الترتيب الفيدرالي تطلعات الحكومة الإثيوبية إلا بالحد الأدنى وأشرك الولايات المتحدة بشكل مباشر في شؤون البلاد ، فبعد قبول الحل الفيدرالي، بدأت أديس أبابا في الضغط على الولايات المتحدة للحصول على مساعدة عسكرية مجزية ، ففي يونيو ١٩٥١م ، وصل جنرال أمريكي إلى أديس أبابا لتقييم طلب إثيوبيا، و ألمح إلى أنه بمجرد السيطرة على الحرب الكورية ستكون المساعدة قادمة؟[١٠٤] ، و على إثر ذلك وافق البنتاغون على طلبها استجابة للتطورات الجيوسياسية الجديدة الناجمة عن استقلال إسرائيل[١٠٥] و ثورة عبد الناصر في مصر و ما تلاها من نمو للنفوذ السوفيتي في شرق البحر الأبيض المتوسط ، و بدورها وافقت وزارة الخارجية على ذلك حيث رأت في إثيوبيا حليفًا مستقرًا في منطقة البحر الأحمر .

في أكتوبر ١٩٥٢م ، تقدمت المفاوضات لإضفاء الطابع الرسمي على وضع راديو مارينا الذي كان يسمى آنذاك محطة كاجنو (بعد الكتيبة الإثيوبية التي عادت من كوريا في مايو ١٩٥٢م) الوسيلة التي أدت إلى التوقيع في ٢٢ مايو ١٩٥٣م على اتفاقية القاعدة و المرافق و معاهدة

---

[١٠٤] لم يذكر المؤلف شيئا عن دور الجيش الإثيوبي المشارك في الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣م) بتاتا ، سيما و أنها كان لها الدور الأساسي في تمتين عرى العلاقات الدبلوماسية بين إثيوبيا و أمريكا أكثر من ذي قبل (المترجم) .

[١٠٥] يزعم المؤلف و تحت تأثير نزعته الصهيونية أن إسرائيل كانت مستعمرة بريطانية نالت إستقلالها بعد حرب ضروس ضد الإنجليز عام ١٩٤٨م و هذا غير صحيح ، فإسرائيل عبارة عن كيان سياسي سرطاني مصطنع لليهود الصهاينة أوجدته بريطانيا في فلسطين بعد إحتلالها للبلاد منذ عام ١٩١٧م و أسسته رسميا عام ١٩٤٨م ، فكيف يحارب هؤلاء دولة كانت وراء منحهم أرض الميعاد التي طردوا منها سكانها الأصليين الفلسطينيين بدعم منها خلال حرب فلسطين عام ١٩٤٨م ؟ (المترجم) .

المساعدة العسكرية القياسية التي تنظم تسليم الأسلحة و المعدات الأخرى وتوفر مجموعة استشارية للمساعدة العسكرية ، بحلول ذلك الوقت، كانت الولايات المتحدة منخرطة أيضًا بعمق في التنمية الاقتصادية لإثيوبيا ، ففي خلال عام ١٩٥٠م ، حصلت أديس أبابا على قروض من بنك الاستيراد والتصدير بلغت قيمتها أكثر من ١٠ ملايين دولار أمريكي لشراء السيارات والشاحنات وقطع الغيار والآلات والطائرات لشركة الخطوط الجوية الإثيوبية التي كانت تحت إدارة شركة تي دبليو إيه آنذاك ، فشكّلت خطةٌ وُضعت عام ١٩٤٥م من قِبل بعثة فنية أمريكية أصبحت فيما بعد المخططَ الأساسي لاستراتيجيات التنمية الاقتصادية في إثيوبيا حتى أواخر ستينيات القرن الماضي ، و تضمنت الخطة برنامجًا متكاملًا نسّق القوى العاملة والمواد الخام وموارد رأس المال بهدف التغلب على أوجه القصور في التعليم والنقل والتسويق والتكنولوجيا والإدارة العامة ، و نظرًا لضرورة مواجهة العديد من المشكلات في آنٍ واحد ، فقد استُهدف عددٌ قليلٌ نسبيًا من المشاريع لضمان نجاحها ، و في عام ١٩٤٧م ، أوصت خطة التنمية التي عُدّلت عام ١٩٤٧م ببرنامجٍ مدته ثلاث سنوات بقيمة ١١.٧ مليون دولار أمريكي لإنشاء ثلاث صناعات رئيسية : ستة مراكز لتجهيز اللحوم وستة مدابغ مُرتبطة بها و مجمعٌ للمنسوجات القطنية قادر على إنتاج عشرة ملايين رطل من القماش سنويًا ، و ستكون الصناعتان الأوليتان قادرتين على تلبية الطلب الدولي و تحقيق أرباحٍ قيّمة ، بينما ستحل الأخيرة محل الصناعة المحلية و إنتاج السلع المستوردة و بالتالي توفير النقد الأجنبي ، و سرعان ما استُخدمت الإيرادات الصافية لتمويل مصانع الإسمنت

ومصانع الجلود و الآلات و منشآت تصنيع الإطارات و تصنيف البن و معالجته ، و أُنشئ لاحقا مجمع لتكرير الملح و مصنع بوتاسيوم و شركة كيماويات و مصنع خيش وتعبئة و مصنع صابون و مصافي زيوت نباتية وسكر و مصانع أحذية و مصنع لمنتجات الأخشاب ، و رافق ذلك برنامج بقيمة ١٠ ملايين دولار لبناء الطرق والتعليم ، و مع ذلك لم يُولَ للزراعة سوى اهتمام ضئيل باستثناء توفير خدمات الإرشاد الزراعي ، و كان من المفترض أن يتبنى مزارعو إثيوبيا بسرعة الخطط التي يوصي بها وكلاء التنمية وستوفر عمل المزارعين وإنتاجيتهم رأس المال اللازم لتمويل التنمية الصناعية لا الريفية في إثيوبيا ، و ستكون المدن مسرحًا للحداثة ، بينما سيظل الريف تقليديًا اجتماعيًا. ولتنفيذ التحديث، سعى هيلا سيلاسي جاهدًا لتعليم نخبة مخلصة ، كان يعتقد أن آثار التعليم ستحول إمبراطوريته الإقطاعية إلى دولة حديثة ، نصحت وزارة التعليم السكان بإرسال أطفالهم إلى المدارس لتعلم كيفية تحسين إثيوبيا وفرضت ضريبة إضافية على الأراضي في نوفمبر ١٩٤٧م لمساعدة المقاطعات والمحليات على دفع تكاليف المدارس الجديدة والمعلمين ، و بحلول عام ١٩٥٠م ، التحق ٥٢٩٦٥ طالبًا في مدارس إثيوبيا الخمسمائة ، وهي نسبة صغيرة جدًا من الأطفال في سن الدراسة بالتأكيد ، لكنهم تلقوا تعليمًا جيدًا وتلقوا تعليمًا كاملاً بالولاء للعرش واحترام تقاليد البلاد والوطنية ، و عندما بدأ الأمريكيون أخيرًا في تقديم المساعدة الاقتصادية ، كان هناك كادر من الإثيوبيين المتحمسين والمؤهلين المستعدين للتعاون ، و حتى عام ١٩٦٠م ، كانت برامج واشنطن الإنمائية مخصصة للمساعدة الفنية التي تُدار بموجب اتفاقية النقطة الرابعة الموقعة في ١٥

مايو ١٩٥٢م ، وفي السنوات القليلة الأولى، كانت مهمة المساعدة الأمريكية منظمة بسيطة كان الفنيون فيها في المقام الأول حيث عمل الأمريكيون جنبًا إلى جنب مع نظرائهم في مشاريع حددها صانعو السياسات الإثيوبيون .

كان النهج التدريجي الذي اتبعته إثيوبيا متسقًا مع الجهود التنموية المتناثرة السابقة حيث كانت المنفعة الفورية هي المعيار الأكثر إلحاحًا لتبني أي مشروع كان ، و قد تحقق الكثير منها في التعليم الزراعي والطبي والمهني والصناعي و في تربية الحيوانات و أبحاث البن والغابات و في بناء الطرق ومشاريع الاتصالات الأخرى ، و قد دعم الاستثمار الإثيوبي ٧٠٪ من جهود الولايات المتحدة في مشروع النقطة الرابعة ، وجاء رأس المال من اقتصاد مزدهر و الذي شهد في عامي ١٩٥٣م و ١٩٥٤م حيث حقق فائضًا صافيًا بلغ حوالي ٥٠ مليون دولار ، فلقد استفادت مبيعات القهوة – وهي عماد الاقتصاد المحلي – من الكوارث الزراعية المختلفة في البرازيل وكذلك من الطلب العالمي المرتفع و خاصة من الولايات المتحدة ،كما أن القبول المتزايد على القهوة الإثيوبية يرجع أيضًا إلى المزارع الجديدة و الرعاية الأفضل لأكشاك القهوة و تحسين فرز و تنظيف الحبوب و الحصاد الأكثر شمولاً لها ، علاوة على ذلك، كان نظام الطرق المحسن يسلم المنتج بشكل موثوق إلى المراكز الإقليمية و من ثم إلى أديس أبابا حيث تم تصديره معظمها بالسكك الحديدية ، و بحلول نهاية عام ١٩٥٤م ، أصبحت الولايات المتحدة الوجهة الرئيسية للقهوة الإثيوبية وبالتالي اللاعب الحيوي في اقتصاد

البلاد، وهي حقيقة تم الاعتراف بها من خلال التعيينات الحكومية المستمرة للأمريكيين لرئاسة بنك الدولة ، كما استحوذت القهوة الإثيوبية أيضًا على الخبرات من مصادر غير أمريكية حيث ساهم عدد كبير من الأجانب في بناء اقتصاد إثيوبيا الحديث وبنيتها التحتية بمن فيهم البريطانيون الذين كان لهم دورٌ كبير في المدرسة التجارية التي خرّجت الكوادر المحلية للشركات و الحكومة ، فضلا عن توفير الحكومة التشيكية مصنع ذخيرة وفنيين لإدارته حتى تدريب الإثيوبيين و توفير فرنسا و كندا مدرسين للكلية الجامعية الجديدة في أديس أبابا التي خرّجت أول دفعة منها عام ١٩٥٤م ، و أرسلت منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (الفاو) خبراء إلى محطات بحثية مختلفة في أنحاء إثيوبيا ، و وافق البنك الدولي للإنشاء والتعمير على تمويل إعادة تأهيل خدمات الهاتف والتلغراف في البلاد ، أما الهولنديون الذين كانوا يبحثون عن مشاريع خارجية فقد حصلوا على امتياز لمدة ستين عامًا لتصنيع السكر في وادي أواش ، وأخيرًا درّب السويديون القوات الجوية و أداروا أيضًا كلية البناء الجديدة ، و كان هناك العديد من المغتربين اليونانيين والأرمن والإيطاليين وغيرهم ممن ساهموا باستثماراتهم النقدية أو مهاراتهم في أعمال التنمية سواء في أديس أبابا أو في الريف المحلي ، و مع ذلك، ظلت الولايات المتحدة هي المانح المفضل لدى هيلا سيلاسي للسلع العسكرية و رأس المال والتعليم والتكنولوجيا كما أوضح ذلك تمامًا خلال زيارته المظفرة إلى عقر دارهم في شهري مايو و يونيو ١٩٥٤م في خطاب أمام الكونجرس حيث أشار الإمبراطور بتواضع إلى إنجازات إثيوبيا منذ عام ١٩٤٧م : مضاعفة التجارة الخارجية للبلاد

وعملتها وممتلكاتها من النقد الأجنبي أربع مرات ؛ و بنك وطني فعال و العملة الوحيدة القائمة على الدولار في الشرق الأوسط ؛ و زيادة الالتحاق بالمدارس أربعة أضعاف ؛ و الاستقرار الحكومي في جزء من العالم معروف بالاضطرابات ، و أشار إلى تربة إثيوبيا الخصبة ومناخها الممتاز وهطول الأمطار الوفيرة وسكانها النشطين والمنتجين ، لقد اعتبرت إثيوبيا أرض الفرص حيث تم الترحيب بالإبداع والمهارات التقنية الأمريكية من قبل الإثيوبيين حكومة و شعبا .

أذهل واشنطن بخطابها الحماسي ، و أوضحت الحكومة الإثيوبية أنها لن تستخدم الاعتمادات إذا كانت المساعدات الغربية قادمة ، ومع اقتراب استقلال الصومال عن إيطاليا في عام ١٩٦٠م – وهي دولة ضعيفة قد تقع تحت النفوذ السوفيتي –[١٠٦] استجابت واشنطن بتقديم المزيد من المساعدة الاقتصادية ودعم برنامج جديد لبناء الطرق وبرنامج عسكري موسع، وبالتالي زيادة الإيجار لكاجنيو المحطة ، كما سمحت الصلة الأمريكية للإمبراطور بتكملة سلطته الشخصية من خلال نمو البيروقراطية و العاصمة منذ اثنا عشر عاما حتى عام ١٩٧٣م كانت البنية التحتية للحياة الحديثة في إثيوبيا موجودة في العاصمة وفي عدد قليل من المراكز الإقليمية ، و في أماكن أخرى من البلاد اقتصرت الحداثة على دفع الضرائب وشراء مجموعة محدودة من السلع المستوردة حيث انخرط العديد من الفلاحين في قطاع السوق ، بينما أُجبر آخرون على ترك

[١٠٦] هذه المعلومات التي ساقها المؤلف عن الصومال غير صحيحة ، فالصومال بعد إستقلاله عام ١٩٦٠م لم يكن خاضعا للإتحاد السوفيتي بل أن الصوماليين لم يتحالفوا مع الإتحاد السوفيتي إلا في عهد رئيس الجمهورية سياد بري (١٩٦٩-١٩٩١م) ، كما أن الصومال لم تكن دولة ضعيفة بل كانت أقوى دولة و جيشها النظامي أقوى جيش في القرن الإفريقي ، و لعل الحرب الصومالية – الإثيوبية الأولى عام ١٩٦٥م لخير دليل على ذلك (المترجم) .

أراضيهم ومراعيهم و تحولوا إلى طبقة بروليتاريا ريفية بفضل إنشاء مزارع واسعة النطاق في أواش و لاحقًا في وادي أومو وديديسا ، و بفضل تزايد رأسمالية البن في سيدامو وغيرها و انتشار زراعة الشاحنات في شوا و أرسي استثمرت الأوليغارشية الإثيوبية بكثافة في الأعمال الزراعية ، وساعدت أرباحها في تمويل تنمية أديس أبابا ، و تماشيًا مع رؤية الإمبراطور للتحديث ، تركزت الاستثمارات في المؤسسات المالية و الأمن الداخلي والأشغال العامة والتعليم والخدمات الاجتماعية في العاصمة.

في الواقع ، اجتذبت المرافق الحديثة في المدينة شريحة واسعة من سكان إثيوبيا و التجار الأجانب ورجال الأعمال و عددًا متزايدًا من الفنيين والمستشارين والمعلمين والمغامرين الأوروبيين ، و بحلول عام ١٩٦٠م ، كان هناك أربعة فنادق كبيرة وعشرات الفنادق الأخرى و عدد من المستشفيات والعيادات و العديد من الشوارع المعبدة والشوارع الكبيرة ومئات المتاجر و عشرات المصانع والمستودعات و العديد من المباني الحكومية والمعالم الأثرية و ثلاثين أو نحو ذلك من السفارات والمفوضيات والعديد من دور السينما و مئات المطاعم و الحانات والنوادي الليلية فضلا عن وقوع معظم مؤسسات التعليم العالي في العاصمة و كذلك تسع من المدارس الثانوية العشرين التابعة للإمبراطورية من بين ٦٢٠ مدرسة ابتدائية حكومية في البلاد (٣٨ مدرسة في أديس أبابا، و١٢٥ مدرسة في إريتريا) و معظم المدارس المتبقية كانت في الشمال ، و قد زاد من تعقيد هذا الخلل تحيز الحكومة لثقافتها الرسمية

التي أكدت على اللغة الأمهرية حيث شعر الأورومو بشدة بهذا التمييز العنصري بعدما اعتقد الكثيرون منهم أن ضرائبهم ربما دفعت مقابل العدد غير المتناسب من العيادات ودور الأيتام وغيرها من الخدمات الاجتماعية في الشمال ، في عام ١٩٦٠م ، كانت أفضل حياة يمكن الحصول عليها في أديس أبابا، و لكن ظل من الأفضل أن تكون مزارعًا أو ساكنًا حضريًا في الشمال من العيش في مدينة جنوبية ، و كان الأسوأ من ذلك كله هو الزراعة في الجنوب مما يعني نقل ملكية الأرض و العزلة عن وسائل الراحة الحديثة و زيادة الاستغلال مع نمو اقتصاد التصدير. وهكذا، بدت حداثة العاصمة و أسمرا و هرر و ربما مركزين أو ثلاثة مراكز حضرية أخرى بمثابة تناقض صارخ مع تجربة معظم الإثيوبيين لها ، و قد انكشف التناقض بوضوح في الدستور المعدل لعام ١٩٥٥م ، و هو هدية الإمبراطور لشعبه بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لتتويجه بعدما أدرجت الوثيقة عناصر حديثة في نظام ملكي تقليدي في جوهره في محاولة للبقاء على قيد الحياة من خلال التكيف حيث بقي الإمبراطور في منصب قيادي رفيع المستوى على الرغم من أن المالية و الضرائب كان يجب أن تُقرّ من قبل البرلمان الذي كان بإمكانه أيضًا مساءلة الوزراء ورفض المراسيم الإمبراطورية ، فلقد نصّ الدستور على مجلس نواب منتخب و سلطة قضائية مستقلة نظريًا ملتزمة بسيادة القانون و مبدأ فصل السلطات و مجموعة من حقوق الإنسان و فكرة المسؤولية البيروقراطية تجاه الشعب ، و قد سجّل خطاب الإمبراطور في ٣ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٥٥م شعوره بالإنجاز الدستوري والتنمية الاقتصادية ، و على مدار ربع القرن السابق ، و جد الإمبراطور الكثير

مما يفخر به ، فإلى جانب الإنجازات الاجتماعية والتعليمية ، استشهد بتوسيع خدمات الهاتف والتلغراف و الخطوط الجوية الإثيوبية الناجحة للغاية و الطرق الجديدة العديدة التي شُيّدت خلال فترة حكمه ، و أعرب عن اعتقاده بأن الاتصالات الجديدة قد حفّزت التجارة بشكل كبير، مما سمح للميزانية الوطنية بالنمو من ٥ ملايين دولار إلى أكثر من ١٠٠ مليون دولار في عام ١٩٥٥م ، و قد استُخدمت هذه الأموال لبناء إدارة فعّالة تعمل على وحدة إثيوبيا مدعيا أن سياساته قد قضت على الإقطاع ووفّرت حراكًا اجتماعيًا لجميع رعاياه دون أن يدرك في تقييمه بأن بلاده لا تزال فقيرة ومتخلفة حتى بالمعايير الأفريقية : فقد تم بناء ٢٤٠ منشأة طبية عام ١٩٥٥م بينما كان عددها قبل ربع قرن ٤٨ ، و كان عشرات الآلاف من الأطفال في المدارس بالفعل مقارنةً ببضعة آلاف فقط عام ١٩٣١م .

كان هيلا سيلاسي شخصية تقليدية إلى حد أنه لم يستطع إدراك حقيقة مشاكل إثيوبيا، إذ شهد وترأس تغييرات لم يكن من الممكن أن يتخيلها سلفه و جده الأكبر منليك الثاني الذي وُلد و ترعرع وتعلم في عهده ، لقد ألقى آخرون و خاصة من النخبة العسكرية والبيروقراطية المتعلمة، باللوم على الإمبراطور في فقر البلاد ونقص البنية التحتية النسبي ، في عام ١٩٥٥م ، بدأ الإمبراطور فترة حكم شخصي مستخدمًا أجهزة حكومة أديس أبابا حديثة التكوين و موجة من العائدين حديثي التعليم، لتعزيز سلطته على الإدارة المركزية ، أنشأ الإمبراطور بمهارة فصائل نفوذ متنافسة بين الوزراء، مما سمح له بانتقاء السياسات المناسبة. وبحصوله

علــى معلومــات اســتخباراتية مــن شــبكات متنوعــة ، تمكــن الإمبراطــور مــن الاســتجابة بفعاليــة لوابــل مــن المنافســة ، و التــأثير علــى سلســلة مــن التحالفــات المتغيــرة فــي مجلــس الــوزراء ، عانــت كفــاءة الحكومــة مــن الضــعف، كمــا أدى تــدخل هــيلا سيلاســي إلــى تغذيــة النفــاق السياســي و عمــل ضــد التنميــة والتحــديث حيــث أصــبح العائــدون الشــباب محبطــين بسبب عملهــم لصــالح نظــام فــي الــذي كــان الــولاء الشخصــي للإمبراطــور هــو الاعتبــار الأهــم بالنسبة لهــم ، و قــد راقــبهم عمــلاء المخــابرات العامــة بقيــادة المقــدم ووركينــه جبيــو (١٩٢٥-١٩٦٠م) مــدير الأمــن فــي وزارة الداخليــة ، و مــع ذلــك ، بــدأ ووركينــه يتعــاطف بــبطء معهــم حيــث تصــور الحاصــلين علــى تعلــيم جديــد بــأن رؤســاءهم كــانوا جهــلاء و فاســدين و غيــر فعــالين ويشــكلون عوائــق أمــام التقــدم ، و قــد توصــل إلــى اتفــاق علــى أن الجيــل الصــاعد كــان يقاتــل لتغييــر نظــام تقليــدي لا يقــارن بشــكل جيــد بالحكومــات الحديثــة التــي يقودهــا شــباب أفارقــة متعلمــون جيــدًا وتقــدميون والــذين ســيقودون بلادهــم قريبًــا إلــى الاســتقلال ، وفــي النهايــة ، انضــم إلــى النشــطاء الــذين تجمعــوا حــول جيرمــامي نيــواي (ت. ١٩٦٠م) المنظــر للإنقــلاب العسكري عام ١٩٦٠م .

ينحــدر جيرمــامي مــن مــوظفين متوســطي المســتوى فــي بــلاط منليــك حيــث نشــأ فــي ظــروف مريحــة و حديثــة نســبيًا فــي أديــس أبابــا و شــوا ، و كــان عضــوًا فــي النخبــة البيروقراطيــة المتعلمــة بشــكل بــاهظ الــثمن للإمبراطــور ، بعــد تخرجــه مــن مدرســة هــيلا سيلاســي الأول الثانويــة المتميــزة فــي العاصــمة ، ســافر إلــى الولايــات المتحــدة للحصــول علــى درجتــي البكــالوريوس

والماجستير ، و خلال وجوده في الخارج ، كان ناشطًا في السياسة الطلابية الإثيوبية حيث كشفت أطروحته للماجستير، "تأثير سياسة الاستيطان الأبيض في كينيا" (جامعة كولومبيا، ١٩٥٤م) بشكل دراماتيكي عن محنة الأفارقة الذين استُغلوا وقمعوا على يد نخبة محلية نافذة ، و لدى عودته إلى إثيوبيا، عُيّن جيرمامي في وزارة الداخلية تحت قيادة ديج مسفين سيليشي (لاحقًا رأس؛ ١٩٠٢-١٩٧٤م) و هو نموذجٌ للأثرياء الإثيوبيين ، فلقد كان الوزير السالف الذكر حاكمًا لولاية كيفا من عام ١٩٤٥م إلى عام ١٩٥٥م و هي سنوات ازدهار زراعة البن حيث تمكن خلالها من شراء آلاف الهكتارات من أراضي البن الخصبة بشكل غير قانوني ، و خلال موسم الحصاد ، أجبر وكلاؤه الفلاحين إما على بيع حبوب البن للحاكم أو شحن منتجاتهم إلى السوق باستخدام خدمات النقل بالشاحنات باهظة الثمن التي يقدمها ، في العاصمة ، سوّق مسفين قهوته بأرباح طائلة من خلال المجلس الوطني للقهوة الذي كان يتحكم في تعييناته ، و بفضل ثروته الهائلة اشترى أسهمًا في الصناعات الناشئة في البلاد و اشترى عقارات في أديس أبابا و مزرعة نبيذ في شيوا و مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية الممتازة جنوب العاصمة ، لقد كان بالضبط ذلك النوع من الانتهازيين الذين تبغضهم النخبة الشابة المتعلمة إذ كان يُفضّل الربح على الوطنية ، كان جيرمامي يعتقد أن الركود الاقتصادي في إثيوبيا لا يمكن كسره إلا بالمشاركة الكاملة لشعب مُحرّر من الاستغلال و مُتاح له تحت قيادة حكيمة للتصرف وفقًا لمصلحتها الذاتية ، عندما عُيّن حاكمًا في والامو نظم منظمات أمنية يرأسها الفلاحون لمراقبة أنشطة الشرطة المحلية ، كما وزع

ممتلكات الحكومة على المعدمين، مما أدى إلى انخفاض حاد في إمدادات العمالة، مما دفع ملاك الأراضي المحليين إلى السعي لاستدعاء جيرمامي ، وعند عودته إلى أديس أبابا، أوضح للإمبراطور أنه كان من مسؤوليته بصفته حاكمًا إنهاء معاناة المعدمين الجائعين الغير قادر على انتقاد مثل هذه المثالية العامة ، فما كان من هيلا سيلاسي إلا أن أرسل جيرمامي لإدارة الصوماليين الرعويين في جقجقجة ، و على الرغم من عدم وجود مشكلات تتعلق بالملكية في الصحراء ظل جيرمامي يمارس دوره كمصلح جذري حيث قام بحفر آبار جديدة و تحسين الآبار القديمة ،كما أنشأ عيادات وحسّن الصحة العامة و بنى المدارس و خطط لمخططات التنمية و حاسب مسؤوليه بشكل صارم على أفعالهم بعدما كشف بسرعة عن الجمود والفساد وسوء الإدارة هناك مما أحرج المسؤولين الإقليميين إلى حد كبير الذين طالبوا بنجاح باستدعائه إلى أديس أبابا .

استنتج جيرمامي من تجاربه في والامو و جقجقة أنه لا يمكن إحراز أي تقدم حتى يتم تغيير النظام السياسي القائم ، فمن عام ١٩٥٨م حتى عام ١٩٦٠م ، قام بتجنيد مجموعة صغيرة من الرجال الذين كانوا يجتمعون بانتظام في منزل العميد منغستو نيواي (توفي عام ١٩٦١م) شقيق جيرمامي و قائد الحرس الإمبراطوري منذ أكتوبر ١٩٥٦م ، كان كلا الأخوين نيواي وغيرهما من الأفراد رفيعي المستوى وطنيين مخلصين سعوا إلى تقدم البلاد و على دراية كاملة بالتغيرات الأيديولوجية والمادية التي تجتاح العالم وأدركوا الحاجة إلى تطوير بنية تحتية إثيوبية قادرة على

دعـم النمـو الهائـل ، لقـد صُـدِموا مـن عرقلـة النظـام الإمبراطـوري الظـاهرة و اتفقـوا علـى اسـتبدال الأوليغارشـية الحاكمـة بالنخبـة المتعلمـة ، فمـا كـان مـن جيرمـامي و منغسـتو ومجموعـة صـغيرة مـن شـركائهم إلا أن خططـوا لانقـلاب نخبـوي مـن وراء السـتار حتـى لـو بـرروا جهـودهم مـن حيـث الإنقـاذ الـوطني واحتياجـات الشـعب ، و مـع ذلـك ، كـانوا غيـر متأكـدين مـن دعـم الأخيـر فـي مواجهـة مباشـرة مـع هـيلا سيلاسـي، فقـرروا التصـرف عنـدما كـان فـي رحلـة مكوكيـة إلـى أمريكـا الجنوبيـة فـي ديسـمبر ١٩٦٠م ، و أخبـر الجنـرال منغسـتو جنـوده، الأداة المختـارة للانقـلاب، أن الجـيش و بعـض الأعيـان قـد تمردوا و أن على الحرس الإمبراطوري استعادة السلطة الإمبراطورية .

اعتقـد منغسـتو و جيرمـامي و وركنـي أن جهـودهم للقضـاء علـى النظـام القـديم سـتحظى سـريعًا بـدعم معظـم الإثيـوبيين المثقفـين وسـتنجح ، لكـنهم أصـيبوا بخيبـة أمـل عريضـة ، أولًا، لأسـباب أمنيـة حيـث افتقـرت جمـاعتهم إلـى ممثلـين مـن الجـيش والـوزارات الحكوميـة الرئيسـية ، ثانيًـا، لـم تكـن لـديهم خطـة حقيقيـة سـوى الاسـتيلاء علـى أديـس أبابـا و انتظـار تأييـد الشـعب ، ثالثًـا، كـان للإمبراطـور دعـم قـوي فـي الأقـاليم لدرجـة أن السـيطرة علـى العاصـمة لـم تكـن كافيـة لتحقيـق النصـر ، رابعًـا، خـلال بدايـة الانقـلاب فـي ١٤ ديسـمبر ١٩٦٠م فشـل المنظمـون فـي اعتقـال الجنـرال ميريـد منغيشـا (١٩١٢-١٩٦٦م) قائـد الفرقـة الأولـى و ديـج أسـراتي كاسـا (لاحقًـا رأس؛ ١٩١٨-١٩٧٤م) نائـب رئـيس مجلـس الشـيوخ مـن بـين آخـرين و الـذي بـدأ بسـرعة فـي تنظـيم المعارضـة المواليـة ، ومـع ذلـك، فقـد احتجـزوا كرهـائن وزراء وأفـرادًا مـن العائلـة الإمبراطوريـة بمـن فـيهم

الإمبراطـــورة وولـــي العهـــد أســـفا ووســـن (١٩١٦– ١٩٨٩م) الـــذي نصـــب نفســـه إمبراطـــورًا بإســـم أمهـــا سيلاســـي الأول حينـــذاك ، بعـــد ظهـــر يـــوم ١٤ ديســـمبر، ألقـــى أســـفا ووســـن خطابًـــا عبـــر إذاعـــة أديـــس أبابـــا لخـــص فيـــه مبـــررات الانقـــلاب وأهدافـــه. يُفتـــرض أن ولـــي العهـــد كـــان يتصـــرف تحـــت ضـــغط الإنقلابـــين ، و لكـــن هنـــاك دليـــل علـــى أنـــه استُشـــير علـــى الأقـــل بشـــأن الخطـــاب ومســـائل أخـــرى ، و مهمـــا كانـــت مشـــاركته، فقـــد وصـــف هـــذا الـــزعيم الإثيـــوبي و لأول مـــرة فـــي التـــاريخ الحـــديث مشـــاكل الـــبلاد الاجتماعيـــة والاقتصـــادية بعبـــارات جذريـــة حيـــث زعـــم أســـفا ووســـن أن أقليـــةً مُســـتديمة تســـتغل شـــعب إثيوبيـــا و أكـــد قناعتـــه بـــأن القيـــادة الجديـــدة ســـتعمل مـــن أجـــل التقـــدم والوحـــدة الوطنيـــة ، مـــع ذلـــك، حشـــد جـــيشٌ متشـــكك قواتـــه فـــي العاصمة و أسمرا واستدعى وحداتٍ من أنحاء الإمبراطورية.

فـــي غضـــون ذلـــك، فـــي البرازيـــل، أُبلـــغ الإمبراطـــور بـــالانقلاب و اســـتعد للعـــودة إلـــى الـــوطن ، مـــن قصـــر جينيـــه ليـــول حيـــث احتجـــز منغســـتو ووركنيـــه ســـجناؤهما الرفيعـــي المســـتوى و الـــذي أصـــبح الآن مقـــر الانقـــلاب كـــان هنـــاك نشـــاطٌ ضـــئيلٌ و انقطعـــت الأخبـــار ، فـــوجئ الأجانـــب بـــأن الحـــرس الإمبراطـــوري لـــم ينشـــر أفواجـــه بعـــد أو أنـــه لـــم يرســـل ســـوى عـــددٍ قليـــلٍ مـــن الـــدوريات للتحقيـــق فيمـــا يفعلـــه خصـــومه ، و مـــع ذلـــك ، كـــان هنـــاك الكثيـــر ممـــا يجـــري خلـــف الكـــواليس عبـــر الهـــاتف، و لا تـــزال قيـــادة المتمـــردين تأمـــل فـــي النجـــاح دون إراقـــة دمـــاء ، كانـــت توقعـــاتهم تتبـــدد كـــل ســـاعة ، فـــي اليـــوم التـــالي، ١٥ ديســـمبر، انكشـــف أن عجـــز الحـــرس الإمبراطـــوري و فشـــله ســـيؤديان إلـــى فشـــل الانقـــلاب ، خـــلال الليـــل، لـــم يفعـــل الجنـــرال منغســـتو شـــيئًا لتحســـين

المواقـع التكتيكيـة لقواتـه ، فـي المقابـل، كـان الجـيش يتلقـى تعزيـزات جويـة وسـكك حديديـة وبريـة ، وضـع الجنـرال ميريـد و هيئـة أركانـه خطـة عمـل معقولـة و شـكّلوا وحـدات قبـل مهاجمـة المتمـردين ، كـان برنـامج الجـيش مثيـرًا للإعجـاب لدرجـة أن السـفارة الأمريكيـة التـي كانـت محايـدة حتـى ذلـك الحـين، خلصـت إلـى أن المتمـردين لـن ينجحـوا ، و قـررت تقـديم دعـم استشـاري للمـوالين فـي تلـك الليلـة، اسـتمع طـلاب كليـة الجامعـة إلـى منغسـتو وهـو يتحـدث بحمـاس عـن أهـداف الانقـلاب، و قـرروا أنـه مـن أجـل إثيوبيـا يجـب ألا يفشـل ، صـوّتوا للتظـاهر لصـالح المتمـردين ، و بـذلك وضـعوا أنفسـهم فـي قلـب المشـهد السياسـي للـبلاد ، احتـوى بيـانهم علـى أفكـار وتحلـيلات سـطحية تطـورت لاحقًـا إلـى أيديولوجيـة واضـحة ومحـددة قوضـت مكانـة الإمبراطـور باسـتمرار ، كـان الطـلاب قلقـين بشـكل رئيسـي بشـأن اسـتغلال الفقـراء لتلبيـة احتياجـات الأثريـاء حيـث ألقـوا بـاللوم علـى الحكومـة لفشـل المتعلمـين فـي تحسـين حيـاة الجمـاهير العريضـة ، زعـم الطـلاب أن النظـام الجديـد سيسـمح للنخبـة المثقفـة بوضـع سياسـات للتحديث.

في صـباح يـوم ١٦ ديسـمبر، انطلـق معظـم طـلاب كليـة الجامعـة – ١٧١ طالبًـا – مـن الحـرم الجـامعي باتجـاه مقـر الجـيش، وهـم ينشـدون ويلوحـون باللافتـات ويهتفـون بالشـعارات ، لـم يسـتجب المتفرجـون تقريبًـا ممـا أنـذر بفشـل الطـلاب فـي التـأثير علـى الجـيش قبـل الظهـر بقليـل، واجهـت مثاليـة الشـباب حقيقـة فصـيلة مـن الجنـود الـذين أمـروا الطـلاب بـالعودة ، كانـت القـوات متـوترة للغايـة لدرجـة أن العديـد مـن الأكـاديميين الإثيـوبيين تـدخلوا و

أقنعوا طلابهم بالعودة إلى الحرم الجامعي. أشار انهيار الطلاب إلى نهاية الانقلاب الذي أصبح الآن في مرحلته قبل الأخيرة. في هذه الأثناء، سعى قادة المتمردين إلى عقد صفقة لحفظ ماء الوجه مع الجيش الذي رفض عدة عروض للوساطة. وبالفعل، في الساعة ٥٠:٢ مساءً، في ١٥ ديسمبر، أمر ميريد بشن هجوم واسع النطاق حيث سمع إطلاق نار في جميع أنحاء العاصمة ، في وقت متأخر من بعد الظهر، ألقت إحدى طائرات القوات الجوية منشورات موقعة من البطريرك تندد بالمتمردين وتدعم الإمبراطور، و اخترقت طائرة أخرى حاجز الصوت مما تسبب في دوي انفجار هائل ، في تلك الليلة، شارك الإمبراطور بشكل مباشر في قمع التمرد بفضل السماح له في طريقه إلى الوطن باستخدام شبكة الراديو الدولية التابعة للقوات الجوية الأمريكية للتحدث إلى القادة الموالين ، في صباح يوم ١٦ ديسمبر، و بينما كان هيلا سيلاسي في الجو، قصفت الطائرات النفاثة في أديس أبابا مواقع العدو بالتنسيق مع الهجمات البرية حاملين رسالة من الجنرال ميريد يحذر فيها من أن الجيش سيقاتل حتى قتل آخر متمرد ، توجه السفير الأمريكي ومساعدان له إلى القصر للتوسط لإنهاء القتال وإطلاق سراح الرهائن ، و بينما كان كلا الأمرين قيد المناقشة هاجم الجيش القصر و غادر الأمريكيون بسرعة و قتل المتمردون بدافع اليأس والإحباط خمسة عشر من رهائنهم.
بحلول المساء ، تم تأمين العاصمة ، و كان الإمبراطور في أسمرا حيث تلقى ترحيبًا حارًا هناك ، في ظهر اليوم التالي، عاد هيلا سيلاسي إلى أديس أبابا حيث استقبله في المطار أسفا ووسن وعدد من الجنرالات السعداء و غيرهم من القادة الموالين و البطريرك و كبار المسؤولين

والأرستقراطيين و السفير الأمريكي وملحقيه العسكريين ، و بينما كان الإمبراطور يفكر في أسباب محاولة الانقلاب كانت حكومته تتعقب شخصيات المتمردين الرئيسية والثانوية ، و بحلول ٢٣ ديسمبر، أصبحت منطقة أديس أبابا أكثر هدوءً من قبل و قل إطلاق النار حيث استسلم الحراس في ضواحي المدينة وضواحيها ، مات الكثير من الإنقلابيين من بينهم العقيد ووركنيه الذي اختار الانتحار بدلاً من المخاطرة بعدالة الإمبراطور ، ظلت القوات الموالية تطارد بلا هوادة الأخوين نيواي الذين أُحضروا إلى الأرض عشية عيد الميلاد بالقرب من نازرت على بعد حوالي سبعين كيلومترًا جنوب أديس أبابا بعد تبادل لإطلاق النار قُتل خلالها جيرمامي و أصيب منغستو بجروح خطيرة و لكنه بقي على قيد الحياة لمواجهة محاكمة عسكرية ، في هذه الأثناء، كان هيلا سيلاسي يفتقد الهدف من الانقلاب ، على سبيل المثال، أرجع ثبات إريتريا إلى أنه علامة على الولاء للتاج بدلاً من إعتبار سكان الدولة الفيدرالية الأزمة السالفة الذكر شأنًا داخليًا أمهريًا ، في الواقع، كان هناك الكثير من الاستياء الكامن في إريتريا لأن الحكومة المركزية قوضت استقلالها منذ بداية الاتحاد ، أصبحت المحاكم والمدارس والخدمات الاجتماعية ببطء أجهزة للنظام الإمبراطوري ، و تآكلت الحريات المنصوص عليها في الدستور الإرتيري ؛ و خُنقت الأحزاب السياسية هناك وأُرسلت الشخصيات القيادية إلى المنفى؛ وفُرض استخدام اللغة الأمهرية وسمات أخرى للثقافة الرسمية على السكان ؛ و تم قمع العلم الإرتيري ؛ و في عام ١٩٦٠م ، غُيّر اسم الحكومة الإرتيرية إلى الإدارة الإرتيرية ، علاوة على ذلك ، و رغم حصول إريتريا على تمويلات تنمية

أكثـر مـن أي منطقـة أخـرى فـي إثيوبيـا ، اسـتمرت المـدن والصـناعات التـي كانـت تُعيلهـا احتياجـات النظـامين الاسـتعماري الإيطـالي فـي التـدهور أمـام المتطلبـات الوطنيـة المختلفـة لإثيوبيـا ، و رغـم أن الإمبراطـور كـان راضـيًا عـن الترتيبـات الأمنيـة الحاليـة لإريتريـا، إلا أن التوقعـات علـى المـدى الطويـل كانـت غيـر مؤكـدة ، و كـذلك كـان الحـال بالنسـبة لأديـس أبابـا ، فـرغم أن سـكان المدينـة بـدوا غيـر مبـالين ، إلا أن الانقـلاب لاقـى صـدىً إيجابيًـا بـين المثقفـين والطـلاب ، و بـالطبع بـين شـريحة مـن الجـيش ، كانـت النخـب الجديـدة مهتمـة بالتقـدم ، و أرادت مزيـدًا مـن السـلطة داخـل الحكومـة لإحـداث التغييـر ، إلا أن الإمبراطـور رفـض الاعتـراف بالحاجـة إلـى الإصـلاح ، و نسـب الانقـلاب إلـى مجموعـة صـغيرة مـن الرجـال المتعمـدين الـذين ألحقـت أفعـالهم العـار بإثيوبيـا ، و أشـار هـيلا سيلاسـي إلـى حقيقـة واضـحة وهـي أن الانقـلاب وقـع فـي العاصـمة ، بينمـا ظلـت المحافظـات إمـا سـلمية أو داعمـة للتـاج ، أخيـرًا ، أقنـع الإمبراطـور نفسـه بـأن أهـداف الانقـلاب مطابقـة لهـدف سياسـاته القائمـة ، و أن حكومتـه الجديـدة التـي عُيّنـت فـي فبرايـر ١٩٦١م عكسـت الوضـع الـراهن حيـث عـيّن ثمانيـة و خمسـين شخصًـا فيهـا مـن بيـنهم بعـض المسـؤولين الشـباب الأكفـاء، لكنـه مـنح المناصـب العليـا لأرسـتقراطيين أو عسـكريين لا شـك فـي ولائهـم بتجاهلـه القـوى التـي شـكلت الإنقـلاب المـذكور سـلفا حيـث ألهمتـه الأزمـة الأخيـرة بـذلك و فقـد علـى إثرهـا دعـم التقـدميين الـذين بنـى معهـم الدولـة الحديثـة و اضـطر إلـى الاعتمـاد بشـكل متزايـد علـى القـوة العسـكرية العلنيـة للسـلطة وعلـى الأرسـتقراطية و الأوليغارشـية للـدعم الإداري ، و بمـا أن الأخيـرين مـثلا الطبقـات المالكـة للعقـارات فلـم يـتمكن هـيلا سيلاسـي مـن

تنفيـذ إصـلاح زراعـي كبيـر، و فـي غيابـه عـارض المثقفـون والطـلاب النظـام بهـدوء فـي البدايـة ثـم بشـدة ، فقـدت الملكيـة مصـداقيتها وسـلطتها تـدريجيًا، خاصـة مـع تـورط إثيوبيـا فـي صـراعات مـع إريتريـا و الصـومال بعـدما أصـبحت حكومـة مقديشـو مسـتقلة فـي ١ يوليـو ١٩٦٠م ، و كـان علمهـا الـوطني تحـديًا للدولـة القوميـة الإثيوبيـة حيـث يمثـل أحـد أطـراف نجمتـه الخماسـية أوغـادين التـي يسـكنها الصـوماليون ، فسـعت حكومـة أديـس أبابـا إلـى اسـتيعاب سـكانها الرعـاة و قـام الإمبراطـور بجولـة فـي المنطقـة فـي عـام ١٩٥٦م ، مـذكراً رعيتـه بـأنهم أعضـاء فـي العائلـة الإثيوبيـة الكبـرى ، فـي عـام ١٩٥٧م ، خصصـت الحكومـة ٧ ملايـين دولار لتنميـة أوغـادين و فتحـت فيهـا العديـد مـن المـدارس التـي تـدرس مـع ذلـك باللغـة الأمهريـة، اللغة الوطنية ، التي يجهلها الصوماليون تماما .

بعـد بضـع سـنوات، عينـت أديـس أبابـا مستشـارين صـوماليين لحـاكم أوغـادين الأمهـري وعينـت حكامًـا صـوماليين فـي ثـلاث مـن الحكومـات الفرعيـة الأربـع وفـي إدارات المقاطعـات الـثلاث والعشـرين ، و مـع ذلـك ، لـم تـتمكن جهـود الحكومـة الإثيوبيـة مـن التغلـب علـى جاذبيـة القوميـة الصـومالية حيـث انجـذب شـباب أوغـادين المتعلمـون بشـكل خـاص إلـى فكـرة الصـومال الكبـرى و بـدأوا فـي تنظـيم منظمـات سـرية داعمـة لهـا بعـدما اسـتجابوا لنـداءات إذاعـة مقديشـو المسـتمرة للتحريـر مُعـدّين أنفسـهم للكفـاح المسـلح بعـد أن وجـدوا ذريعـة لهـا فـي فبرايـر/شـباط ١٩٦٣م عنـدما سـعت الحكومـة الإثيوبيـة إلـى فـرض ضـريبة علـى الـرؤوس للمسـاعدة فـي اسـتدامة جهـود التنميـة ، فقـاوم البـدو الصـوماليون الضـريبة بشـدة حتـى أنهـم

قتلوا بعض المسؤولين الإثيوبيين هناك ، و على إثرها اندلعت حرب العصابات على الفور، و دعمت الدولة الصومالية المتمردين ، و بدءًا من يونيو ١٩٦٣م هاجم المتمردون الصوماليون مواقع الشرطة والجيش المعزولة و التي تنازلت عنها الحكومة تاركة للقوميين سيطرة تكتيكية على جزء كبير من أوغادين ، عزز الجيش الإثيوبي المراكز الإدارية و أرسل دوريات آلية هناك ، نصب المتمردون كمائن للعديد منها للحصول على الأسلحة ، أعطى الأداء الضعيف للجيش النظامي القوميين الصوماليين الثقة اللازمة لتوسيع أنشطتهم في خريف عام ١٩٦٣م ، لكن تكتيكات الكر والفر فشلت في إضعاف السيطرة الاستراتيجية لإثيوبيا ، و مع ذلك، تغير الوضع عندما انضمت الصومال علنًا إلى الصراع، وفي نوفمبر ١٩٦٣م وقعت اتفاقية مساعدة عسكرية مع الاتحاد السوفيتي، الذي تعهد بتجهيز جيش صومالي قوامه ٢٠ ألف جندي ، فقرر الإثيوبيون المصدومون قمع التمرد قبل أن يتاح للصوماليين الوقت الكافي لحشد قواتهم ، تحركت الفرقة الثالثة المجهزة أمريكيًا إلى أوغادين بكامل قوتها، وفي منتصف يناير ١٩٦٤م ، هاجمت المراكز الحدودية الصومالية والمدن المجاورة لتحذير مقديشو بالتوقف عن دعم المتمردين ، و بدلاً من ذلك، أعلنت الحكومة الصومالية حالة الطوارئ ونقلت جيشها إلى الحدود ، في البداية، حقق الصوماليون نتائج جيدة ضد الإثيوبيين، لكن المزايا العددية، وخاصة في القوة الجوية، حسمت الأمر لصالح أديس أبابا ، و عندما فشل الصوماليون في الحصول على دعم من دول أفريقية أخرى أو من حاميها السوفيتي ، تفاوضت مقديشو على وقف لإطلاق النار اعتبارًا من ٦ مارس ١٩٦٤م ، ومع ذلك ، غرقت القيادة العليا

الإمبراطورية في الكآبة، أولاً بسبب نجاحات حرب العصابات، وثانيًا بسبب الأداء الضعيف للجيش ، علاوة على ذلك ، كشف القتال عن المشكلة الأساسية للدولة الإمبراطورية ، و هي حقوق القوميات ، فلو أن مقديشو أوفت بالتزاماتها بتمثيل سكان إثيوبيا، لكان الإمبراطور ومستشاروه قد ظنوا أن جماعات عرقية أخرى كانت ستلجأ إلى النضال الوطني وتدمير وحدة الأمة ، و الأدهى من ذلك، أن الاتحاد السوفيتي قد وصل لزعزعة استقرار منطقة القرن الأفريقي، و هو تهديد دفع الحكومة الإثيوبية إلى طلب المزيد من المساعدة الأمريكية حيث أخبر الجنرال ميريد منغيشا (وزير الدفاع منذ عام ١٩٦١م) السفير الأمريكي أن إثيوبيا تواجه أخطر تهديد لها وتحتاج إلى أسلحة أكثر جرأة ، و في خضم حرب فيتنام الباهظة، لم يكن من السهل تغيير واشنطن التي لم تعتقد أن اقتصاد إثيوبيا قادر على تحمل التكاليف الداخلية لجهد عسكري موسع بهذا الشأن ، لذلك، اقترحت وزارة الخارجية أن مشكلة أوغادين و مشاكل أخرى مماثلة يمكن حلها من خلال التنمية الاجتماعية والاقتصادية ومنح الحكم الذاتي ، و كانت واشنطن مستعدة لدعم مشاريع التنمية في المحافظات ، و تسريع تسليم الأسلحة المسموح بها بالفعل، و توفير الدعم اللوجستي والتدريبي غير المكلف نسبيا لحرب مكافحة التمرد ، و رفع قوة الجيش الإثيوبي العملياتية إلى أربعين ألف جندي .

قدر البنتاغون أن هذا العدد كافٍ لاحتواء الصوماليين والتمرد المتنامي في إريتريا ، ففي يوليو/تموز ١٩٦٠م ، أعلنت مجموعة من المنفيين،

معظمهم مسلمون يعيشون في القاهرة تأسيس جبهة تحرير إريتريا حيث أكد بيانها الأول على ضرورة الكفاح المسلح لنيل حقوق إريتريا على الرغم من أن المنظمة ظلت غير فعالة عسكريًا حتى عام ١٩٦٢م عندما نظم المقاتلون – ومعظمهم من الرعاة المسلمين من الأراضي المنخفضة – أنفسهم لمهاجمة المواقع والمستوطنات المعزولة في منطقتي القاش وبركة النائيتين ، و في الوقت نفسه ، أنشأت جبهة تحرير إريتريا فروعاً لها بين الإرتيريين المقيمين في الشرق الأوسط لجمع الأموال و خلايا في الوطن من أجل قتال أكثر كفاءة وعمليات استخباراتية .

بالرغم من هيكليتها غير المتماسكة إلا أن هذه الجماعات الإرتيرية كانت مرتبطة بالمنظمة في القاهرة التي ظلت تبحث أيضًا عن داعم بين العرب حيث انجذب السوريون إلى فكرة دعم تمرد ذي أغلبية مسلمة في بلد فر إليه اللاجئون إلى الولايات المتحدة و إسرائيل ، ففي منتصف عام ١٩٦٣م و بعد وقت قصير من إجبار الجمعية الوطنية الإرتيرية على التصويت لإنهاء الاتحاد و ضم الإقليم بالكامل إلى إثيوبيا وافقت دمشق على توفير تدريب عسكري لثلاثين طالبًا إريتريًا ، و في عام ١٩٦٥م ، استُقبلت مجموعة أخرى تبعتها مجموعات أخرى كل عامين تقريبًا. بحلول عام ١٩٦٦م ، كان هناك حوالي ألف مقاتل ناشط في إريتريا معظمهم في الأراضي المنخفضة الغربية حيث أزعجوا سيطرة إثيوبيا على البلاد دون أن يُضعفوها بشكل كبير.

مالوا هم و قيادتهم في القاهرة إلى اعتبار جهودهم ذات طابع إسلامي، ولكن بحلول نهاية الستينيات، غيّر تصاعد التحريض القومي في

المرتفعات المسيحية في إريتريا كل شيء ، فلقد قاد الطلاب المسيحيون الساخطون من إثيوبيا السابقون الذين استفادوا من الفرص التعليمية الموسعة التي أتاحتها الحكومة المركزية في إريتريا وأماكن أخرى المقاومة ضد أديس أبابا بعدما ردّوا بحدة على جهودها لتقويض الاتحاد ، و قد استاءوا بشكل خاص في أوائل الستينيات عندما حلّت الأمهرية محل التيغرينية،[١٠٧] اللغة الأم لمعظم المسيحيين، والعربية، التي يجلّها المسلمون، كلغة تدريس في المدارس الابتدائية .

اعتبر المثقفون الإرتيريون فرض الأمهرية عائقًا خطيرًا أمام بناء مسيرة مهنية ناجحة إلى جانب اللغة الإيطالية حيث أصبح عليهم الآن تعلم لغة أجنبية أخرى للنجاح في المدارس الحكومية و الالتحاق بالجامعة في أديس أبابا ، و بمجرد وصولهم إلى هناك، شكّل الإرتيريون أكبر مجموعة غير أمهرية و كانوا من بين الأكثر وعيًا سياسيًا ، و نظرًا لتحفظاتهم على الحكم الإثيوبي في إريتريا سرعان ما اتجهوا إلى التطرف الذي هيمن على جامعة أديس أبابا بعد عام ١٩٦٥م .

في عام ١٩٦٢م ، تم دمج عدد من المؤسسات الصغيرة للتعليم العالي لتصبح على إثرها جامعة هيلا سيلاسي الأول في أديس أبابا (قد أعيدت تسميتها بعد ثورة ١٩٧٤م) نظرت الحركة الطلابية الإثيوبية إلى العالم ومشاكله بشكل متزايد من حيث نضال القوى التقدمية ضد الإمبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة ، فبالنسبة للطالب الجامعي الإثيوبي كان هيلا سيلاسي عميلًا للرجعية سمح باستغلال إثيوبيا لصالح الولايات

[١٠٧] اللغة التغرينية هي اللغة الأم للإرتيريين مسلمين و مسيحيين و يهود و ليست اللغة الأم للمسيحيين فقط كما زعم المؤلف ، إلى جانب أن اللغة الإيطالية هي اللغة الأجنبية الأولى في إرتيريا و ليست الإنجليزية أو الأمهرية كما زعم المؤلف مرة أخرى (المترجم) .

المتحدة وحلفائها ، داخليًا، حددوا الأوليغارشية على أنها عدو الشعب مشيرين إلى الأرباح الضخمة التي حققوها من المزارع النموذجية و غيرها من أشكال الزراعة الرأسمالية ، لقد طرحوا فكرة إعطاء الأرض للفلاح و الحد من حجم الملكية و الحقوق ، و هي مفاهيم خاطئة حقًا لاقتصاد كان مزدهرًا ويطور رأس المال من خلال الزراعة التجارية خلال الستينيات وأوائل السبعينيات ، صحيحٌ أن الطلاب كانوا يشهدون عمليةً اقتصاديةً تسببت في أزمةٍ اجتماعية إذ حاصرت النخبُ المراعي المشتركة و قيدت الوصول إلى المياه و طردت المنتجين الأكفاء و أجبرت المستأجرين على دفع إيجاراتٍ باهظة نقدًا أو أسهمًا ، و لم يقتصر المستفيدون على الأوليغارشية بل امتدت يد البرجوازية أيضًا التي اشترت الأراضي لمزارع الشاحنات والمزارع لاستغلال الطلب على البن الإثيوبي والفاصوليا والماشية والأغنام والحبوب حيث انطلقت من أديس أبابا منطقةٌ للتنمية الاقتصادية التي كانت تنمو سنويًا نموا سريعا على حساب غيرها من المناطق الأخرى .

كرر الطلاب بصوت عالٍ مخاوف الفلاحين بشأن نزع ملكية الأراضي الذين كرهوا حقائق النمو الاقتصادي غير المتكافئ و اختاروا بدلاً من ذلك المساواة النظرية لنماذج التنمية الماركسية اللينينية غير المثبتة ، في هذه الأثناء، كان السوفييت مشغولين بتسليح الصومال التي أصبحت بحلول عام ١٩٧٠م الدولة العسكرية الأقوى من حيث نصيب الفرد،في القرن الأفريقي حيث تدعم عشرين ألف جندي بإنفاق قدره ٣٠ مليون دولار أمريكي ، بينما ظلت القوات المسلحة الإثيوبية بين خمسة و

أربعين وخمسين ألفًا مع انخفاض الميزانية المخصصة للجيش فعليًا من ٦٦ مليون دولار أمريكي، أي حوالي ٢٠ في المائة من إجمالي الميزانية البالغة ٣١٧ مليون دولار أمريكي في عام ١٩٧٠م إلى ٦٢ مليون دولار أمريكي أو ١٤ في المائة من ميزانية قدرها ٤٥٦ مليون دولار أمريكي بحلول الثورة الشيوعية .

تمكنت أديس أبابا من احتواء المتمردين الإرتيريين و كبح جماح الصوماليين بنفقات متواضعة نسبيًا و تمكنت بالتالي من تخصيص المزيد من ناتجها القومي الإجمالي قدره ٢.٦٩ مليار دولار أمريكي عام ١٩٧٠م لبرامج التنمية الاقتصادية ، ربما أراد النظام الإمبراطوري إنفاق المزيد على الجيش ، لكن الولايات المتحدة موردها الرئيسي للأسلحة قررت، كسياسة، عدم السماح لإثيوبيا بامتلاك قدرات هجومية، و لذلك وفّرت المال و الأسلحة للأمن الداخلي والدفاع عن الحدود ، في أوائل سبعينيات القرن الماضي ، أصبحت القيادة العليا للإمبراطور قلقة بشأن الصوماليين كمصدر خطر ، كما أن المشكلة الإرتيرية وصلت إلى حد استيعاب ثلث القوة الفعالة للجيش ، خلال أواخر الستينيات، سهلت السياسة المتطرفة للسودان و اليمن الجنوبي تسليم الأسلحة للمقاتلين الإريتريين حيث كان هناك المزيد من المقاتلين منهم أيضًا و ذلك بفضل خلايا جبهة تحرير إريتريا التي تم إنشاؤها حديثًا في أسمرا و التي جندت الطلاب المسيحيين معهم، فنمت الحركة المناهضة لإثيوبيا بقوة كافية لشن هجمات ناجحة على البنية التحتية الإدارية والاقتصادية لإريتريا. استجابت الحكومة ببطء، و طلبت أخيرًا من الإسرائيليين تنظيم قوات

كومانـــدوز لمكافحـــة التمـــرد تتكـــون مـــن فلاحـــين مســـيحيين ، أكـــد قـــرار الحكومـــة الإمبراطوريـــة التعامـــل مـــع إســـرائيل وجهـــة نظـــر ســـوريا بـــأن إثيوبيـــا كانـــت مجـــرد بـــؤرة اســـتيطانية غربيـــة معاديـــة للعـــرب ، و مـــع الـــدول العربيـــة الأخـــرى زادت ســـوريا مـــن مســـاعداتها لجبهـــة تحريـــر إريتريـــا و التـــي بـــدورها واصـــلت الكفـــاح المســـلح بقـــوة أكبـــر. فـــي ديســـمبر ١٩٧٠م ، أعلنـــت الحكومـــة حالـــة الطـــوارئ فـــي أجـــزاء مـــن إريتريـــا واســـتبدلت الحـــاكم المـــدني رأس أســـراتي كاســـا، بجنـــرال عســـكري ، بعـــد ذلـــك، تـــم تطبيـــق الحـــل العســـكري علـــى إريتريـــا ممـــا كلـــف الحكومـــة الكثيـــر مـــن الـــدعم فـــي المرتفعـــات وحفـــز إنشـــاء منظمـــة جديـــدة إلا و هـــي قـــوات التحريـــر الشـــعبية التـــي جنـــدت بـــين المســـيحيين الحضـــريين الصـــغار البرجوازيـــة والفلاحـــون ، فلقـــد اســـتخدمت الحكومـــة القـــوة أيضًـــا فـــي بيـــل و ســـيدامو بـــين عـــامي ١٩٦٣م و١٩٧٠م لقمـــع تمـــرد بـــين مزارعـــي أورومـــو ورعـــاة صـــوماليين الـــذين ارتـــبط نضـــالهم ضـــد الضـــرائب الجديـــدة علـــى الأراضـــي و الحيوانـــات بسياســـات الصـــومال الكبـــرى ، و هـــو مـــا دفـــع الحكومـــة فـــي أواخـــر عـــام ١٩٦٦م إلـــى إصـــدار أمـــر للجـــيش بالتـــدخل ، بحلـــول ذلـــك الوقـــت، كـــان المتمـــردون يســـيطرون علـــى جنـــوب بيـــل و جنـــوب شـــرق ســـيدامو و كـــانوا يهـــاجمون المنـــاطق الشـــمالية كيفمـــا يشـــاؤون ، و علـــى الـــرغم مـــن أن الصـــوماليين و الأورومـــو كـــانوا متفـــرقين ولـــم يحـــاولوا حتـــى التنســـيق فيمـــا بيـــنهم إلا أن إذاعـــة مقديشـــو التـــي تبـــث إلـــى كـــلا المجمـــوعتين شـــددت علـــى ضـــرورة وحـــدة المســـلمين ضـــد الأمهـــرا و إشـــراك الأورومـــو فـــي إطـــار القوميـــة الصـــومالية ، ظـــل الأورومـــو غيـــر مقتنعـــين بنـــداء مقديشـــو لهـــم ، و فـــي أوائـــل عـــام ١٩٦٧م ، لـــم يواجـــه الجـــيش الـــذي أصـــبح قوامـــه الآن لـــواءين صـــعوبة تُـــذكر فـــي تهدئـــة

التمرد في سيدامو ، إلا أن بيل كانت حالة مختلفة تماما حيث اضطر الجنود إلى التنسيق مع القوات الجوية للقضاء على قطعان الماشية وحرمان الصوماليين من المياه ، و بحلول أوائل عام ١٩٧٠م ، تلاشت الثورة هناك و زار الإمبراطور المنطقة لإبلاغ الناس بأن ضرائبهم ستُستثمر من الآن فصاعدًا في مشاريع التنمية ، و كان من بينهم قادة المستقبل لجبهة تحرير شعب إريتريا الأكثر راديكالية وعلمانية .

كشفت التحديات الإرتيرية و بيل أن الحكومة الإثيوبية لم تقم ببرامج اجتماعية واقتصادية كافية لكسب ولاء الشعب حيث لم تكن هناك أحزاب سياسية يمكنها توليد أجندة عمل متنافسة، و ظل البرلمان تحت سيطرة ملاك الأراضي إلى حد كبير ، كان من المستحيل على المؤسسة الحاكمة أن تنظر بجدية في مشاريع القوانين التي تصلح حيازة الأراضي أو تتحكم في الإيجارات أو تفرض ضرائب على الأغنياء ، و بالتالي ، أصبحت القوة بشكل افتراضي الأداة الوحيدة للسيطرة الاجتماعية، ويرجع ذلك جزئيًا إلى أن الإمبراطور أصبح معتمدًا على الجيش لأن حكومته كانت ضعيفة بطبيعتها ، فمن عام ١٩٦١م إلى عام ١٩٦٦م ترأس رئيس الوزراء أكليلو هابتيولد (١٩١٢-١٩٧٤م) ثلاثة عشر وزيرًا كانوا يرفعون تقاريرهم يوميًا إلى الإمبراطور ، بعد ذلك ، مُنح الوزراء سلطةً على وحداتهم و اجتمعوا كحكومة برئاسة أكليلو الذي كان يراجع الإمبراطور للموافقة على السياسات والإجراءات أو رفضها ، احتفظ الإمبراطور بسلطة تعيين رئيس وزرائه وإقالته مع أنه سُمح له بتشكيل حكومته بنفسه ، و رغم تمتع مجلس الوزراء باستقلال نظري بعد عام

١٩٦٦م ، إلا أن الإمبراطور استمر في التعامل معه كهيئة لتنسيق ومعالجة التفاصيل الإدارية العديدة التي أوجدتها البيروقراطية المتنامية ، و طالما وفّر هيلا سيلاسي قيادة قوية، عملت الحكومة بكفاءة ، لكن رفضه تفويض السلطة الحقيقية لم يسمح لأكليلو و آخرين بأن يصبحوا صانعي سياسات مسؤولين ، و ظلّوا أدوات في يد إمبراطور يعتمد بشكل متزايد على الجيش في السلطة ، و مع ذلك ، فقد نبذ النظام الملكي بعض أفراد القوات المسلحة و خاصةً صغار الضباط حيث كان من بين أشدّ المنتقدين مجموعة من الضباط الأذكياء عديمي التسامح الذين أُجبروا على الانضمام إلى الجيش في خمسينيات وستينيات القرن الماضي عندما قررت الحكومة تطوير سلك الضباط ، و كان آخرون و خاصةً في الجيش والقوات الجوية قد التحقوا بدورات ليلية في جامعة أديس أبابا، وأصيبوا بعدوى التطرف الطلابي بمن فيهم منغستو هيلو مريم (١٩٣٥–) (ديكتاتور إثيوبيا الشيوعي من عام ١٩٧٧م إلى عام ١٩٩١م) فلقد سافروا إلى الخارج لتلقي تدريب متقدم وسرعان مما جعلهم يصابون بصدمة حضارية و يدركون مدى تخلف إثيوبيا حقًا عن بقية بلدان العالم المتحضر ، و كما فعل قادة انقلاب عام ١٩٦٠م ألقت الأنواع الثلاثة من المنشقين باللوم على الحكومة لاهتمامها بعبادة الإمبراطور أكثر من اهتمامها بالتنمية ، و شملت لائحة الاتهام القيادة العسكرية العليا التي تم تجنيدها في النخبة الحاكمة من خلال منح الأراضي و غيرها من الامتيازات ، و بما أن الجيش الإثيوبي كان يعمل آنذاك إلى حد كبير على مستوى السرية أو الكتيبة فقد خدم الضباط الصغار غالبًا في بؤر التوتر في الإمبراطورية و رأوا بأنفسهم البؤس الذي نتج عن سياسات

الحكومة الفاشلة ، لذلك تآكلت قاعدة سلطة الإمبراطور بشكل خفي طوال الستينيات ، و في الوقت نفسه ، تدهور اقتصاد إثيوبيا بشكل خطير مما أعاق بشكل كبير نمو البيروقراطية وبرامج التنمية، و كلاهما مهم للبرجوازية التي تعيش في المدن .

جاءت الصدمة الأولى عام ١٩٦٧م ، عندما أغلقت قناة السويس في أعقاب حرب الأيام الستة بين إسرائيل ومصر[١٠٨] مما أدى إلى رفع أسعار السلع المستوردة وصادرات إثيوبيا النقدية و تسبب في التضخم بشكل عام و خفض إيرادات الحكومة من الرسوم الجمركية والرسوم بشكل حاد ، و بفضل ارتفاع أسعار السلع الدولية في عام ١٩٧٢م و الحصاد الممتاز انتعش الاقتصاد المحلي ، و لكن بحلول ذلك الوقت كانت الحكومة تواجه مشكلة خطيرة في تمويل مكافحة التمرد المتزايد في إريتريا وبرامج التنمية والتعليم مما أدى إلى الفشل في توفير المزيد من المدارس والفصول الدراسية والمعلمين و بالتالي إلى إحباط النخب الحضرية التي أرادت مستقبلًا أفضل لأطفالها ، أرفقت التمردات في المقاطعات دلالات شريرة بأديس أبابا بعدم قدرتها على تحسين فرص التعليم في الريف وفي المناطق غير الأمهرية ، فشهد اقتصاد إثيوبيا هزة أخرى في عام ١٩٧٣م ، عندما ارتفعت أسعار النفط بشكل حاد في أعقاب حرب يوم الغفران[١٠٩] مما وفر الخلفية المباشرة لانقلاب عام

[١٠٨] بما أن المؤلف صهيوني النزعة و من أنصار المدرسة التوراتية في التاريخ فإنه يتبنى مصطلحات الإعلام الإسرائيلي لوصف حرب ١٩٦٧ م بحرب الأيام الستة التي إستولت فيها إسرائيل على أراضي الجولان السورية و الضفة الغربية و قطاع غزة الفلسطينيتين و شبه جزيرة سيناء المصرية على طبق من ذهب بتواطؤ من حكام سوريا و الأردن و مصر في ستة أيام رغم أن الحرب لم تنته إلا عام ١٩٦٨م و ليست في ستة أيام كما يزعم الإسرائيليون و إعلامهم المحلي و الإعلام الغربي (المترجم) .

[١٠٩] بما أن المؤلف صهيوني النزعة و من أنصار المدرسة التوراتية في التاريخ فإنه يتبنى مصطلحات الإعلام الإسرائيلي لوصف حرب ١٩٧٣م بحرب يوم الغفران (المترجم) .

١٩٧٤م ، و لكـن هـذه المـرة، تفـاقم الوضـع بشـكل كبيـر بسـبب الجفـاف والمجاعـة فـي منـاطق شـوا و ويلـو و تيغـراي الشـمالية المكتظـة بالسـكان والمزروعـة الخصـبة ، و كشـفت أيضـا الأزمـة المصـاحبة فـي عـامي ١٩٧٣م و ١٩٧٤م أن حكومـة الإمبراطـور لـم تكـن إنسـانية ولا كفـؤة بمـا يكفـي لتلبيـة الاحتياجـات الواضـحة لملايـين رعاياهـا الفقـراء ، كمـا أصـبح تقـاعس أديـس أبابـا بـل إنكارهـا الأولـي للحقـائق المدويـة السـالفة الـذكر فضـيحة دوليـة أثـارت بشـدة المنشـقين وحفـزت آخـرين و خاصـة بـين برجوازيـة العاصـمة علـى أن يصـبحوا نشـطين اجتماعيًـا سـرعان مـا أدرك فيلـق[١١٠] الضـباط الصـغار الـواعين سياسـياً أن الحكومـة المشـلولة تقـدم فرصـة للتغييـر الجـذري وتـدخلوا بسـرعة، فـي البدايـة بشـكل غيـر مباشـر، ثـم بشـكل علنـي. باعتبـارهم فرسـان المجتمـع، حظـي رجـال الجـيش بـدعم متزايـد وهـم يـدمرون النظـام القـديم عمـدًا لقـد خلـق النظـام الملكـي إثيوبيـا جديـدة لـم يعـد بإمكانـه حكمهـا؛ فالأمـة بحاجـة إلـى رجـال جـدد وأفكـار جديـدة ، فـي ١٢ سـبتمبر/أيلـول ١٩٧٤م عـزل الجـيش هـيلا سيلاسـي الأول المختـار مـن الله، ودخلت إثيوبيا مرحلة جديدة كليًا .

بحلـول عـام ١٩٧٣م ، بـدا واضـحا أن القـوة وراء العـرش هـي الجـيش النظـامي ، فاعتقـد معظـم مراقبـي إثيوبيـا أن الجـيش سـيتولى السـلطة بمجـرد وفـاة الإمبراطـور علـى الـرغم مـن أنهـم جميعًـا افترضـوا اسـتمرار النظـام الملكـي و بالتـالي ولاء المجتمـع و الاقتصـاد السياسـي للنظـام القـديم ، لقـد فـتح هـيلا سيلاسـي نفسـه الطريـق أمـام الجنـود بفشـله فـي إنشـاء المؤسسـات

[١١٠] لا ينتقي المؤلف مصطلحاته العلمية بشكل سليم حيث يصف الضباط الصغار في الجيش الإثيوبي بالفيلق رغم علمه علم اليقين بأن الفيلق هي قوات عسكرية نظامية ضخمة مكونة من عدة جيوش نظامية بأسرها و الجيش الإثيوبي لم يعرف نظام الفيالق بل نظام الفرق العسكرية (المترجم) .

اللازمة للحكومة الشعبية و رفضه بسرعة تسمية وريث جديد عندما أصيب ولي العهد أسفا ووسن بسكتة دماغية حادة في يناير ١٩٧٣م[١١١]، وبإعاقة تطور قيادة مستقلة عن التاج. علاوة على ذلك، خلال السبعينيات، بدأت القوى العقلية المهيبة لهيلي سيلاسي في الانزلاق نحو الخرف، مما ساعد في تفسير افتقاره إلى الاستجابة الفعالة لأحداث الانقلاب الذي تطور ببطء والذي بدأ في أوائل عام ١٩٧٤. وقد اندلعت هذه الظاهرة بسبب الكارثة البيئية في شمال إثيوبيا وفي الأراضي المنخفضة في هرجي، وبيل، وسيدامو، وجامو جوفا حيث استنفد الفلاحون احتياطياتهم، وباعوا سلعهم لشراء الطعام، بل وأكلوا حتى بذور الحبوب. وفي حالة من اليأس والجوع، غادر مئات الآلاف منازلهم وتوجهوا إلى المدن، حيث كانوا يأملون في أن توفر لهم الحكومة الإغاثة. وفي تقاريرهم، حجب المسؤولون الإقليميون الخائفون حجم المأساة، وفي أديس أبابا، أنكر المسؤولون في البداية وجود المجاعة ولم يبلغوا الإمبراطور حتى ، وفي غضون ذلك، انتشرت شائعات عن الموتى والمحتضرين في العاصمة، حيث روى سائقو الشاحنات المشاهد المروعة التي رأوها في المقاطعات المدمرة. انتقد الإثيوبيون المتعلمون بسرعة جمود الحكومة ، و عزا الطلاب المناضلون هذا التقاعس إلى طبيعة النظام المعادية للشعب ، على الرغم من أن المجاعة لطالما كانت سمةً من سمات الحياة الإثيوبية إلا أن غياب آلية إغاثة وطنية كان فضيحة لا يضاهيها سوى حظر الحكومة لجميع الأخبار المتعلقة بالكارثة

[١١١] هذا الأمر ليس له علاقة بنجاح الإنقلاب الشيوعي عام ١٩٧٤م لأنه كان سيحدث و سينجح في تحقيق مآربه حتى لو كان هناك ولي عهد قادر على التحكم بزمام الأمور و يشرعن وجوده بإنتمائه للسلالة السليمانية المقدسة وفقا للحسابات الدولية و الداخلية الطارئة كما حدث في ليبيا عام ١٩٦٩م (المترجم) .

والــذي نفــت صــحته رســميًا حتــى مــايو/أيــار ١٩٧٣م قبــل أن تجبــر هــذا الاعتــراف علــى إثــر نتــائج لجنــة خاصــة مــن أســاتذة جامعــة هــيلا سيلاســي الأول، الــذين ســافروا إلــى ويلــو فــي أبريــل/نيســان ١٩٧٣م و عــادوا بصــور وتقريــر يصــف الــدمار الــذي رأوه هنــاك ، و اســتجابةً للانتقــادات المتزايــدة شــكلت الحكومــة لجنــة طــوارئ كافحــت لاحتــواء الأزمــة مــن خــلال حشــد المــوارد الداخليــة ، و رغــم الإنجــازات الكبيــرة فــي مكافحــة المجاعــة و الجفــاف إلا أنهــا لــم تــتمكن مــن التغلــب علــى التــربح والفســاد و رفــض الحكومــات المحليــة و الإقليميــة التنــازل عــن ضــرائبها المحليــة ، كمــا عجــزت عــن تحويــل صــادرات الحبــوب إلــى وكــالات الإغاثــة الدوليــة ، و قــد تناقلــت وســائل الإعــلام الدوليــة هــذا التجاهــل الرســمي الــذي رفضــته الحكومــة الإثيوبيــة ووصــفته بأنــه مُضــلّل و مُبــالغ فيــه ، و مــع ذلــك ، جلبــت التغطيــة الصــحفية والتلفزيونيــة العالميــة إمــدادات إغاثــة كانــت الــبلاد فــي أمــسّ الحاجــة إليهــا و ســاعدت فــي احتــواء المجاعــة عــام ١٩٧٤م ، و هــو العــام الــذي اســتُهل عهــده بــأزمتين اقتصــاديتين متــرابطتين ، الأول نشــأ عــن الزيــادة الحــادة فــي أســعار المنتجــات البتروليــة الناجمــة عــن الحظــر النفطــي مــن قبــل دول منظمــة الأوبــك ، و الثــاني مــن التضــخم المــرتبط بــذلك فــي أســعار الســلع النهائيــة والمــواد الغذائيــة و التــي ارتفعــت بنســبة ٢٠ فــي المائــة و٨٠ فــي المائــة علــى التــوالي ، و شــعورًا بانزعــاج النــاس مــن هــذه الأزمــات بــدأ الطــلاب فــي أديــس أبابــا وأمــاكن أخــرى فــي التحــريض ضــد الحكومــة التــي فرضــت فــي أواخــر ينــاير زيــادة متهــورة بنســبة ٥٠ فــي المائــة علــى تكلفــة البنــزين بينمــا رفضــت زيــادة تعويضــية فــي أجــرة ســيارات الأجــرة والحــافلات حيــث كــان ســائقو ســيارات الأجــرة فــي أديــس أبابــا غاضــبين مــن جــراء ذلــك ،

حيث أضربوا في ١٨ فبراير لعكس ارتفاع الأسعار مؤكدين تصميمهم من خلال إجبار حافلات العاصمة على الخروج من الطرق .

تزامن تحركهم هذا مع إضراب المعلمين للمطالبة بزيادة الأجور وتعزيز الأمن الوظيفي و ضد خطة حكومية تُلزم العديد منهم بالتدريس في مناصب إقليمية ، في هذه الأثناء ، واصل الطلاب ضغطهم ، فخرجوا في إضراب و تظاهروا في الشوارع و رشقوا السيارات الخاصة باهظة الثمن بالحجارة ، و بحلول ١٩ فبراير، ومع اقتراب اجتماع وزراء خارجية منظمة الوحدة الأفريقية، أصبحت شوارع أديس أبابا غير آمنة .

في ٢١ فبراير، أعلنت الحكومة أن الجيش مُنح السلطة الكاملة للتعامل مع الأزمة ، بعد يومين، جاب هيلا سيلاسي منطقة السوق و التقى بالناس ونزع فتيل التوتر ، و عندما ظهر على الهواء مباشرة مساء ذلك اليوم ألقى خطابًا مبتذلًا ومطولًا أعلن فيه عن انخفاض في سعر البنزين و فرض ضوابط على أسعار السلع الأساسية. وحذّر الإمبراطور من أن الجيش سيطبق من الآن فصاعدًا إجراءات صارمة في حالات الاضطرابات المدنية ، و في يوم الاثنين ٢٥ فبراير، بدا أن أديس أبابا قد عادت إلى طبيعتها.

تحول المشهد الآن من اضطرابات مدنية إلى اضطرابات عسكرية ، ففي منتصف يناير اعتقل ضباط الصف في نيجيلي ضباطهم و طلبوا تدخل الإمبراطور لتحسين ظروفهم المعيشية المزرية ، ثم أساءوا معاملة الجنرال المُرسل للتحقيق في الأمر ، بعد شهر من ذلك في بيشوفتو (ديري زيت)، طالب المجندون في مقر قيادة القوات الجوية بتحسين ظروف

العمـــل و زيـــادة الأجـــور ، و فـــي هـــذه المرحلـــة قـــررت الحكومـــة رفـــع رواتـــب العســـكريين بحيـــث عنـــدما يقـــع الحـــدث التـــالي فـــي العاصـــمة يـــوم الأحـــد ٢٤ فبرايـــر كـــان مُجهـــزًا ، ذهـــب الإمبراطـــور بنفســـه إلـــى مقـــر الفرقـــة الأولـــى للتعامـــل مـــع تمـــرد صـــغير و حـــل مظـــالم الجنـــود مـــن خـــلال الوعـــد بتحســـين ظـــروفهم المعيشـــية والإشـــارة إلـــى زيـــادة فـــي رواتـــب العســـكريين بنســـبة ٢٠ بالمائـــة تقريبًـــا (سيحصـــل الجنـــدي علـــى حـــوالي ٤٠ دولارًا أمريكيًـــا شـــهريًا) تـــم الإعـــلان عنهـــا فـــي ذلـــك الصـــباح ، وعلـــى الـــرغم مـــن الراتـــب الجيـــد إلا أن الإعـــلان عنـــه لـــم يمنـــع الأزمـــة فـــي أســـمرا و التـــي بـــدأت فـــي ٢٥ فبرايـــر عنـــدما احتجـــز الرجـــال قـــادتهم و ســـيطروا علـــى جميـــع الاتصـــالات والبنـــوك والمنشـــآت العامـــة المهمـــة هنـــاك ، و بينمـــا أعلنـــوا ولائهـــم للعـــرش – وهـــي ســـمة مميـــزة للجنـــود حتـــى المرحلـــة الأخيـــرة مـــن الانقـــلاب – فقـــد ســـعوا إلـــى زيـــادة الرواتـــب وتحســـين الطعـــام والمزيـــد مـــن الحريـــة لتقـــديم انتقـــاداتهم مـــن خـــلال سلســـلة القيـــادة ، كمـــا أشـــار قـــادة التمـــرد غيـــر المفوضـــين إلـــى إحباطـــات محاربـــة تمـــرد بإمـــدادات وتســـليح غيـــر كـــافيين واقترحـــوا النظـــر فـــي تسوية سياسية .

كانـــت التوصـــية أكثـــر ممـــا يمكـــن للإمبراطـــور أن يتحملـــه ، فـــرفض مطالـــب أســـمرا ، و فـــي ٢٧ فبرايـــر و مـــن علـــى شـــرفة قصـــره، أخبـــر هـــيلا سيلاســـي أن اجتماعًـــا عُقـــد علـــى عجـــل لجنـــود يُفتـــرض أنهـــم موالـــون لـــه و أن الـــبلاد لا تســـتطيع تحمـــل زيـــادة أخـــرى فـــي رواتـــب العســـكريين و أن الأعـــداء يُنســـقون هجومًـــا علـــى وحـــدة إثيوبيـــا و أن علـــيهم القيـــام بـــواجبهم الـــوطني بطاعـــة ضـــباطهم ، تـــم تجاهـــل الـــدعوة إلـــى الوطنيـــة حيـــث انضـــمت الحاميـــات فـــي

جميع أنحاء البلاد إلى التمرد ، في هذه الأثناء ، واصل الطلاب تحريضهم مطالبين الآن بإنهاء النظام الملكي وإصلاح الأراضي و إلغاء الكنيسة الأرثوذكسية و حرية التعبير وغيرها من الحقوق المدنية.

منذ عام ١٩٦٠م ، اعتمد النظام على الجيش للحفاظ على هيمنته ، وعندما انضم جنود العاصمة إلى التمرد أصبحت حكومة هيلا سيلاسي آيلة للسقوط بعدما أضحت عرضة لأعدائها الأيديولوجيين حيث انتشرت شائعاتٌ حول رغبة الجنود في التخلص من الحكومة و رأى رئيس الوزراء، أكليلو هابتيولد أن الأزمة قد تهدأ إذا استقال هو ووزراؤه ، في الساعة الثامنة من مساء يوم ٢٧ فبراير، نقلت نشرة الأخبار المسائية لجمهورها المذهول الإجراء غير المسبوق الذي اتخذته الحكومة ، في صباح اليوم التالي ، تسارعت الأحداث : سيطرت القوات على أديس أبابا و بدأت باعتقال الوزراء السابقين ، حلقت مروحيات الجيش فوق المدينة و ألقت منشورات من وحدات مختلفة تعلن الولاء العسكري للإمبراطور، و تحث الشرطة غير الملتزمة والحرس الإمبراطوري على الانضمام إلى الحركة الثورية .

في القصر، كان هيلا سيلاسي يستمع إلى مستشاريه و إلى شائعات ذلك اليوم دون أن يتمكن على معرفة الكثير عن الحركة العسكرية ، فقرر هيكلًا جديدًا لأجور الجنود و على تعيين الأرستقراطي الشاب إندالكاتشو ماكونين (١٩٢٦-١٩٧٤م) لرئاسة الوزراء و وزيرًا لإشباع رغبة الجيش المزعومة في دماء جديدة في الحكومة ، تلقى إندالكاتشو تعليمه في أكسفورد وخدم الإمبراطور في مجموعة متنوعة من المناصب

و كـان مـؤهلاً للوظيفـة التـي تولاهـا حيـث مثلـت حكومتـه فـي الغالـب النخبـة المتعلمــة بعــد الحــرب بمتوســط عمــر ســبعة و أربعــين عامًــا و كــان ٧٥ بالمائــة مــن أعضــاء مجلــس الــوزراء حاصــلين علــى درجــة البكــالوريوس أو أعلــى و يتحــدثون لغــة أوروبيــة واحــدة أو أكثــر ، كــانوا يــأتون عمومًــا مــن أديــس أبابــا أو شــيوا وكانــت لهــم صــلات بالتــاج أو الأرســتقراطية أو نــبلاء الأراضي دون أن يمثلوا تنوع الإمبراطورية و لا تطلعات الجنود .

أثبــت المــؤتمر الصــحفي الأول لإندالكاتشــيو فــي الأول مــن مــارس أنــه كارثــة حيــث غالبًــا مــا طغــت علــى إجاباتــه المدروســة آلاف الطــلاب الــذين يهتفــون مطــالبين باســتقالته ومــوت أكليلــو ، و فــي الرابــع مــن مــارس، أدت حكومــة الإصــلاح اليمــين الدســتورية و بــدأ رئــيس الــوزراء الجديــد جهــوده لاســتعادة النظــام وإعــادة ترســيخ شــرعية النظــام ، لقــد عمــل فــي بيئــة معاديــة واصــل فيهــا الطــلاب التحــريض مــن أجــل تغييــر جــذري ، حتــى أن اتحــاد نقابــات العمــال الإثيوبيــة (ســيلو) الخجــول هــدد بإضــراب عــام إذا لــم تــتم تلبيــة مطالــب الحــد الأدنــى للأجــور وتحســين ظــروف العمــل ، مــع ذلــك، اعتقـــد إندالكاتشـــو أن الإصـــلاح سينتصـــر ، و فـــي ٥ مـــارس/آذار ضـــغط علـــى الإمبراطـــور لقبـــول تغييـــرات مـــن شـــأنها أن تُحـــوّل إثيوبيـــا إلـــى ملكيـــة دســـتورية ، فـــي ذلـــك المســـاء، ســـمع رعيتـــه هـــيلا سيلاســـي يُبلـــغ عـــن أمـــره بمراجعــة دســتور عــام ١٩٥٥م ممــا ســيجعل رئــيس الــوزراء مســؤولاً أمــام البرلمــان ويضــمن حقوقًــا مدنيــة أكبــر للشــعب ، و رغــم أهميــة هــذه التنــازلات فــي عهــد الإمبراطــور إلا أنهــا كشــفت عــن بُعــد هــيلا سيلاســي و إندالكاتشــو عــن الواقــع السياســي الــراهن حيــث بــدأ الإضــراب العــام لاتحــاد طــلاب

الجامعات الإثيوبية (سيلو) في اليوم التالي كما لو كان لإظهار ازدراء الشعب للحكومة ، و قد حرم هذا الإجراء وما تلاه من إجراءات أخرى النظام من الوقت اللازم للوفاء بوعوده ، و تبددت طاقته في مواجهة مظاهرات العمال والطلاب والمعلمين و المسؤولين الحكوميين والمسلمين والكهنة الأرثوذكس حيث حمل كل واحد منهم منشورات تطالب بالإصلاحات .

لم تتضمن هذه المنشورات سوى إشارات قليلة إلى ماركس أو لينين أو الاشتراكية و لم يطالب أيٌّ منها بالإعدام و لم يهاجم الإمبراطور مباشرةً إلا القليل ، لكن الكثير منها دعا إلى تطبيق الإجراءات القانونية الواجبة ضد المسؤولين الفاسدين والوزراء السابقين حيث هاجمت المنشورات العسكرية كبار الضباط كطبقة ، لكنها عمومًا تناولت نفس النقاط التي تناولتها المنشورات المدنية ، كان الجنود مُصرّين بشكل خاص على إحداث التغيير بأقل قدر من إراقة الدماء ، و دافعوا بقوة عن الوحدة الوطنية ، في غضون ذلك، كان الجيش يُسيّس نفسه ، و كان المتمردون الأوائل من ضباط الصف قد انضم إليهم في وقت مبكر ضباط صف صغار ، لقد كشفت نجاحاتهم السريعة أنه بدون تعاون الجيش ، كانت الحكومة عاجزة عن إستيعاب هذا الإدراك الثوري الذي دفع الضباط والرجال الراديكاليين إلى التفكير في إمكانية حدوث تغييرات سياسية ثورية حيث لم يكن معروفًا عنهم آنذاك ، لكنهم بالتأكيد كانوا متوافقين مع النموذج الذي يمثله منغستو هيلو مريم : مثالي، ملتزم، محسوب، داهية، قاسٍ، وصبور ، أدرك هؤلاء الرجال أنه سيتعين عليهم تشويه سمعة

النظـام الملكـي قبـل إقامـة نظـام ثـوري ، مـا يعنـي أنـه سـيتعين علـيهم تقـويض أي تغييـرات تقدميـة أجرتهـا حكومـة إندالكاتشـو ، بعـد مـارس، كـان الاتجـاه نحـو الثـورة قـد حسـم علـى الـرغم مـن أن رئـيس الـوزراء والإمبراطـور واصـلا مـن مـارس إلـى مـايو علـى طريـق الإصـلاح اعتقـادًا مـنهم أن الاضـطرابات سـتكون قصـيرة الأجـل، فوضـعوا أفكـارًا وخططًـا للتغييـر ، و فـي ٢٦ مـارس ، أعلـن هـيلا سيلاسـي أنـه سـيتم تعيـين لجنـة خاصـة للتحقيـق فـي تهـم الفسـاد الموجهـة ضـد أفـراد داخـل الحكومـة وخارجهـا ، كمـا أعلـن عـن زيـادة الحـد الأدنـى للأجـور للعمـال الأكثـر فقـراً فـي الـبلاد وعـين لجنـة جديـدة لدراسـة ظروف العمل وتقديم توصيات لتحسينها .

فـي التاسـع مـن أبريـل، أصـدرت حكومـة إندالكاتشـو بيانًـا شـاملًا يُحـدد خططهـا لإصـلاح الضـرائب ونظـام حيـازة الأراضـي و تسـريع وتيـرة التنميـة ، لا سـيما فـي الريـف و تضـييق فجـوات الـدخل ، و وصـفت الوثيقـة مشـاكل إثيوبيـا بأنهـا أزمـة وطنيـة ، و تعهـدت ببـذل جهـود حثيثـة مـن جانـب الحكومـة لتحسـين حيـاة الشـعب والحفـاظ علـى الوحـدة الوطنيـة وتقاليـد الـبلاد ، و بعـد عـدة أسـابيع ، أعلـن إندالكاتشـو انتهـاء الرقابـة علـى الصـحافة ، لمـنح الشـعب المعلومـات اللازمـة لمناقشـة القضـايا الوطنيـة الكبـرى التـي تواجـه إثيوبيـا. فـي غضـون ذلـك، كـان الجـيش يُغـرس فيـه أفكـار ماركسـية لينينيـة مكتملـة النضـج مـن قِبـل أيـديولوجيين محليـين أو مـن قِبـل العائـدين مـن المنفـى الأوروبـي والأمريكـي الـذي فرضـوه علـى أنفسـهم ، لـم يشـكك سـوى عـدد قليـل جـدًا مـن الجنـود فـي مـدى ملاءمـة الماركسـية لاقتصـاد إثيوبيـا مـا قبـل الصـناعي بـل إن الضـباط والجنـود الأكثـر نضـالية و وعيًـا اجتماعيًـا قـد

ابتلعوا هذه الأفكار كاملة ، فلقد أرادوا خلع الإمبراطور وحكومة عسكرية تمهيدية للانتخابات من أجل دولة ديمقراطية حقيقية رغم أنهم لم يتمكنوا من إقناع العديد من زملائهم الأكثر تحفظًا الذين شكلوا فصيلًا بقيادة قريب إندالكاتشو العقيد عالم زيود تيسيما قائد الوحدة المحمولة جواً حيث اتخذ العقيد مواقف جذرية مدعيًا أن مجموعته ستضمن تنفيذ الإصلاحات ، و مع ذلك ، فقد تعاون مع الحكومة في إخماد التمردات في القوات الجوية وكسب دخول إندالكاتشو إلى ثكنات مختلفة حيث يمكنه تجنيد المؤيدين لبرنامج الحكومة ، في ١٨ أبريل، التقى رئيس الوزراء بألفي ضابط صف وجندي في مقر الفرقة الرابعة. وقد انتُقد لسماحه للوزراء القدامى بحرية الاستمرار في التأثير على الإمبراطور. ونظرًا لحاجته الماسة للتعاون العسكري، قرر إندالكاتشو احتجاز معظم كبار المسؤولين الإداريين في الحكومة السابقة ، وطلب من أليم زيود الحصول على إذن هيلا سيلاسي. ولم يوافق الإمبراطور إلا بعد أن تأكد من أن المسؤولين السابقين سيتمتعون بالإجراءات القانونية الواجبة. وسلم النظام القديم نفسه بإخلاص إلى إندالكاتشو والجنود ، دون أن يدرك أن رئيس الوزراء استخدمهم لكسب نقاط سياسية و أن الإمبراطور كان عاجزًا عن حمايتهم ، و نظرًا لعجز هيلا سيلاسي و اعتماد إندالكاتشو الواضح على أليم زيود قرر المتطرفون المضي قدمًا في برنامجهم المؤدي إلى جمهورية ديمقراطية ، فتألفت القيادة من اثني عشر إلى ستة عشر ضابطًا معظمهم من خريجي أكاديمية هوليتا العسكرية التي قبلت المجندين من الرتب الأدنى ، و اتحدوا في انتقاد فشل الحكومة المستمر في إجراء إصلاحات جادة و طلبوا من المنظمات

العسكرية الإثيوبية إرسال مندوبين إلى أديس أبابا في أواخر يونيو لحضور اجتماع مهم لمناقشة مستقبل البلاد .

كانت رسالتهم مغرية لدرجة أنه في ٢٢ يونيو، فقد عالم زويد السيطرة على منظمته وحتى على قواته المظلية. في ٢٧-٢٨ يونيو، شكل الممثلون العسكريون أنفسهم لجنة تنسيق القوات المسلحة (بالأمهرية، ديرج، أو "اللجنة") ، خلال اجتماعاتها، نهض عدد من الضباط للتحدث، فلم يكن أي منهم أكثر بلاغة من الرائد منغستو هيلو مريم من الفرقة الثالثة في هرر الذي أصبح رئيسًا للجنة التنسيقية حيث أعاد النظام إلى الإجراءات الصاخبة و بلور مطالب الديرغ و أخبر زملاءه أن لا شيء أهم من وحدة الجيش و الأمة ، و ربما يكون قد طرح شعار "إثيوبيا فوق الجميع" الذي لا يزال قويًا حتى يومنا هذا .

أمر الديرغ باعتقال كبار رجال النظام القديم وكبار الشخصيات، بمن فيهم رأس أسراتي كاسا القوي ، و لأنه لم يكن مستعدًا لأمر الحرس الإمبراطوري بالتدخل و بالتالي التسبب في حرب أهلية عجز الإمبراطور عن إيقاف الديرغ و كذلك إندالكاتشو الذي انهارت حكومته بعد استقالة بعض أعضائه الأكثر بصيرة و نفيهم ، امتلأ شهرا يوليو وأغسطس بمرارة على الإمبراطور الذي كان يزداد ضعفًا بعدما استمع إلى تصريحات الديرغ المتكررة بالولاء، بينما كان يشاهدها و هي تدمر أسس النظام الملكي ، و رغم أنه رفض في كثير من الأحيان الموافقة على أوامر لجنة التنسيق إلا أن اعتراضه قوبل بالتجاهل ، فراقب عاجزًا رجال النظام العسكري و هم يعتقلون أصدقاءه القدامى و مستشاريه الموثوق بهم و

يفككون المؤسسات التي أسسها و حكم من خلالها و يجبرون إندالكاتشو على التنحي عن السلطة في ٢٢ يوليو ، كان بديله ميكائيل إمرو (١٩٢٦-) خريج أكسفورد و الذي تلاعب به الديرغ منذ البداية بعدما نظمت نفسها في إحدى عشرة لجنة للإشراف على الحياة العامة وضبط الثورة التي قررت رعايتها ، لم يكن لدى ميكائيل حقًا فرصة لاتباع سياسة مستقلة ، لكنه وفر غطاءً من الشرعية لقرارات الديرغ سرعان ما كشف الجيش عن حقيقته و معارضته لجميع المدنيين .

مبادرات تهدف إلى إنهاء الأزمة :

عندما أعلنت اللجنة الدستورية في ٧ أغسطس، و التي جاءت نتيجة ضغط الديرغ أنها ستوصي بملكية دستورية ليبرالية ديمقراطية أبدت الديرغ عدم اهتمام شبه تام بمقرراتها ولم تسمح بنشر الوثيقة الخاصة بها ، علاوة على ذلك، سعت باستمرار إلى توجيه لجنة مكافحة الفساد نحو هدفها طويل الأمد المتمثل في تخليص البلاد من الملكية ، و قد اتضح ذلك جليًا طوال النصف الأول من أغسطس حيث حيّد الديرغ ببراعة و دقة آخر المؤسسات التي دعمت الملكية وحافظت عليها بعدما قُطعت عن الإمبراطور حراسه الشخصيون و مجلسه الخاص و مجلس تاجه و محكمته الخاصة و مستشاريه .

في القصر، كان أتباع هيلا سيلاسي يراقبون يوميًا جميع الإجراءات الرسمية المحيطة بالحضور الإمبراطوري ، و لكن بخلاف ذلك كان البلاط مكانًا فارغًا خالٍ من السلطة و كان ساكنه الرئيسي قيد الإقامة الجبرية تقريبًا في أجزاء من القصر حيث لم يعد بإمكان الإمبراطور القديم الذهاب إلى أي مكان يرغب إليه ، كان أعضاء الديرغ يتصفحون الملفات بحثًا عن معلومات لاستخدامها في تدمير كاريزما هيلا سيلاسي المقدسة المثيرة للقلق ، فخلال النصف الثاني من شهر أغسطس، نشرت منشورات في العاصمة أكاذيب حول حجم ثروة الإمبراطور و الأرباح التي حققتها ممتلكاته و أعماله و أنصاف حقائق حول الرفاهية والامتيازات التي عاشت فيها العائلة الإمبراطورية حيث وصفت أفراد العائلة المالكة والطبقة الحاكمة بأكملها بالفساد و أُلقيَ عليهم اللوم حتى في كثرة

العاهرات و الحانات في العاصمة و وُصِفَ الإمبراطور و رجاله بأنهم لا يهتمون إلا بالسلطة والثروة لا برفاهية الشعب ، و بلغت حملة التشهير ذروتها مساء الحادي عشر من سبتمبر، عندما بثَّت محطة تلفزيون العاصمة برنامجين ، أحدهما يقارن حياة الناس بالوسائل المريحة التي توفرها كلاب الإمبراطور، و الآخر نسخة معدلة من برنامج بي بي سي في العام السابق عن المجاعة و الذي تخلله صور المأساة مع لقطات للحياة الباذخة التي تعيشها العائلة الإمبراطورية والأرستقراطية .

في اليوم التالي، و مع عزل أديس أبابا عن العالم و فرض حظر التجول ، ذهبت مجموعة صغيرة من الضباط إلى القصر، و في الساعة ٦:٠٠ صباحًا، استدعوا هيلا سيلاسي حيث ظهر بزيه الرسمي الكامل و بكرامة كبيرة وقف فخورًا و منتصبًا بينما قرأ ضابط متوتر إعلانًا عن خلعه من العرش ، أعلن الرجل العجوز قبوله إذا كان ذلك من أجل مصلحة الشعب[١١٢] ، و تم اصطحابه إلى الخارج ، حيث أخذته سيارة تنتظره ومرافقة صغيرة إلى مقر الفرقة الرابعة ، في غضون ذلك ، أفادت إذاعة أديس أبابا أن إثيوبيا قد تحررت من قمع هيلا سيلاسي من قبل مجلس الإدارة العسكري المؤقت - أحفاد اللجنة التنسيقية - الذي ألغى البرلمان وعلق الدستور .

كانت الإدارة الجديدة التي لا تزال تُعرف شعبياً باسم الديرغ بقيادة الجنرال أمان ميكائيل أندوم (١٩٢٤-١٩٧٤م) الذي يحظى باحترام

[١١٢] يبدو أن كره المؤلف للشيوعيين و أنظمتهم الراديكالية جعلته يتعاطف مع الإمبراطور هيلاسلاسي و يتغاضى عن جرائمه البشعة التي إرتكبها بحق شعبه الإثيوبي بإسم السلالة السليمانية المقدسة التي يدعي إنتماؤه إليها كما أكد على ذلك الكاتب اليمني الراحل محمد أحمد عبد الولي الذي عاش في إثيوبيا منذ نعومة أظافره و مقالة مراسل البي بي سي البريطانية (السقوط) و المنشورة مترجمة في مجلة الجيل اللبنانية عام ١٩٨٥م (المترجم) .

كبير لأنه انتصر في الحرب ضد الصومال عام ١٩٦٥م و دفع من أجل الإصلاحات الديمقراطية التي تم بسببها تهميشه في مجلس الشيوخ ، و تعاون مع الجيش منذ البداية ، في الواقع ، كان وزيراً للدفاع في حكومة ميكائيل إمرو وكان له دور رئيسي في الانقلاب الأبيض المتكشف ، فضلا عن كونه إريترياً أعطاه ميزة أخرى حيث كان لا بد من حل الأزمة في الشمال قبل أن تتمكن الحكومة من إعادة توجيه الأموال إلى التنمية الاقتصادية ، و على الرغم من أنه كان رئيسًا للدولة و الحكومة و وزيرًا للدفاع و رئيسًا للأركان إلا أنه لم يُعيَّن رئيسًا للجنة التنسيقية أبدا ، و مرة أخرى، عُزل الحاكم الفعلي عن مصدر السلطة والنفوذ الحقيقيين ، و في غضون ذلك، واصل العديد من الطلاب والعائدين والنقابيين العماليين في أديس أبابا التحريض من أجل نظام مدني ، وقد حجبت هذه المعارضة خلافات سياسية خطيرة بين الجيش الذي كان يواجه عددًا من المشاكل الصعبة التي يتعين حلها :

(١) واجبات رئيس الدولة والحكومة .

(٢) مصير المعتقلين .

(٣) الأزمة الإرتيرية .

(٤) الإصلاح الزراعي .

(٥) تنظيم الحكومة الجديدة .

.

اتخـذ الجنـرال أمـان و عـدداً مـن الضـباط المحـافظين نهجًـا معتـدلاً تجـاه هـذه الأسـئلة بينمـا أرادت القيـادة فـي الـديرغ برئاسـة منغسـتو حلـولاً جذريـة ، فـي نـوفمبر، شـعر أمـان بالإحبـاط مـن تجاهـل اللجنـة التنسـيقية لتوصـياته بشـأن المصـالحة فـي إريتريـا والعـودة إلـى الاتحـاد و الإجـراءات القانونيـة الواجبـة للسـجناء و تحريـر الأميـرات الإمبراطوريـات و إقامـة جمهوريـة ديمقراطيـة مـن خـلال اسـتفتاء عـام لمتابعـة برنامجـه ، فانضـم إلـى مـؤامرة مـدبرة مـن قبـل الجنـود المناهضـين للـديرغ و عـدد قليـل مـن الجنـرالات الإمبراطـوريين و الأرسـتقراطيين ، لكنـه ارتكـب خطـأ فادحـا عنـد مناقشـة الخطـط علـى هاتفـه الخاضـع للتنصـت ، فعُـرض دليـل تواطـؤ أمـان علـى اجتمـاع تـم ترتيبـه علـى عجـل للـديرغ فـي ٢٢ نـوفمبر ، مثلـت القـرارات المتخـذة فـي ذلـك اليـوم انتصـارًا للمتشـددين الـذين عارضـوا المواقـف المعتدلـة التـي تبناهـا أمـان معتقـدين أن التأسـيس السـريع للجمهوريـة سـينهي الثـورة قبـل أن تبـدأ ، و علـى هـذا الأسـاس و لأسـباب قوميـة كـان مـن الخطـأ الرضـوخ لحركـات التحريـر فـي إريتريـا ، و أنـه يجـب إعـدام مسـؤولي النظـام القـديم دون محاكمـة ، و فـي خطـاب نـاري حـثّ منغسـتو جمهـوره علـى التطلـع إلـى المسـتقبل: إثيوبيـا بحاجـة إلـى إصـلاح زراعـي، ووحـدة وطنيـة ، و ثـورة شـيوعية حيـث أعلـن أن الـرجعيين تسـللوا إلـى نظـام الـديرغ، و أنهـم يتـآمرون مـع فلـول النظـام القـديم لإعـادة الوضـع إلـى مـا كـان عليـه ، علـى إثـر ذلـك، صـوتت لجنـة بـي ام ايـه سـي علـى عـزل أمـان مـن منصـبه ، وفـي تلـك الليلـة عنـدما قـاوم الاعتقـال قُتـل فـي الاشـتباك الـذي تـلا ذلـك ، بعـد ذلـك بوقـت قصـير، و فـي اجتمـاع عُقـد علـى عجـل أصـر منغسـتو علـى تطبيـق العدالـة المـوجزة علـى المسـؤولين السـابقين المعتقلـين الـذين سـيتم الإعـلان

عن وفاتهم في اليوم التالي مع إعلان إعدام أمان ، جادل منغستو بأن الشعب الإثيوبي يسعى للانتقام و أن الثورة بحاجة إلى بيان جريء للنوايا. رغم المعارضة التي قوبل بها هذا الإجراء المفاجئ، لم يمتلك أحد الشجاعة لمعارضة الإجراءات التعسفية والمتقلبة التي أسفرت عن إدانة تسعة و خمسين رجلاً ، من بينهم جنرالات و مسؤولون حكوميون و أرستقراطيون و أفراد من العائلة المالكة ، و قد صدم الإعدام اللاحق الذي اعتبره كثير من الإثيوبيين مجزرة الأمة و العالم اللذين آمنا بالانقلاب غير الدموي.

لقد كشف هذا الحدث أن نظامًا عسكريًا قاسيًا سيسيطر على إثيوبيا لاحقا ، و أنه لن يبني على أسس النظام القديم ، و بدلاً من ذلك و بعد أن لطختها الدماء، اتبعت اللجنة التنسيقية مسارها الخاص ، و في ٢٠ ديسمبر/كانون الأول ، أصدرت الحكومة إعلانها الاشتراكي الذي نص على دولة الحزب الواحد و الملكية العامة للقطاعات الرئيسية من الاقتصاد و الزراعة الجماعية ، و دعت الوثيقة إلى الوحدة الوطنية و تكافؤ الفرص لجميع الجماعات العرقية والدينية والثقافية والدينية .

شهد العام الجديد تأميم المؤسسات المالية الخاصة، و في فبراير ١٩٧٥م ، تم تأميم معظم الصناعات الإثيوبية بما في ذلك جميع الشركات المملوكة للأجانب ، حتى ذلك الحين ، اتبع الجيش عملية ثورية أفريقية تقليدية مستبدلاً نخبة بأخرى ، و على الرغم من أن الأجانب كانوا قلقين بشأن خطاب النظام المتطرف و التزامه بحقوق الإنسان إلا أن قلة اعتقدوا أن الجيش سيواصل التحرك يسارًا، خاصة و أن الإعلان

حدد أيضًا أن السياسة الخارجية الإثيوبية ستبقى دون تغيير تاركًا البلاد متحالفة مع الولايات المتحدة المحافظة ، و مع ذلك، احتاجت الحكومة إلى نجاح شعبي كبير لحشد الدعم المدني ، كما تطلبت إجماعًا وطنيًا من أجل تعبئة الرجال والعتاد لمواجهة الوضع العسكري المتدهور في إريتريا ، و قد صُدم الجيش هناك بوفاة أمان، و بقي في حصونه ، بينما كثف الانفصاليون أنشطتهم و حرروا المنطقة تلو الأخرى ، و لكسب قلوب و عقول أغلبية شعب الأورومو تصور أعضاء اليسار في الديرغ بقيادة منغستو أنه سيتحقق ذلك عبر إصلاح زراعي جذري هناك .

إعلان الاشتراكية :

أدى الجنرال تافيري بنتي، رئيس الدولة الجديد التحية العسكرية لتصحيح مصادرات الأراضي التي حدثت في عهدي منليك و هيلا سيلاسي ، إن تحقيق شعار الثورة الرائد، "الأرض للفلاح"، من شأنه أن يقضي على الاقتصاد السياسي القائم على المحسوبية و المحاصيل المشتركة السائدة في جنوب إثيوبيا منذ عشرينيات القرن الماضي، و أن يوقف نمو الزراعة الرأسمالية الممتد في جميع الاتجاهات من أديس أبابا ، طلاب يرتدون زي حملة التنمية من خلال التعاون ، ينتظرون المرور أمام منصة المراجعة من ٢٠ ديسمبر ١٩٧٤م حتى ٤ مارس ١٩٧٥م ، أصدر الديرغ الإعلان رقم ٣١ الذي أمم من خلاله جميع الأراضي الريفية و سمح للأسر الزراعية بالانتفاع بما يصل إلى عشرة هكتارات ، و أنشأ جمعية الفلاحين (بي ايه) كمنظمة جماهيرية جديدة و كجهاز حكومي حيث سيتم تخصيص مساحة ٨٠٠ هكتار لكل جمعية فلاحية ، و سينتخب أعضاؤها من المزارعين المجتمعين في جمعية عامة قيادتها الخاصة مع صلاحيات محلية واسعة، فلقد حلت الجمعيات الفلاحية محل إدارات المقاطعات الفرعية للنظام القديم حيث مُنحوا سلطتهم على الأمن الداخلي و الحياة الاقتصادية ، كما أصبحوا مسؤولين عن إعادة التوزيع العادل للأراضي داخل نطاق اختصاصاتهم ، و لتسريع التغييرات ، قرر الديرغ بذكاء استخدام طلاب المدارس الثانوية والجامعات وموظفيها في حملة التنمية من خلال التعاونيات (الزاماشا) حيث ساعد الشباب في تنفيذ الإصلاح الزراعي و في إنشاء المناطق الشعبية و لكن

كان لا بد من كبح جماحهم في بعض الأحيان عن المضي قدمًا في التجميع و توزيع العدالة الثورية على ملاك الأراضي السابقين والمسؤولين النازحين من النظام القديم ، فقد أظهر رد فعل الطلاب على الزاماشا أن السكان المدنيين الأصغر سنًا والمتعلمين كانوا أكثر راديكالية من الحكومة ، و مع ذلك ، لم يكن هذا الوضع في الريف بل في المدن حيث تم لعب التناقض ، ففي ٢٦ يوليو ١٩٧٥م ، أصدرت الحكومة الإعلان رقم ٢٧ الذي أمم بموجبه الأراضي الحضرية رغم أنه سمح للأفراد بملكية منزل واحد و استخدام ما يصل إلى خمسمائة متر مربع لأغراض سكنية بعدما تمت مصادرة المساكن الإضافية و انخفضت الإيجارات بشكل حاد و خاصة للأسر ذات الدخل المنخفض ، كما نص الإعلان أيضًا على إنشاء منظمات الأحياء أو كيبيلاي، و هو المعادل الحضري لجمعيات الفلاحين ، فلقد جمعت كيبيلاي جميع الإيجارات على المنازل الصغيرة و استخدمت عائداتها لتمويل الخدمات الاجتماعية لأعضائها حيث ضمّ هذا الأخير جميع البالغين المقيمين ضمن نطاق الكيبلاي و انتخبوا لجنةً سياسيةً مسؤولةً عن مهام المنظمة رغم محاولة الحكومة التلاعب بنتائج هذه الانتخابات منذ البداية للسيطرة على المراكز الحضرية .

في بلدات و مدن إثيوبيا عاشت الطبقات المُسيّسة في البلاد، و التي ضمّت مزيجًا من الطلاب و أعضاء النقابات العمالية و المعلمين و البيروقراطيين و العائدين و حتى فتيان الشوارع وغيرهم من أفراد البروليتاريا الرثة المُلِمّين بالحياة الحضرية ، و قد ساهم هذا الأخير في

تنامي صفوف المظاهرات العديدة التي تخللتها الانهيار البطيء للنظام القديم لتصبح في هذه الأثناء عاملًا سياسيًا رئيسيًا ، لكن في عامي ١٩٧٥م و ١٩٧٦م تراجعت أهميتهما المباشرة في مواجهة الصراعات الأيديولوجية التي هيمنت على العلاقات بين الجيش و الطبقة المثقفة التي انقسمت بدورها آنذاك إلى أحزاب ماركسية لينينية خاضت حربًا إعلامية متشددة و رمزية سعيًا وراء دعم مواقفها النظرية المتقنة ، و أصبح حزب الشعب الثوري الإثيوبي و حركة عموم إثيوبيا الاشتراكية (اختصارًا بالأمهرية ميسون) يمثلان الخطين الرئيسيين للفكر الراديكالي.

كان ميسون يهيمن عليه المثقفون المدربون في فرنسا بقيادة هايلي فيدا (الذي يُفترض أنه أُعدم عام ١٩٧٨م) و الذين آمنوا بتقرير المصير داخل إثيوبيا للأقليات والقوميات ، لقد اعتقدوا بغطرسة تامة أنه يمكن ترويض الديرغ تمامًا للإشتراكية العلمية بحيث تنقل السلطة إلى الحزب ، و نظرًا لأن ميسون وقفت بصراحة من أجل الوحدة الإثيوبية فقد قرر الجيش استخدام أفكاره لأغراضه الخاصة ، لذلك كان لأعضاء ميسون دور حاسم في تطوير إصلاحات الأراضي الريفية والحضرية و وفروا رجالًا موثوقًا بهم للمناصب الحكومية المهمة و ساعدوا في إنشاء مدرسة يكاتيت ٦٦ السياسية المهمة في ديسمبر ١٩٧٦م لتدريب الكوادر والمكتب المؤقت للشؤون التنظيمية الجماهيرية (بوموا) لتسييس الجماهير العريضة في إثيوبيا. كان منظرو ميسون مسؤولين إلى حد كبير عن برنامج الثورة الديمقراطية الوطنية (ان دي ار بي ١٩٤) الذي قدم

أجندة سياسية ، كان إصداره في أبريل ١٩٧٦م من فعل منجستو في الغالب حيث واصل هو وحلفاؤه في الديرغ دفع البلاد نحو اليسار .

أدت التزاماتها الجريئة بـ"الاشتراكية العلمية" وحزب بروليتاري طليعي إلى نفور واشنطن عن إثيوبيا في الوقت الذي ساعدت فيه على إقناع موسكو بأن الأحداث في إثيوبيا تسير على مسار ثوري سليم ، و بعبارات مألوفة لدى الكتلة الشرقية منح الحزب الوطني الديمقراطي الإثيوبي القوميات استقلالية ذاتية ضمن إثيوبيا موحدة و أعلن حربًا طبقية على الرأسمالية البيروقراطية و الإقطاع و الإمبريالية أعداء الجماهير العريضة ، و نص على تنمية اقتصادية شاملة وفق خطة مركزية تسترشد بالمبادئ الاشتراكية و منح القوات المسلحة دورًا أساسيًا في حماية وحدة أراضي البلاد و رسم ملامح قيام جمهورية ديمقراطية شعبية ، و برزت الدولة الجديدة بعد فترة من الحوار بين المنظمات السياسية التي شكلها المزارعون والبرجوازية الوطنية و البروليتاريون – و كان لهذه الأخيرة دور قيادي سيؤدي التماسك السياسي إلى تشكيل منظمة أكبر – تنقل إليها حكومة "الديرغ" السلطة ، و في الوقت نفسه، سيُسهّل حزب "بوموا" العملية السياسية ويساعد في تهيئة بيئة مستقرة لإنشاء جمهورية إثيوبيا الديمقراطية الشعبية .

أزعجت الإدارة الفوقية للثورة حزب الشعب الإثيوبي الشعبي الذي تلقى معظم أعضائه تعليمهم أو تعليمهم في الولايات المتحدة بشدة سعى الحزب إلى منح الفلاحين و البروليتاريا أولوية سياسية مباشرة في ظل ديكتاتورية الطبقة العاملة ، و رأى الحزب أن الجيش لا يستحق أي دور

انتقالي و عليه العودة فورًا إلى ثكناته للاستعداد لقبول السلطة المدنية عليه حيث اعتبر الجيش انتهازيًا سرق برامجه وأفكاره وأيديولوجيته ، بينما سعى الحزب إلى دولة قائمة على الانتخابات والسلطة الشعبية حتى على حساب سيادة الدولة ، قبل الحزب النضال النظري للقوميات للانفصال عن إثيوبيا، مع أنه فضّل أن يبني شعوب الإمبراطورية دولة قائمة على احترام الاستقلال الثقافي ، في مايو ١٩٧٦م ، و في ضوء رؤية الحزب الوطني الإثيوبي الشعبي عرض الديرغ إجراء مناقشات مع الحركات التقدمية في إريتريا في محاولة فعلية منه لفصل جبهة تحرير شعب إريتريا ذات التوجه الماركسي عن جبهة تحرير إريتريا الأكثر محافظة ، بحلول ذلك الوقت، كانت الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا متفوقة في صراعها الداخلي على السلطة و كانت حربها ضد أديس أبابا تسير على ما يرام حيث كان خمسة وعشرون ألف جندي تابعون للحكومة يخوضون معركةً في شرق إريتريا بعد أن تخلوا عن الغرب للمتمردين عام ١٩٧٥م .

خلال موسم الأمطار عام ١٩٧٦م ، رفضت الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا مساعي الديرغ و حاصرت تقريبًا جميع معاقل الجيش ، ردّت الحكومة بتنظيم "مسيرة حمراء" عفوية على إريتريا، شارك فيها فلاحون غير مدربين و ضعيفي التسليح ، ممن وُعدوا بالأرض نظير جهودهم ، أثبتت الحملة أنها كارثة عسكرية ، إذ وجّه الإرتيريون المنضبطون أسلحتهم الحديثة نحو الفلاحين المساكين ، و كانت العواقب السياسية وخيمة إذ اعتبرت جبهة تحرير شعب تيغراي المُشكّلة حديثًا المسيرة

الحمــراء دلـيلًا علـى رفـض النظـام النظـر فـي الحكـم الـذاتي الإقليمـي، وانضمت إلى الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا في صدّ المُشاركين .

طـوال عـام ١٩٧٧م ، سـاء الوضـع هنـاك حيـث هـددت الجبهـة الشـعبية لتحريـر تيغـراي سـيطرة أديـس أبابـا علـى الطريـق السـريع الحيـوي شـمالاً إلـى أسـمرا بعـدما اسـتولت الجبهـة الشـعبية لتحريـر إريتريـا علـى معظـم شـرق إريتريـا و لـم يتبـق سـوى المراكـز الرئيسـية فـي أيـدي الحكومـة ، فـي أديـس أبابـا، راقبـت النخبـة المثقفـة بقلـق اسـتمرار الحكومـة فـي جهودهـا لحـل الأزمـة السياسـية بالوسـائل العسـكرية ، امـتلأت صـفوف حـزب الشـعب الجمهـوري الإثيـوبي بسـكان المـدن الـذين اعتقـدوا أن المـدنيين قـد يحققـون نجاحًـا أكبـر مـع الجبهـة الشـعبية لتحريـر إريتريـا ، و هـي وجهـة نظـر تبناهـا الـبعض فـي الـديرغ ، فـي يوليـو ١٩٧٦م ، شـن ضـباط معتـدلون بقيـادة الرائـد سيسـاي هـابتي انقلابًـا فاشـلاً ضـد منغسـتو ، أدى فشـل حـزب الشـعب الإثيـوبي الشـعبي فـي الإنقـلاب إلـى شـن حـرب عصـابات فـي المـدن و التـي بـدأها فـي ١٢ سـبتمبر خـلال العـرض العسـكري للاحتفـال بالـذكرى الثانيـة لخلـع هـيلا سيلاسـي ، و مـع تزايـد العنـف أعـرب أعضـاء الـديرغ مـرة أخـرى عـن تحفظـاتهم بشـأن الإخفاقـات الواضـحة للحكومـة فـي إنهـاء القتـال فـي إريتريـا وهزيمـة المعارضـين السياسـيين ، فـي ديسـمبر ١٩٧٦م ، صـوّت ائـتلاف علـى تقلـيص صـلاحيات منغسـتو التنفيذيـة ، و فـي أواخـر ينـاير ١٩٧٧م ، ألقـى الجنـرال تافـاري بينتـي خليفـة أمـان فـي رئاسـة الدولـة ، خطابًـا دعـا فيـه إلـى إجـراء مفاوضـات مـع الإرتيـريين و المعارضـة المدنيـة ،

في ٣ فبراير ، اعتقل منغستو و أنصاره المتشددين من جانب واحد الجنرال تافاري و خمسة من أقرب حلفائه باستخدام أدلة ملفقة .

اتهمهم منغستو بالتآمر مع حزب الشعب الجمهوري الإثيوبي لإسقاطه و قمع منظمة ميسون، و أجبرهم على عقد اجتماع جماهيري متردد للديرغ لإدانة الرجال الذين أُعدموا على الفور ، في ١٢ فبراير، أعلن الديرغ منغستو رئيسًا للدولة ورئيسًا لها جاعلاً إياه القائد الوحيد للثورة ، بعد ذلك قرر تحطيم حزب الشعب الجمهوري الإثيوبي بمنح القبائل صلاحيات شرطة واسعة ليمارسها الحرس الثوري المختار من بين البروليتاريا الرثة ، عندما أعلن "الإرهاب الأحمر" قام الحراس بشن حرب ضد أعضاء حزب المتعلمين نسبيًا و المستقرين اقتصاديًا و حلفائه الطلبة خلال عام ١٩٧٧م و هو العام الذي استغرقه تفكيك حزب الشعب الجمهوري ، فسادت الفوضى في أديس أبابا ، و في المراكز الحضرية الرئيسية و حتى في الريف ، ارتُكبت أهوالا لا توصف على سكان مدنيين عزل إلى حد كبير من أجل النقاء العقائدي والجماهير العريضة و الديمقراطية و السلامة الوطنية و الحكم المدني ، ومع ذلك ، فقد امتلكت الحكومة جماهير المدن و التاريخ والأسلحة إلى جانبها، و في النهاية أنهكت حزب الشعب الجمهوري مما أسفر عن مقتل أو إجبار الآلاف من أفضل شباب إثيوبيا تعليمًا ومثاليًا على النفي.

كان الإرهاب الأحمر صادمًا لدرجة أنه لم تكن هناك معارضة مدنية علنية تقريبًا للديرغ ، في الواقع ، أكسب الهجوم الصومالي في يوليو ١٩٧٧م الحكومة و منغستو دعمًا وطنيًا كبيرًا ، بحلول ذلك الوقت ، كان

منغستو و رجاله يُشكّلون ميليشيا شعبية دربتها كوريا الشمالية وزوّدها الاتحاد السوفيتي بالعتاد و هو ما سعى إليه الديرغ منذ بداية حكمه ، كان منغستو يعتقد أن التاريخ الثوري للاتحاد السوفيتي في إعادة الإعمار الوطني كان أكثر انسجامًا مع الأهداف السياسية لإثيوبيا من تقاليد الرأسمالية الأمريكية والليبرالية البرجوازية ، لذلك ، أرسل أعضاءً من الديرغ و آلافًا من كبار العسكريين إلى الاتحاد السوفيتي وحلفائه للتدريب العسكري والسياسي .

بحلول عامي ١٩٧٥م و ١٩٧٦م ، كانت موسكو مقتنعة بأن الثورة الإثيوبية ستؤدي إلى إقامة دولة ماركسية لينينية أصيلة حيث استعدت لنقل مصالحها من الصومال الغير شيوعية أصلاً إلى إثيوبيا الدولة الرائدة في القرن الأفريقي ، في غضون ذلك ، واصلت موسكو تزويد مقديشو بالأسلحة ووعدت في الوقت نفسه منغستو بالمساعدة العسكرية شريطة أن يفك تحالفه مع الولايات المتحدة ، تضاءل الارتباط الأمريكي الذي بدأ يتآكل في السنوات الأخيرة من حكم هيلا سيلاسي حيث ألغى استخدام الأقمار الصناعية مركز الاتصالات الأمريكي خارج أسمرا مع اتخاذ إدارة كارتر موقفًا حازمًا من "القتال الإنساني" ضد إثيوبيا ، علاوة على ذلك ، و رغم زيادة واشنطن مساعداتها العسكرية ، رأت الحكومة الجديدة أنها غير كافية لضمان الأمن الداخلي وحل الأزمة في إريتريا ، لذلك ، قرر منغستو إغلاق البعثة العسكرية الأمريكية ومحطة كاغنيو في أبريل ١٩٧٧م ، و هو ما أعقبه في مايو اتفاق سري مع موسكو لتزويد إثيوبيا بالاحتياجات العسكرية ، كان الوضع في إريتريا آنذاك يائسًا لدرجة

أن الحكومة جردت القيادة الجنوبية من قواتها لتعزيز قواتها المحاصرة و محو الماضي في أديس أبابا عبر حاميات في أسمرة، وأسيب، وميتسوا، مما ترك الصوماليين يتمتعون بتفوق عسكري محلي ساحق .

بفضل المساعدة العسكرية السوفيتية كان لدى مقديشو إمدادات كافية لشن حرب لمدة ستة أشهر وحشدت ٣٥٠٠٠ رجل و١٥٠٠٠ مقاتل من أوغادين في جبهة تحرير الصومال الغربية و٢٥٠ دبابة مزودة بمدافع عيار ١٠٥ ملم في الغالب و٣٠٠ ناقلة جند مسلحة و ٢٠٠ مدفعية متحركة و٥٠ مقاتلة من طراز ميج و سرب من قاذفات القنابل من طراز ٢٨ ، و قد تم إجراء الحشد خلال الستينيات ضمنيًا لخدمة هدف إعادة توحيد جميع الصوماليين ، لذلك وجدت حكومة الرئيس سياد بري ضعف إثيوبيا لا يقاوم وقررت الحرب ، لم يتمكن الجنود الإثيوبيون القلائل في حاميات أوغادين المتفرقة من فعل الكثير خلال مايو و يونيو ١٩٧٧م لمواجهة هجمات جبهة تحرير الصومال الغربية حيث هزمهم الجيش الصومالي تمامًا متنكرين في هيئة متطوعي جبهة تحرير الصومال الغربية الذين عبروا الحدود المتنازع عليها في ٢٣ يوليو ، في غضون أسبوع ، أصبحت مدن رئيسية في شرق أوغادين في أيدي الصوماليين بما في ذلك القاعدة الجوية في غودي ، و في ظل هذا الوضع الصعب ، أوصى السوفييت بإقامة "اتحاد اشتراكي" لإثيوبيا و الصومال و اليمن الجنوبي لحل نزاعاتهم ، و قد كشف هذا المخطط عن انصياع موسكو الأعمى للأيديولوجيا و جهلها بالقضايا الشائكة المتعلقة بالدين .

شعار القومية من عامي ١٩٧٧م و ١٩٧٨م الذي ميز العلاقات الدولية في القرن الأفريقي كان في طليعة عوامل الغزو الصومالي ، وبحلول سبتمبر ١٩٧٧م ، سيطرت مقديشو على ٩٠% من أوغادين وتبعت القوات الإثيوبية المنسحبة إلى مناطق غير مأهولة بإثيوبيا في هرجي وبالي و سيدامو ، أثار هذا العدوان حفيظة السوفييت الذين حذروا منذ البداية سياد بري من التقدم إلى ما وراء أوغادين ، و نتيجة لذلك ، أوقفت موسكو جميع المساعدات العسكرية للمعتدي، وبدأت في تسليم الأسلحة علنًا إلى أديس أبابا، و أعادت تعيين المستشارين العسكريين السوفييت من الصومال إلى إثيوبيا ، في هذه الأثناء، كان الكوريون الشماليون يدربون ميليشيا شعبية على استخدام الأسلحة السوفيتية التي كانت تتدفق يوميًا حيث جندت الديرغ عشرات الآلاف من الفلاحين معظمهم من بين المزارعين الأورومو الذين استفادوا أكثر من الإصلاح الزراعي ، شدّدت دعاية التعبئة على الدور التاريخي للجماهير في الحفاظ على حرية إثيوبيا وسلامة أراضيها واصفه معركة عدوة بوضوح بأنها انتصار شعبي ، في ٢٥ يونيو/حزيران ١٩٧٧م ، تظاهرت عناصر الميليشيا الجديدة التي يبلغ قوامها ٨٠ ألف جندي في أديس أبابا أمام جماهير غفيرة أذهلت المراقبين الأوروبيين ، فبالنسبة لمنغستو ، كان إنشاء الميليشيا إنجازًا عظيمًا ، و خلال الأشهر العشرة التالية ، تم تدريب ٢٤٠ ألف رجل آخرين وإرسالهم لخوض حروب إثيوبيا ، قاتل رجال الميليشيات بمهارة كافية لمنح الجيش النظامي الإثيوبي المنهك وقتًا لإعادة تنظيم صفوفه واستعادة تسلسل قيادته ، و قد استدعى الديرغ الضباط الإمبراطوريين الذين تم تطهيرهم في عام ١٩٧٤م ، و استعاد

الخدمات اللوجستية والتقنية التي برع فيها الجيش القديم ، وجعل الحرب قضية وطنية تتقاطع مع المصالح السياسية والطبقية .

بحلول أواخر سبتمبر، اشتدت خطوط القتال حول دير داوا و هرر و فقد الجيش الصومالي زخمه وبدأ يستنفد إمداداته و كل أمل في البقاء منتصراً حيث صبّت حرب الاستنزاف التي تلت ذلك جام غضبها في مصلحة إثيوبيا التي يبلغ عدد سكانها أربعين مليون نسمة مقابل أربعة ملايين في الصومال ، كان جنود أديس أبابا يتزودون بسلاح أفضل يوماً بعد يوم، بينما عجز سياد بري عن إقناع الولايات المتحدة بإعادة إمداد قواته المسلحة ، شكلت الصومال التي تفتقر إلى أصدقاء تناقضاً صارخاً مع إثيوبيا التي أصبحت قضية دولية شهيرة ، ليس فقط بتلقيها أسلحة ومساعدات أخرى من الكتلة الاشتراكية ، بل أيضاً بخدمات ١٣ ألف جندي كوبي و٤ آلاف جندي يمني جنوبي حيث ساعد هذا الأخير في تدريب الإثيوبيين على استخدام الدبابات السوفيتية، بينما ساعد الأول في احتواء الصوماليين و طردهم نهائياً ، في منتصف يناير ١٩٧٨م ، شنّت الصومال هجومها الأخير الذي صدّته بذكاء قوات الجيش الإثيوبي المُعاد تسليحه بالكامل وآلاف المقاتلين الجدد ، في المقابل شنت أديس أبابا هجومًا مضادًا في ٢٣ يناير/كانون الثاني ١٩٧٨م ، و بعد أسبوع و بعد تقدمات مُرضية دعا منغستو الواثق مقديشو إلى الانسحاب من أوغادين و إلا ستُواجه هزيمة نكراء ، و رغم كل المحاولات الدبلوماسية لم تتمكن الحكومة الصومالية من كسب دعم دولي لموقفها

[113]، إذ أيدت جميع الدول الأخرى في أفريقيا والقوى الكبرى مبدأ حرمة الحدود الأفريقية كما تفاوض عليها المستعمرون ، و بحلول أواخر فبراير/شباط و بعد أسابيع من القصف المدفعي اخترقت قوة إثيوبية و كوبية مشتركة الخطوط الصومالية المرتخية على الطريق إلى جقجقجة ، و سقطت المدينة في ٥ مارس/آذار ، و بعد بضعة أيام ، أذاع بري نبأ انسحاب جميع القوات الصومالية من أوغادين ، و في ٢٣ مارس/آذار ١٩٧٨، أعلن راديو أديس أبابا أن الحكومة استعادت السيطرة على جميع المواقع العسكرية والمراكز الإدارية في أوغادين ، و بينما ركزت على التهديد الصومالي الأكثر أهمية ظلت القوات الحكومية متمركزة في إريتريا ، و مع انشغال الإثيوبيين بأمور أخرى ، عزز مقاتلو جبهة التحرير الشعبية الإرتيرية وجبهة التحرير الإرتيرية قبضتهم على المقاطعة مما جعل انتصار المتمردين يبدو حتميًا ، و مع ذلك ، تدخلت السياسة الداخلية للتمرد الإرتيري لصالح أديس أبابا ، كانت جبهة التحرير الشعبية الإرتيرية ذات الأغلبية المسلمة نشطة في الأراضي المنخفضة وسعت إلى تنفيذ برنامج إصلاحي معتدل ، عكس جبهة التحرير الشعبية الإرتيرية التي كانت منظمة راديكالية تهدف إلى إنشاء دولة علمانية حديثة تسترشد بالاشتراكية العلمية ، مع اقتراب التحرير من إثيوبيا، بدأت المنظمتان في التطلع إلى المستقبل، و انهار التعاون بينهما و تجاوزت اللحظة التاريخية الإرتيريين ، حدثت اللحظة المرتقبة في مصوع من خلال العمل بشكل منفصل حيث دفعت جبهة التحرير الإرتيرية و جبهة التحرير الشعبية الإرتيرية الإثيوبيين بحلول أكتوبر ١٩٧٧م على الإنسحاب من أكوردات

[113] كانت إيران هي البلد الوحيد الذي وقف إلى جانب الصومال سياسيا و عسكريا في حربه ضد إثيوبيا عام ١٩٧٧م (المترجم) .

و سيطرت على طريق مصوع-أسمرا ، في ٩ ديسمبر/كانون الأول، عندما حاولت الحكومة تطهير الطريق السريع ردّت جبهة التحرير الشعبية الإريترية بفاعلية فائقة فاخترقت خط دفاع الجيش حول مصوع و استولت على محطات المياه و احتلت الجزء البري من المدينة ، و مع عزلة الإثيوبيين في مصوع قررت جبهة التحرير الشعبية الإرتيرية الهجوم دون دعم من جبهة التحرير الإرتيرية ، أرسلت القيادة الثورية الإرتيرية رجالها مرتين عبر ثلاثة سدود حصينة من المشاة الإثيوبيين حيث لقي الإرتيريون حتفهم بالآلاف و تركوا الميدان للإثيوبيين مثبتين على ما يبدو أنهم لا يستطيعون خوض حملة منظمة و مُنسقة ضد عدوهم اللدود .

عزز هذا النصر معنويات الجيش الإثيوبي بما يكفي ليتمكن من الصمود حتى انتهاء الحرب ضد الصومال في أوائل عام ١٩٧٨م ، ثم أرسلت الحكومة تعزيزات ضخمة إلى إريتريا و استعادت السيطرة على معظم الإقليم بحلول نهاية العام على الرغم من أن الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا تمكنت من الصمود في منطقة ناكفا التي توفر تضاريس جبلية يسهل الدفاع عنها[١١٤] .

في هذه الأثناء، في أديس أبابا، تمكن منغستو من القضاء على جميع المعارضة المدنية المنظمة تقريبًا، بما في ذلك حزب ميسون ، و قد تعاون هذا الأخير طواعيةً مع الديرغ في قمع حزب الشعب الجمهوري الإثيوبي ، منافسه السياسي اللدود بهدف بناء قاعدة نفوذه الخاصة بين

[١١٤] هذه المعلومات غير دقيقة و تدل على جهل المؤلف بعلم الجغرافيا التاريخية ، فحوالي ٩٠% من أراضي إرتيريا جبلية وعرة مثل منطقة ناكفا و مع ذلك سيطر عليها الجيش الإثيوبي و من قبله الجيش الإيطالي بسهولة ، كل ما في الحكاية أن الجيش الإثيوبي كان مرهقا للغاية من حربه الأخيرة ضد الصومال في جبهة أوغادين (١٩٧٧-١٩٧٨م) التي إنشغل بها أكثر من إنشغاله بالجبهة الإرتيرية التي لم يحسب لها حساب في وضع الخطط العسكرية المناسبة لحمايتها من الفصائل المتمردة ضده (المترجم) .

جمعيـــات الفلاحـــين والقبائـــل ، و بمجـــرد رحيـــل حـــزب الشـــعب الجمهـــوري أدرك منغســـتو أن أنشـــطة ميســـون تهـــدد الـــديرغ ليؤســـس حينهـــا حزبـــه الاشـتراكي الخـاص، أبيـوت سـيد (شـعلة الثـورة بالأمهريـة) حيـث أكـد وجـود الحـــزب الجديـــد علـــى عـــزم الجـــيش علـــى تلبيـــة احتياجاتـــه الأيديولوجيـــة الخاصة و أشار إلى إحباطه من المقاومة المدنية لحكمه .

فـــي يوليـــو و أغســـطس ١٩٧٧م و مـــع نجـــاح الإرهـــاب الأحمـــر، ســـيطر الأيـــديولوجيون العســـكريون علـــى بومـــوا ومدرســـة يكاتيـــت السياســـية ٦٦، وكلاهمـــا يعمـــل بأغلبيـــة أعضـــاء ميســـون ، ثـــم أصـــدرت الحكومـــة مراســـيم تضـــع كلتـــا المنظمتـــين تحـــت ســـيطرتها القويـــة ، و علـــى الـــرغم مـــن اختبـــائهم عـــن الأعـــين ســـرعان مـــا أُلقـــي القـــبض علـــى كبـــار قـــادة ميســـون و أعـــدامهم ، و لـــم يـــتمكن ســـوى عـــدد قليـــل مـــنهم مـــن مغـــادرة الـــبلاد ، و مـــع ذلـــك ، انضـــم العديـــد مـــن الشخصـــيات الثانويـــة إلـــى أبيـــوت ســـيد ، و أصـــبحوا فيمـــا بعـــد مســـؤولين حكـــوميين مهمـــين ، فـــي المقابـــل ، وجـــد المقـــدم أتنـــافو أبيبـــي نائـــب رئـــيس الـــديرغ أنـــه لا يســـتطيع التغاضـــي عـــن جميـــع عمليـــات القتـــل باســـم الماركســـية و هـــي أيديولوجيـــة اعتبرهـــا غريبـــة عـــن التقاليـــد السياســـية لإثيوبيـــا ، ففـــي المـــؤتمر الثالـــث للـــديرغ فـــي نـــوفمبر ١٩٧٧ ألقـــى خطابًـــا شـــتم فيـــه الإرهـــاب الأحمـــر و الاشـــتراكية و التـــي أعلـــن أنـــه مـــن المســـتحيل إقامتهـــا فـــي إثيوبيـــا خـــلال حياتـــه ســـاخرا مـــن فكـــرة وجـــود حـــزب عمـــالي فـــي بلـــد ذي أغلبيـــة فلاحيـــة ، و أدان أيضـــا التحـــالف مـــع الاتحـــاد الســـوفيتي باعتبـــاره يعـــزل إثيوبيـــا عـــن حلفائهـــا الغـــربيين القـــدامى الـــذين قـــدموا لهـــا إلـــى جانـــب الأســـلحة رأس المـــال والتكنولوجيـــا داعيـــا إلـــى الاعتـــدال فـــي السياســـة والعلاقـــات الدوليـــة و

المصالحة بين الفصائل المتحاربة في إثيوبيا ، أساء أتنافو تقدير شعبيته داخل الديرغ و أساء فهم جاذبية الرؤية الماركسية التي شكلت الآن تفكير الديرغ ، و ردًا على ذلك ، وصف منغستو زميله القديم في السلاح بأنه رجعي وهي وجهة نظر أيدها المجلس العسكري ، و عندما رفض أتنافو خلال الأيام القليلة التالية التراجع عن موقفه عدة مرات أعدمه منغستو بإجراءات موجزة في ١٣ نوفمبر ١٩٧٧م ، و بحلول أوائل عام ١٩٧٨م ، هزم منغستو الصوماليين و الإرتيريين و المعارضين المدنيين والمعارضة داخل الديرغ ، و في كل مرة كان يستخدم القوة التي وفرها السوفييت له و التي مارستها حشود من الإثيوبيين الذين دعموه لسبب أو لآخر أو إثيوبيا أو الاشتراكية أو الثلاثة معًا ، و مع ذلك ، فإن ترسيخ حكم الحكومة الجديدة خلّف وراءه إرثًا من الانقسام، حيث لم يحاول الجيش بعد ذلك أبدًا إيجاد حلول سياسية للمشاكل التي خلفها نظام هيلا سيلاسي. وهكذا حافظت الحكومة على الطبيعة الاستبدادية للحكومة في إثيوبيا، وكانت أفعالها بمثابة إبطال لبرنامجها الذي طالما تباهت به، وهو برنامج الثورة الديمقراطية الوطنية .

فشل الثورة الماركسية :

حتى عام ١٩٩١م في العقد الذي تلا توطيد منغستو للسلطة، حولت التمردات المستمرة في إريتريا و تيغراي الموارد بعيدًا عن أجندة نظامه الاجتماعية والاقتصادية ، لفترة من الوقت، حاولت الحكومة بشكل سلمي إلى حد ما كسب قلوب وعقول الشعب الإرتيري و كانت تحقق بعض النجاح و لا سيما في المرتفعات المسيحية ، و مع ذلك و بحلول أواخر عام ١٩٨١م ، نفد صبر منغستو و قرر على نحو مميز شن حملة ضخمة للاستيلاء على منطقة الساحل في المقاطعة حيث كانت جبهة تحرير شعب إريتريا محصنة بشدة في منطقة ناكفا عرفت حينها بحملة النجم الأحمر حيث كان الهدف منها أن تصبح برنامجًا للتنمية الاقتصادية بقدر ما هي عمل حربي ، و مع ذلك، لم يمض وقت طويل حتى أصبح الجهد العسكري هو الأهم مما قوض أهداف الحملة الأخرى .

إنطلاقا من أسمرا في يناير ١٩٨٢م ، خطط منغستو شخصيًا للحملة ثم قاد الجيش الإثيوبي الذي يبلغ قوامه ٢٠٠ ألف جندي ، بعد فترة وجيزة ، تجمّع جنود الحكومة عند ناكفا، و من خلال قتال شرس شقّوا ثغرة في الخطوط الإرتيرية ، في اللحظة الأخيرة ، أنقذ قرار سياسي الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا السماح لفرقة منغستو القديمة بالتقدم و الاستيلاء على المدينة ، و بحلول الوقت الذي أعاد فيه الإثيوبيون تمركزهم كانت الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا قد استعادت صفوفها و سرعان ما توقّف التقدم ، بعد ذلك ، تحوّل الزخم إلى الجبهة الشعبية

لتحرير إريتريا و تعثرت الحملة بأكملها تاركةً منغستو دون انتصاره الحاسم و ١١,٠٠٠ قتيل إثيوبي دون جدوى ، أصبحت ناكفا رمزًا للصمود الإرتيري كاشفةً عن الحاجة إلى تسوية سياسية بين الحكومة والجبهة الشعبية لتحرير إريتريا ، و مع ذلك ، لم يكن التنازل من بين المفردات السياسية للنظام ، و انطلاقًا من نص ماركسي لينيني سعت الحكومة إلى تحويل إثيوبيا إلى دولة قيادية يسكنها شعب منضبط ، ولتحقيق هدفها استبدلت الحكومة الأيديولوجية الملكية بالاشتراكية العلمية و نخب الإمبراطور بحزب جديد .

في ١٨ ديسمبر ١٩٧٩م أعلن منغستو عن تشكيل لجنة تنظيم حزب الشعب العامل في إثيوبيا(كوبي) ،كانت أهدافها نشر الماركسية اللينينية وبناء حزب تمهيدي لتأسيس جمهورية إثيوبيا الديمقراطية الشعبية ، منح هيكل وتنظيم كوبي سلطة هائلة لرئيسها غير المحدد الذي توسط أيضًا بين اللجنة التي كان يسيطر على أعضائها و الحكومة ، خلال سنواتها الأولى، أنشأت اللجنة حوالي ٦٥٠٠ خلية، و استقطبت معظم أعضائها من الجيش ومعظم قياداتها من الديرغ ، و تعرضت لاتهامات بالتمييز على أساس الجنس بسبب قلة مشاركاتها النسائية ، و مزاعم بهيمنة الحكام السابقين بسبب كثرة أتباعها الأمهرية ، في الواقع، و على الرغم من الدعاية المحيطة بتطور كوبي إلى حزب تمثيلي وطني ، إلا أنها ظلت أقرب إلى الجيش منها إلى الأمة ، بحلول يناير/كانون الثاني ١٩٨٣م ، عندما عقدت منظمة كوبي مؤتمرها الثاني، كان جميع قادتها الإقليميين عسكريين و كانت عضويتها تتألف في معظمها من موظفي الخدمة

المدنيـــة و الجنـــود والمعلمـــين بينمـــا شـــكّل العمـــال والفلاحـــون أقليـــة بـــارزة. أراد منغســـتو، كـــأداة للتغييـــر، منظمـــة منضـــبطة ومخلصـــة لإصـــلاح الفوضـــى والنزعـــة الفرديـــة التـــي اعتقـــد هـــو ومستشـــاروه الأيـــديولوجيون أنهـــا أعاقـــت تنميـــة إثيوبيـــا ، و بحلـــول عـــام ١٩٨٠م ، بـــدأت القيـــادة تـــدرك أن إعـــادة تشـــكيل إثيوبيـــا تتطلـــب أكثـــر مـــن مجـــرد شـــعارات وهياكـــل إداريـــة جديـــدة ، فرضـــت الحكومـــة ، مـــن خـــلال كـــوبي سـيطرتها علـــى كـــل جهـــاز ســـلطة و نفـــوذ تقريبًـــا و خاصـــةً نقابـــة عمـــال عمـــوم إثيوبيـــا (التـــي تغيّـــرت عـــام ١٩٨٦م إلـــى نقابة عمال إثيوبيا) و جمعيات الفلاحين والمجالس القروية .

أنشـــأت منظمـــات جديـــدة مثـــل جمعيـــة نســـاء إثيوبيـــا الثوريـــة و منظمـــة شـــباب إثيوبيـــا الثوريـــة و لجنـــة مراقبـــة الشـــعب العامـــل حيـــث كانـــت الأخيـــرة ظاهريًـــا بمثابـــة رادع ضـــد الإســـاءة الرســـمية والفســـاد ، فـــي الواقـــع، لـــم يكـــن المقصـــود مـــن المنظمـــات الجماهيريـــة أن يكـــون لهـــا حيـــاة خاصـــة بهـــا أو للتـــأثير علـــى الحكومـــة وإعلامهـــا، بـــل صُـــممت كـــأدوات يمكـــن للكـــوادر السياســـية اســـتخدامها لوضـــع بـــرامج اشـــتراكية ، لـــيس هنـــاك شـــك فـــي أن الحكومـــة كانـــت تنـــوي إنشـــاء اقتصـــاد موجـــه ، ففـــي عـــامي ١٩٧٤م و١٩٧٥م أممـــت معظـــم صـــناعة الـــبلاد التـــي عانـــت لاحقًـــا مـــن نـــدرة رأس المـــال و الفنيـــين و قطـــع الغيـــار و المـــواد الخـــام ، لـــم يفعـــل التخطـــيط المركـــزي القاســـي والمربـــك فـــي كثيـــر مـــن الأحيـــان فـــي الثمانينيـــات الكثيـــر لتخفيـــف الـــنقص و كانـــت المشـــاريع الصـــناعية القليلـــة التـــي نفـــذها حلفـــاء إثيوبيـــا الاشـــتراكيون إمـــا غيـــر مناســـبة أو باهظـــة التكلفـــة للغايـــة لتشـــغيلها ، أخـــاف خطـــاب اشـــتراكية منغســـتو المســـتثمرين الغـــربيين ، و ظلـــت إثيوبيـــا متعطشـــة لـــرأس المـــال طـــوال الفتـــرة

الثورية ، في الواقع ، كانت الحكومة متشددة لدرجة أنها بدّدت مواردها المحدودة في دعم مزارع الدولة غير الكفؤة ورعاية أشكال من الزراعة الجماعية ، بعد الثورة، سيطرت جمعيات الفلاحين بسرعة على الريف، وحلّت محل الحكومات المحلية إلى حد كبير ، بحلول عام ١٩٨٠م ، وهو عامٌ ساد فيه السلام نسبيًا في جميع أنحاء البلاد، تم تنظيم حوالي سبعة ملايين أسرة في ٢٣٥٠٦ جمعية ، و مع توسّع سلطة لجنة حماية المزارعين (كوبي) فقدت الجمعيات الشعبية استقلاليتها وتحولت إلى أجهزة تابعة للحكومة المركزية و أصبح الفلاحون ينظرون إلى قادتهم على أنهم مجرد جباة ضرائب حكومية ووكلاء دعاية حيث دفع المزارع العادي ضرائب نقدية وخدماتية وعينية أكثر مما كان يدفعه في ظل نظام هيلا سيلاسي ، لم تستطع أي طرق أو عيادات أو مدارس مهما كان حجمها أن تعوض مظالم الفلاحين بشأن البيع الإجباري للمحاصيل للشركات شبه الحكومية بأسعار أقل من أسعار السوق، و بشأن العمل غير مدفوع الأجر في مشاريع التنمية المحلية ، على الرغم من أن الإصلاح الزراعي نُفّذ بشكل عادل و حظي بشعبية كبيرة إلا أنه لم يُسفر عن فائض من الأراضي لإعادة توزيعها حيث لم تزرع النخب الإمبريالية بنفسها الأراضي الكبيرة بل استخرجت الفوائض من المستأجرين ، و بما أن هؤلاء احتفظوا إلى حد كبير بحقوقهم في الانتفاع ، و أصبحت المزارع الآلية القليلة مزارع تابعة للدولة لم تُعاد تنظيم أسلوب الإنتاج و بالتالي لم تزد كفاءة استغلال الأرض ، و لأن الفلاحين كانوا يتجمعون في جمعيات ، و كان للجميع الحق في الزراعة ، فازداد الضغط على الأرض ، و أدت إعادة التوزيع اللاحقة إلى صغر حجم الأراضي و الإفراط في الزراعة ، و

تدهور الأراضي و انخفاض الغلة ، فبدلاً من الاستثمار في الأسمدة والبذور عالية الغلة والعمالة و الخبرة والجرارات لزيادة الإنتاج بين الفلاحين ، خصصت الحكومة طوال الثمانينيات ٦٠ في المائة من هذه الموارد النادرة للمزارع الحكومية والتعاونيات الإنتاجية الجماعية (بي سي اس) على أمل جعل الأخيرة إمكانية جذابة للفلاحين ، و مع ذلك ، و بحلول يونيو ١٩٨٤م تم تجميع حوالي ٤ في المائة فقط من إجمالي الأراضي الصالحة للزراعة في إثيوبيا، و شاركت نسبة أصغر من المزارعين ، و كانت العائدات على التعاونيات الإنتاجية أقل من المزارع المنظمة بشكل أكثر مرونة في جمعيات الفلاحين ، فللحصول على المواد الغذائية اللازمة لمدن وبلدات إثيوبيا أنشأت الحكومة مؤسسة التسويق الزراعي (ايه ام سي) و هي مؤسسة شبه حكومية قوية نظّمت تجارة الأغذية المحلية بتحديد حصص للسلطات المحلية والمجالس البلدية و المزارع الوطنية و تحديد أسعار تختلف من مقاطعة لأخرى تبعًا للإنتاجية و توفر وسائل النقل ، إلا أنها لم تتمكن قط من إقناع السلطات المحلية والمجالس البلدية بتسليم حصصها الكاملة من الحبوب بأسعار أقل من سعر السوق ، و للحد من احتمالية تهريب الفلاحين لمنتجاتهم إلى مدن و بلدات إثيوبيا حيث الأسعار مرتفعة للغاية أقامت المؤسسة نقاط تفتيش على حدود المقاطعات وفي نقاط استراتيجية على طول الطرق الرئيسية ، وكان الأثر الصافي لذلك تجزئة الاقتصاد الوطني و تقليل حافز الفلاحين على الإنتاج .

أدى ذلك إلى انخفاض في غلة المحاصيل مما أجبر الحكومة على الاعتماد على حبوب مزارع الدولة ذات التكلفة المرتفعة نسبيًا لإطعام المدن ، أما في بقية أنحاء البلاد فلم يتبقَّ سوى فائض ضئيل لتخزينه تحسبًا لحالات الطوارئ بعدما أعاقت سياسات هيئة مراقبة الحبوب (ايه ام سي) إيصال الحبوب إلى المناطق المحتاجة و سرعان ما انكشفت كارثة السياسات الزراعية للنظام الجديد ، فعندما انقطعت الأمطار خلال شهري يوليو وسبتمبر عام ١٩٨٣م ، أُعلن عن مجاعة جديدة في عام ١٩٨٤م ، و لم يُخبِر منغستو وكبار القادة الآخرين عن هذا التوقع إذ كانوا يستعدون للذكرى العاشرة للثورة وتأسيس حزب العمال الإثيوبي (وبي) حيث اقتصرت أخبار القيادة على النجاحات والانتصارات، إذ اعتقدت أن سياساتها قد عززت فترة من الازدهار والإنجاز ، إلا أنه طوال الفترة المتبقية من عام ١٩٨٣م ، سرّب المسؤولون المعنيون في لجنة الإغاثة والتأهيل الحكومية (ار ار سي) أخبار إثيوبيا السيئة إلى الصحافة الدولية ومنظمات الإغاثة غير الحكومية والدبلوماسيين والوفود الأجنبية الزائرة ، و على الرغم من إثارة قدر كبير من التعاطف لم يكن هناك قلق عام لأن الحكومة الإثيوبية لم تعترف بمحنة البلاد حتى بعد فشل الأمطار القصيرة في القضاء على موجة الجفاف و المجاعة خلال فبراير ١٩٨٤م ، بحلول ذلك الوقت ، كان ما يقرب من عشرة آلاف شخص يموتون أسبوعيًا في ويلو، وكانت لجنة إعادة الإعمار على وشك استنفاد مواردها ، في مارس ، أرسل مفوضها داويت ولدي جيورجيس تقريرًا كاملاً إلى منغستو و كبار المسؤولين الآخرين سعياً للحصول على اعتراف النظام بالمجاعة حتى يمكن تعبئة الإغاثة الدولية ، لم يتلق داويت أي رد، فأثار

الأمر خلال اجتماع طويل مخصص لخطة عشرية ضخمة و غير واقعية تمامًا سيتم الكشف عنها خلال احتفالات سبتمبر ، رد منغستو بأن الجفاف والمجاعة كانتا انتكاسات مؤقتة على طول الطريق إلى النجاح الاقتصادي المنصوص عليه في المخطط الاقتصادي المقترح ، و حتى عندما تمكن داويت في أبريل/نيسان ١٩٨٣م من إجبار بعض زملائه على الاعتراف بخطورة الوضع في الشمال لم تكن الحكومة راغبة في تحويل الموارد والأموال والاهتمام بعيداً عن احتفالات الذكرى السنوية العاشرة ،و بالتأكيد لم تكن لتعترف بوجود مجاعة أسوأ من تلك التي حطمت عهد هيلا سيلاسي ، و بينما كان سدس شعب إثيوبيا مهددًا بالموت ويهرب من دياره بحثًا عن الطعام أعدت الحكومة عرضًا باهظ الثمن لتسليط الضوء على إنشاء حزب العمال الإثيوبي الجديد ، قبل الحدث، وصفت وسائل إعلام النظام فقط الرخاء والحرية التي جلبها منغستو و الاشتراكية إلى إثيوبيا و انتقدت الغرب لإمبرياليته بينما أشادت بحلفائها الشرقيين و خاصة الاتحاد السوفيتي لمساعدتهم و دعمهم و بالتالي تفاقمت معضلة حزب العمال الإثيوبي حيث احتفظت الجماعة الاقتصادية الأوروبية والولايات المتحدة بفوائض الحبوب بينما كان الاتحاد السوفيتي يواجه نقصًا في إمداداته، و لم يكن لدى دول حلف وارسو الأخرى سوى القليل من الفائض للتبرع به للإثيوبيين الجائعين ، في هذه الأثناء، استمر الفلاحون في الموت ، و رفض النظام بشدة تحمل المسؤولية.

في يونيو ويوليو **١٩٨٤**م ، و بينما كانت أديس أبابا تُجري عمليات الحفر استعدادًا لعرض عسكري ضخم في **١٢** سبتمبر انقطعت الأمطار مجددًا مُحوّلةً الكارثة إلى كارثة أعظم ، و بحلول يوليو، اتضح أن مقاطعات ويلو و سيدامو و هرجي و شيوا و تيغراي و جوندر هي الأكثر تضررًا ، و كان لكل منها مخيمات لاجئين، بعضها – كوريم و إبنات و أليماتا – تُذكّر بموت ويأس الناس في تلك الفترة ، حتى في أديس أبابا كانت هناك بوادر مجاعة حيث وجد فقراء العاصمة صعوبة في دفع أسعار الغذاء المُرتفعة بشكل متزايد و اصطفوا في طوابير للحصول على الخبز وغيره من السلع في مراكز التوزيع التي أُنشئت على عجل[١١٥] .

خلال الحفل الذي استمر أربعة أيام من شهر يوليو **١٩٨٥**م كانت هناك أبهة واحتفالات ومآدب واستعراضات حيث حضر الضيوف و معظمهم من الكتلة الشرقية حيث صفقوا بحماس للنظام الجديد في قاعة المؤتمر التي تم بناؤها مؤخرًا، تم تأسيس حزب العمال الإثيوبي، و انتُخبت لجنة مركزية له و التي سميت مكتبًا سياسيًا ، اختار الأخير كما هو متوقع منغستو هيلو مريم أمينًا عامًا لحزب العمال الإثيوبي و قائدًا أعلى للقوات المسلحة و رئيسًا لمجلس الوزراء ، في خطاب قبول استمر خمس ساعات ونصف، وصف منغستو الإنجازات السابقة والخطط المستقبلية، ولم يذكر المجاعة ولو مرة واحدة ، و مع ذلك، في نهاية سبتمبر، عندما وجه الأمين العام انتباهه أخيرًا إلى الأزمة احتاج حزب العمال الإثيوبي إلى

[١١٥] يحاول المؤلف من خلال حادثة المجاعة و الجفاف عام **١٩٨٣**م أن يوهمنا بأنها السبب الرئيسي وراء سقوط النظام الشيوعي في إثيوبيا عام **١٩٩١**م و هذا غير صحيح لأن الأوضاع الإقتصادية كانت أفضل بكثير في عهدهم متناسيا أن الإثيوبيون لم يثوروا ضده إلا بسبب قمعه الوحشي و تكميم الأفواه بالقوة لهم (المترجم) .

تسعين ألف طن من الحبوب شهريًا لإطعام ضحايا المجاعة حيث انخرط المكتب السياسي فيها و سُمح لوسائل الإعلام الغربية بالوصول إلى المناطق المنكوبة ، في أواخر أكتوبر/تشرين الأول، بُثّ تقريران تلفزيونيان من هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) من معسكري كوريم و ميكيلي في جميع أنحاء العالم، مما حفّز جهود الإغاثة الدولية ، و رغم أن العديد من القوى الغربية ظلت منتقدة للتوجه الماركسي اللينيني لحكومة منغستو إلا أنها فصلت السياسة عن محنة الشعب الإثيوبي ووفرت كميات هائلة من فائض الحبوب من منطقة باتي في شهر يوليو من عام ١٩٨٥م .

بحلول منتصف عام ١٩٨٥م، انتهى الجزء الأسوأ من الأزمة، بفضل المساعدات الدولية التي وزعتها لجنة إعادة التوطين بكفاءة عالية ، في غضون ذلك ، قررت حكومة أديس أبابا نقل السكان من مناطق الجفاف إلى الغرب و الجنوب حيث يُفترض توفر الأراضي الفائضة ، كانت فكرة إعادة التوطين قائمة على أسس راسخة تاريخيًا، حتى أن حكومة هيلا سيلاسي كانت قد خططت لتخفيف الاكتظاظ السكاني في الشمال المُكتظ بالمزارع من خلال نقل السكان إلى سيدامو ، إلا أن النظام الجديد تعامل مع عملية نقل السكان كما لو كانت حملة عسكرية لا برنامجًا إنسانيًا ، و الأسوأ من ذلك أن الحكومة لم تكن تمتلك الموارد أو البنية التحتية اللازمة لتوفير السكن المناسب أو الأدوات أو العلاج الطبي أو الغذاء للاجئين ، بحلول عام ١٩٨٦م ، كانت قد نقلت

ستمائة ألف شخص، لكن الكثيرين أُجبروا على الرحيل حيث تشتتت الأسر و توفي المرضى وكبار السن أثناء الرحلة.

وُجهت انتقادات إلى الحكومة و وصفتها بالقسوة ، و وصفت المستوطنات الجديدة بأنها غير عملية وغير اقتصادية و تستنزف موارد إثيوبيا المحدودة ، رد النظام عليها بأن إعادة التوطين تخدم الاحتياجات طويلة الأجل للشعب المنكوب، لكنه أقر في عام ١٩٨٧ بأن التخطيط الأكثر حكمة والاستخدام الأفضل للموارد ربما كانا سيحسنان البرنامج ، بعد عام ١٩٨٥م ، شرعت أديس أبابا في برنامج التوطين القروي و هو برنامج آخر مكلف و مثير للجدل لتغيير الأنماط التاريخية للاستيطان في المرتفعات من قرى متناثرة تقع بالقرب من المياه والحقول إلى جادلت السلطات بأن التوطين القروي مستمد من الحاجة إلى توفير خدمات حديثة لسكان الريف في إثيوبيا وأن الحكومة لم تكن تعيد توطين الناس بل كانت تسهل أنشطتهم المجتمعية فحسب. ومع ذلك، اتهم المتشككون سكان الريف المنظمين في القرى على طول الطرق بأنهم أكثر عرضة للاستغلال والسيطرة .

كانت المنظمتان تستخدمان أي طعام تحصلان عليه لزيادة الإيرادات و كسب الأتباع و فرض الاعتراف الدولي بوضعهما كسلطات شبه سيادية ، في الواقع، لم تكن الحكومة و لا الحركات على استعداد للتخلي عن مواقفها التي تمسكوا بها منذ فترة طويلة و رفضت جميع المحاولات لترتيب تسوية مؤقتة لتوفير الغذاء للمحتاجين ، و اصلت الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا والجبهة الشعبية لتحرير تيغراي الغارات ، و واصلت القيادة

الإثيوبية القصف ، في أغسطس ١٩٨٥م ، بعد مرور أزمة المجاعة تقريبًا مباشرة شنت الحكومة بنجاح حملة كبيرة في إريتريا مما دفع الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا إلى الانسحاب من المواقع التي احتلتها في يونيو ويوليو عام ١٩٧٩م بمن فيها ناكفا .

أكد الإرتيريون أنهم قرروا مرة أخرى الانسحاب التكتيكي للحفاظ على القوة والمعدات سليمة ، في تيغراي واصلت الحكومة سيطرتها الاستراتيجية على المدن والطرق بالرغم من أن جبهة تحرير شعب تيغراي أبدت تفاؤلها بمستقبلها في منتصف أغسطس بتأسيسها الجناح الستاليني الماركسي اللينيني بموطنها الأصلي ، في غضون ذلك، أظهر النظام في أديس أبابا ثقته بنفسه من خلال وضع دستور جديد لشعوب إثيوبيا المتعددة كُشف النقاب عن مسودته الأصلية في أوائل يونيو ١٩٨٦م حيث كان توجهها وسطيًا في الغالب ، و مع ذلك منحت الوثيقة الجمعية الوطنية الجديدة (الشينغو) سلطة واسعة لإنشاء مجالس إقليمية وإدارية مستقلة ذات صلاحيات محددة بما في ذلك القدرة على فرض الضرائب ، فضلا عن أنه لم تكن هناك إشارة واضحة إلى مفهوم تقرير المصير للقوميات أو إلى الكفاح من أجل الانفصال عن إثيوبيا .

أسندت المسودة لحزب العمال الدور القيادي في المجتمع والحكومة حتى لو لم يكن رئيسه بالضرورة رئيسًا للبلاد حيث كان الأخير الذي يكون عضوًا في الحزب بالضرورة يُنتخب من قِبل الشينغو لولاية مدتها خمس سنوات و يتمتع بسلطات واسعة على الأنشطة العسكرية والمدنية ، و على مدار الشهرين التاليين ، وُزّعت المسودة على نطاق واسع، و

نوقشت في اجتماعات القبائل و جمعيات الفلاحين و في وحدات الجيش و المصانع و المكاتب الحكومية و حتى من قِبل جماعات المهاجرين ، في أغسطس/آب ١٩٨٦م ، عندما راجعت لجنة الصياغة المكونة من ٣٤٣ شخصًا الانتقادات اقترحت خمسة وتسعين تعديلًا معظمها شكلي على الوثيقة الأصلية التي أُرسلت بعد ذلك إلى اللجنة المركزية لحزب العمال للموافقة عليها حيث تجنبت الوثيقة النهائية مجددًا التطرق إلى المسائل المحورية المتعلقة بتقرير مصير الجماعات الوطنية والحكم الذاتي الإقليمي، لكنها زادت من صلاحيات الرئاسة على جميع أجهزة الحكومة ، في الأول من فبراير/شباط، أجرت الحكومة استفتاءها الذي حظي باهتمام كبير حتى في معظم البلدات والمدن في تيغراي وجنوب إريتريا على الرغم من أن الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا اشتكت من أن التصويت أُجري تحت تهديد السلاح .

على الصعيد الوطني، تمت الموافقة على الدستور بنسبة ٨١% من الناخبين المسجلين ، و في انتخابات يونيو، سمحت الحكومة للإثيوبيين في كل دائرة انتخابية في شنغو بالتصويت من بين ثلاثة مرشحين مختارين بعناية ، في ١٠ سبتمبر ١٩٨٧م ، حلت الحكومة القديمة نفسها و افتتح البرلمان الجديد لجمهورية إثيوبيا الديمقراطية الشعبية (بدري) التي احتفظ بمعظم أعضائها القياديين من الإدارة العسكرية ، في ذلك اليوم، أقسم منغستو هايلي مريم، رئيس جمهورية إثيوبيا الديمقراطية الشعبية الآن على الدفاع عن حرية أمته ووحدتها، وتعزيز الاشتراكية و تعزيز المساواة بين القوميات و العمل من أجل تقدم إثيوبيا وازدهارها دون أن

يذكر مناطق الحكم الذاتي أو يلمح إلى تسوية مع المنشقين القدامى في البلاد .

لم تكشف هذه الإغفالات عن قوة كما كشفت الأحداث بعد بضعة أشهر. في ديسمبر ١٩٨٧م عندما اخترقت الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا الخطوط الإثيوبية في ناكفا و دفعت عدوها إلى الوراء عشرين كيلومترًا. زعزعت الهزيمة معنويات الجنود الإثيوبيين المخضرمين الذين قيل لهم من قبل الكوادر السياسية إن الجمهورية الجديدة بمناطقها المستقلة ستنتصر سريعًا على المتمردين ، على العكس تماما ، كشف انتصار إريتريا أن الحرب ستستمر ، عندما رفض جنود الحكومة القيام بدوريات روتينية، سافر منغستو إلى إريتريا في فبراير/شباط ١٩٨٨ للتعامل مع الاضطرابات ، و خلال الاجتماعات ردّ منغستو بحدة على اقتراحات البحث عن حل سياسي، فأصدر أمرًا بإعدام أحد الجنرالات و عزل واعتقال قادة آخرين .

استمرّ فقدان الأمل لدى الجنود الذين خاضوا معارك ضارية في أف أبيت جنوب شرق ناكفا عندما شنّت الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا هجومًا واسع النطاق في منتصف مارس/آذار ١٩٨٨م دُمّرت خلاله فرقة حكومية واحدة جملة و تفصيلا حيث قُتل أو أُسر ما يقرب من عشرة آلاف جندي ، و الأسوأ من ذلك ، أن الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا استولت على خمسين دبابة و عدة بطاريات قاذفات صواريخ و مدفعية و مخازن كبيرة من الأسلحة الصغيرة و الذخائر و الوقود مما سمح للمنظمة بتوسيع ألويتها الاثني عشر وثمانية عشر ألف مقاتل و تشجعت

علــى التفــاوض علــى اتفاقيــة تنســيق عســكري مــع الجبهــة الشــعبية لتحريــر تيغــراي ، نتيجــةً لــذلك، قــررت القيــادة الإثيوبيــة الانســحاب مــن مواقعهــا التــي أصــبحت الآن غيــر قابلــة للــدفاع عنهــا فــي غــرب وشــمال وســط إريتريــا، وتركيــز قواتهــا فــي كــرن حيــث فجــرت الحكومــة منشــآت و دمــرت مخــازن و ســحبت مــوظفي الخدمــة المدنيــة إلــى أســمرا ، و بحلــول أبريــل/نيســان ، كــان بإمكــان الجبهــة الشــعبية لتحريــر إريتريــا أن تــدّعي و بحــق أنهــا حــرّرت شــمال إريتريــا ، فــي غضــون ذلــك، نقلــت الحكومــة قواتهــا مــن شــمال تيغــراي إلــى إريتريــا ، ممــا ســمح لجبهــة تحريــر شــعب تيغــراي بمهاجمــة و اجتيــاح الحاميــات علــى طــول الطريــق قــرب الحــدود الإريتريــة ، و فــي أواخــر مــارس، و بفضــل الأســلحة الثقيلــة والــذخائر التــي اســتولت عليهــا نجحــت جبهــة تحريــر شــعب تيغــراي فــي طــرد الجــيش مــن أكســوم و عــدوة و إنــدا ســيلاس و اســتولت أســلحة و إمــدادات أكثــر و أفضــل مــن القــوات المنســحبة ، تراجعــت غالبيــة القــوات الحكوميــة إلــى ميكيلــي، عاصــمة الإقلــيم لإعــادة تنظــيم صــفوفها والتحضــير لهجــوم مضــاد ، و فــي الوقــت نفســه، توصــل منغســتو فــي ٢٠ مــارس ١٩٨٨ إلــى اتفــاق مــع الــرئيس الصــومالي ســياد بــري للاحتفــاظ بالوضــع السياســي الــراهن فــي أوغــادين ممــا يســمح بإعــادة نشــر الحاميــة الإثيوبيــة التــي يبلــغ قوامهــا ١٠٠ ألــف رجــل إلــى إريتريــا و تيغــراي ، و لــم يحــدث أي عمــل عســكري كبيــر خــلال بقيــة عــام ١٩٨٨م علــى الــرغم مــن القتــال المتقطــع فــي إريتريــا و تيغــراي ، و لقــد زعمــت كــل مــن الجبهــة الشــعبية لتحريــر إريتريــا والحكومــة أنهمــا مســتعدتان للمفاوضــات ، ولكــن عــرض أديــس أبابــا للحكــم الــذاتي لــم يكــن مقبــولاً لــدى الحركــة التــي اســتمرت فــي الســعي إلــى الاســتقلال ، و لقــد تشــبث منغســتو بعنــاد

بالمفـــاهيم الســـتالينية المحتضـــرة بشـــأن القوميـــات تمامـــاً كمـــا احـــتفظ بسياســـات اقتصـــادية حكوميـــة ســـرعان مـــا فقـــدت مصـــداقيتها فـــي الاتحـــاد الســـوفييتي ، و الواقـــع أن منغســـتو ، أثنـــاء زيارتـــه إلـــى موســـكو فـــي يوليـــو/تمـــوز ١٩٨٨م ، قيـــل لـــه إن الـــدعم الســـوفييتي يعتمـــد علـــى التحريـــر الاقتصـــادي والسياســـي الكبيـــر، ونصـــحه بالســـعي إلـــى التوصـــل إلـــى حـــل تفاوضـــي فـــي إريتريـــا ، و علـــى إثـــر ذلـــك رفـــض الـــرئيس جورباتشـــوف طلـــب منغســـتو بالحصـــول علـــى مســـاعدات عســـكرية إضـــافية ، ثـــم ذهـــب منغســـتو إلـــى الصـــين حيـــث حُـــذر مـــن الاعتمـــاد علـــى عبـــادة الشخصـــية و السياســـات الزراعيـــة العقائديـــة و حتـــى مـــن الـــزي العســـكري الـــذي يرتديـــه علـــى غـــرار الـــزي العســـكري المـــاوي ، و هكـــذا ، بحلـــول نهايـــة عـــام ١٩٨٨م ، كـــان الموقـــف السياســـي والعســـكري للحكومـــة أســـوأ كثيـــراً ممـــا كـــان عليـــه فـــي بدايـــة العـــام، ولـــم يكـــن هنـــاك أمـــل فـــي ضـــخ كميـــات هائلـــة مـــن الأســـلحة اللازمـــة لهزيمـــة جبهـــة التحريـــر الشـــعبية لإريتريـــا و جبهـــة تحريـــر تيغـــراي ، و لـــم يكـــن الاقتصـــاد فـــي حـــال أفضـــل ، و أعلنـــت الحكومـــة عـــن نيتهـــا توســـيع برنـــامج تـــوطين القـــرى المحـــبط وتســـريع عمليـــة تـــأميم الإنتـــاج فـــي الريـــف ، فمنـــذ عـــام ١٩٧٤م ، انخفـــض الإنتـــاج الزراعـــي بمعـــدل ســـنوي متوســـط بلـــغ ٠.٤%، فـــي حـــين كـــان عـــدد الســـكان ينمـــو باســـتمرار بمعـــدل ٣%٥ ، و لـــم تمثـــل المـــزارع الحكوميـــة ســـوى ٣%٥ إلـــى ٤%٥ مـــن إجمـــالي إنتـــاج المحاصـــيل، ولـــم يـــتم زراعـــة ســـوى نصـــف الأراضـــي التـــي تحـــت تصـــرف الحكومـــة ، وظلـــت التجـــارة والصـــناعة راكـــدة منـــذ الثـــورة ، و كـــان الـــرقم الوحيـــد الـــذي زاد بشـــكل هائـــل هـــو ١.٥ مليـــون دولار تـــم إنفاقهـــا لاحقـــا ، و بعـــد الثـــورة ، اســـتبدلت لجنـــة إدارة الثـــروة الحيوانيـــة كلمـــة الـــدولار الأجنبيـــة بالكلمـــة الإثيوبيـــة بيـــر (و التـــي

تعني حرفياً الفضة) حيث كانت تستخدم لفترة طويلة للإشارة إلى دولار ماريا تيريزا الفضي. ظلت قيمتها مقابل الدولار الأمريكي عند ٢.٠٧ بِتْر حتى عام ١٩٩٢، عندما تم تخفيض قيمتها إلى ٥.٠٠ بِتْر. — ٢١٣ — للأسلحة في عام ١٩٨٨، وهو ما يمثل ٥٤ في المائة من عائدات الحكومة. بلغت خدمة ديون إثيوبيا الدولية ٥٣٠.٥٠٠.٠٠٠ دولار في عام ١٩٨٨، ارتفاعًا من ٥١.٤٠٠.٠٠٠ دولار متواضع في عام ١٩٧٤. كانت البلاد في الواقع مفلسة ، ففي فبراير ١٩٨٩م ، أجبرت القيود الاقتصادية و نقص الأسلحة الحكومة على إخلاء تيغراي في مواجهة الهزائم العسكرية المهينة و سحب حاميتها في هميرا على خط الإمداد الرئيسي لجبهة تحرير شعب تيغراي من السودان ، سرعان ما أصبح حجم الكوارث معروفًا مع تدفق الجرحى إلى العاصمة ، و مع تجنيد الحكومة للذكور الأصغر سنًا والأصغر سنًا انخفضت الروح المعنوية في أديس أبابا و بدأ الضباط الكبار في مناقشة إقالة منغستو ، ولكن سرعان ما أدركت أجهزة الأمن عالية الكفاءة و التي تلقت تدريبها في ألمانيا الشرقية أن هناك مؤامرة في طور الإعداد ، فقام منغستو بمواجهة ذلك بإحالة كبار الجنرالات الذين ربما كانوا غير مخلصين ولكنهم الأكفاء إلى التقاعد و ترقية عقداء موثوق بهم ولكن غير مجربين كبدائل ، و بتغيير قادته نجح منغستو في الوقت نفسه في إضعاف قدرة الجيش على القتال وتعطيل قدرة المتآمرين على تنسيق جهودهم ، و مع ذلك، فقد تم تنفيذ خطة تم توقيتها لتبدأ عندما غادر منغستو إلى ألمانيا الشرقية في السادس عشر من مايو/أيار ١٩٨٩م ، فبعد توديع رئيسهم في المطار، عاد المتآمرون الثلاثة الأعلى رتبة إلى وزارة الدفاع لبدء

العمليـة ، و قـد أثـار عملهـم ردود فعـل مـن جانـب أجهـزة الأمـن التـي أنهـت بسـرعة محاولـة الانقـلاب حيـثُ قتـل العديـد مـن الجنـرالات و سُـجن آخـرون و اعتقـل المئـات مـن الضـباط الميـدانيين، الأمـر الـذي أدى إلـى إحبـاط وإربـاك الجـيش المحـبط بالفعـل ، فاضـطر منغسـتو إلـى إعـادة تنظـيم قيادتـه العليـا فـي القـوات الجويـة ومقـر الجـيش، ووزارة الـدفاع و حتـى قيـادة الجـيش الثـاني فـي إريتريـا، التـي دعـم ضـباطها الانقـلاب بقـوة و مـن المثيـر للاهتمـام أن الجبهـة الشـعبية لتحريـر إريتريـا قـررت عـدم مهاجمـة أسـمرا التـي كـان مـن الممكـن أن يحشـد دفاعهـا الـدعم لمنغيسـتو كحـارس لوحـدة أراضـي إثيوبيـا ، و بـدلاً مـن ذلـك، عملـت الحركـة الإرتيريـة علـى تخلـيص إثيوبيـا مـن منغيسـتو مـن خـلال دعـم جهـود الجبهـة الشـعبية لتحريـر تيغـراي لتشـكيل تحـالف واسـع منـاهض للحكومـة يُسـمى الجبهـة الديمقراطيـة الثوريـة الشـعبية الإثيوبيـة (ابـرف) حيـث لـم تسـفر هـذه الجهـود عـن الكثيـر حتـى توغلـت الجبهـة الديمقراطيـة الثوريـة للشـعب الإثيوبيـة التـي تتـألف إلـى حـد كبيـر مـن جبهـة تحريـر شـعب تيغـراي و شـبيهتها الحركـة الديمقراطيـة الشـعبية الإثيوبيـة بعمـق فـي مقـاطعتي جونـدر ووليـو فـي سـبتمبر ١٩٨٩م ، فـوجئ المراقبـون بقـوة الـدفع التـي هـددت بشـكل خطيـر مـدينتي ديسـي و جونـدر لأنهـم أسـاءوا فهـم عمـق العـداء الـذي شـعر بـه المقـاتلون الفلاحـون إلـى حـد كبيـر تجـاه الحكومـة حيـث وصـفت الأخيـرة جبهـة تحريـر شـعب تيغـراي بأنهـا قبليـة و شـجبت دعمهـا لجبهـة تحريـر شـعب إريتريـا الانفصـالية ، مـا جعـل منغسـتو الأمـر يبـدو وكـأن إثيوبيـا لـديها خيـاران فقـط : الوحـدة فـي ظـل نظامـه شـديد المركزيـة أو الفوضـى السياسـية وتـدمير الأمـة ، فـي هـذه الأثنـاء،

اتبعت جبهة التحرير الشعبية الإرتيرية سياسة الوضع الراهن في إريتريا مفضلةً ترك تيغراي وحلفائها يُضعفون الحكومة المركزية.

في أواخر عام ١٩٨٩م ، سعى منغستو إلى إيجاد سبل للخروج من مأزقه حيث استأنف العلاقات مع إسرائيل مُقايضًا بيتا إسرائيل تقريبًا بمساعدة عسكرية غير مُحددة بدأت بحملة تجنيد جديدة لتعزيز جيشه بمئتي ألف رجل و وزّع الأسلحة في أجزاء من جوندر و شمال شوا لمنح الأمهرا المحليين الوسائل اللازمة لمقاومة تيغراي ، كما سعى إلى التلاعب بموجات الجفاف الجديدة في شمال ويلو و شرق تيغراي و إريتريا لصالحه ، فمع وجود حوالي ١.٨ مليون شخص مُعرّضين للخطر فإن سيطرته على الموانئ والطرق الرئيسية ستساعد في الحفاظ على مكانة حكومته الدولية كقوة ذات سيادة وحيدة لإثيوبيا و يمكنه من استخدام الوصول إلى الغذاء كسلاح ضد خصومه التغرينيين و الإرتيريين من خلال إجبار الفلاحين على القدوم إلى محطات التغذية التي تسيطر عليها الحكومة حيث ستتلقى إثيوبيا على أقل تقدير شاحنات و أشكال أخرى من المساعدة من المنظمات غير الحكومية المعتمدة لدى حكومة أديس أبابا ، فردت الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا في ٩ فبراير ١٩٩٠م بشن هجوم ناجح على الطريق الذي يربط أسمرا بالساحل و متابعته بهجوم مفاجئ على مصوع في الميناء حيث استخدم الإرتيريون زوارق دورية سريعة لمهاجمة و تدمير الأسطول الإثيوبي الصغير الذي كان معظمه في الميناء لحضور يوم التخرج السنوي للأكاديمية البحرية حيث كان الإثيوبيون غير مستعدين و غير منظمين لدرجة أن المدينة سقطت

بسهولة في أيدي الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا ، قطع هذا النصر خطوط الإمداد الرئيسية للجيش الإثيوبي الثاني المعزول بالفعل من قبل الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي التي كانت تسيطر على الطريق الرئيسي من إثيوبيا و كسر القبضة الإثيوبية الخانقة على الإمدادات التي تدخل البلاد و أظهر أن حكومة أديس أبابا لم تعد قادرة على تقديم الإغاثة للمناطق المنكوبة في تيغراي وإريتريا ، و عندما نقلت الحكومة قواتها من ويلو عن طريق النقل الجوي عبر أديس أبابا لتعزيز خطوطها في إريتريا تقدمت الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي ضد ديبري تابور ، هناك، حققت انتصارًا كبيرًا و أسرت الآلاف من السجناء و قطعت طريق أديس أبابا–جوندر، وعرضت غوجام للخطر ، و منذ هذه النقطة ، كان منغستو محكومًا عليه بالهزيمة ، و على الرغم من محاولته التهرب من القدر فلقد أعلن في ٥ مارس نهاية الاشتراكية في إثيوبيا و استبدال حزب العمال النخبوي بحزب الوحدة الديمقراطية الإثيوبي الأكثر انفتاحًا و زوال الاقتصاد الموجه ، و انتقد النقاد برنامجه على الفور باعتباره غير ذي صلة بسياسات الأزمة العسكرية ، و مع ذلك ، كانت الإصلاحات ذات أهمية في المحافظات : فلقد هجر الكثير من الناس قرى النظام إلى مزارعهم القديمة و فكك المزارعون بسرعة التعاونيات و أعادوا توزيع الأراضي والسلع الرأسمالية ، و استعاد الفلاحون السيطرة على حياتهم و طردوا أو تجاهلوا موظفي الحزب والحكومة و في عدة حالات قتلوا الإداريين المتمردين.

كان التأثير الصافي هو إضعاف نظام منغستو في الريف و خاصة في جنوب إثيوبيا حيث نشطت جبهة تحرير أورومو التي كانت خاملة منذ

فتـرة طويلـة ، فـي هـذه الأثنـاء ، قـررت الولايـات المتحـدة الإطاحـة بنظـام منغسـتو قريبًـا و بـدأت فـي التحـدث مـع الجبهـة الشـعبية لتحريـر إريتريـا مانحـةً الأخيـرة مكانـة دولية سـعت إليهـا منـذ فتـرة طويلـة عنـدما ظهـر إسـياس أفـورقي الأمـين العـام للجبهـة الشـعبية لتحريـر إريتريـا فـي واشـنطن فـي مـايو ١٩٨٩م حيـث اسـتقبله مسـؤولون رفيعـو المسـتوى فـي وزارة الخارجيـة و قـادة مهمـون فـي الكـونجرس ممـا يشـير إلـى بدايـة نهايـة السياسـة الأمريكيـة الداعمـة لسـلامة أراضـي إثيوبيـا مـن حيـث تعريـف أديـس أبابـا للوحـدة الوطنيـة ، فـي عـام ١٩٩٠م ، تعـززت العلاقـة بـين الولايـات المتحـدة والجبهـة الشـعبية لتحريـر إريتريـا و التقـى أسـياس فـي الخرطـوم بدبلوماسـيين أمـريكيين ، خـلال عـامي ١٩٩٠م و ١٩٩١م ، واصـلت الجبهـة الشـعبية لتحريـر إريتريـا والجبهـة الشـعبية لتحريـر تيغـراي - الجبهـة الشـعبية الثوريـة الشـعبية الإثيوبيـة - تحقيـق انتصـار تلـو الآخـر ، و بحلـول مـايو ١٩٩١م ، سـيطرت قـوات الجبهـة الشـعبية الثوريـة الشـعبية الإثيوبيـة علـى تيغـراي و ويلـو و جونـدر و غوجـام و حـوالي نصـف شـيوا محاصـرةً أديـس أبابـا بينمـا واصـل منغسـتو تعـديل حكومتـه وأيـديولوجيتها و لكـن دون جـدوى تُـذكر ، فعلـى سـبيل المثـال، و حتـى ٢٦ أبريـل ١٩٩١م و اسـتجابةً لتوصـيات شـينغو، أعـاد تشـكيل حكومتـه و اسـتبدل المتشـددين بمسـؤولين أكثـر ليبراليـة و وافـق علـى بـدء مناقشـة إمكانيـة وقـف إطـلاق النـار مـع فصـائل المعارضـة ، و كمـا كـان متوقعًـا رفضـت الجبهـة الشـعبية لتحريـر إريتريـا والجبهـة الشـعبية لتحريـر تيغـراي والجبهـة الديمقراطيـة الثوريـة للشـعب الإثيـوبي المفاوضـات مُصرّةً على ضرورة استقالة منغستو قبل التفكير جديًا في السلام.

كانت الجبهة الديمقراطية الثورية للشعب الإثيوبي قد اكتسبت آنذاك أهميةً فريدةً كحركةٍ فلاحيةٍ في معظمها حيث ضمّ مقاتلوها أبناء وطنٍ من جميع الجماعات العرقية واللغوية في إثيوبيا، وهي سمةٌ أخافت البرجوازية الحضرية في أديس أبابا و مدنٍ أخرى ، فلقد امتثلوا للثقافة الرسمية الراسخة للحكومة و اعتدوا على السيطرة على الاقتصاد وإدارة الدولة ، على الرغم من أنهم تذمروا من منغستو إلا أنهم لم يشكلوا أي تهديد لنظامه ، و بحلول عام ١٩٩١م اعتبروه ربما الشخص الوحيد القادر على منع تفكك البلاد حتى مع اتهامهم له بتدمير إثيوبيا ، و بعيدًا عن هذه المفارقة ، خشيت النخب الحضرية أيضًا من ظهور "سلطة الفلاحين" و فقدان سلطتهم على ما اعتبروه رعاعًا بعدما صوّروا قيادة الجبهة الديمقراطية الثورية للشعب الإثيوبية على أنها ماركسية ضعيفة التعليم رافضةً تصديق كلام ملس زيناوي زعيم الجبهة بأنه يسعى إلى إثيوبيا ديمقراطية ذات اقتصاد مختلط مزدهر ، وضع رفض الجبهة الديمقراطية الثورية للشعب الإثيوبية و الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا للحوار ضغطًا هائلًا على منغستو الذي عرقل وجوده في إثيوبيا التقدم نحو وقف إطلاق النار ، و بحلول منتصف مايو اتضح أن الجيش يفتقر إلى الروح المعنوية والعتاد و الأسلحة والذخائر و القيادة الكافية لوقف تقدم العدو نحو أديس أبابا.

لم يبقَ أمام منغستو أي مجال للمناورة ، ففرّ من إثيوبيا في ٢١ مايو/أيار ١٩٩١ك دون إبلاغ أقرب المقربين إليه ومستشاريه ، و توجه

إلـى زيمبـابوي [116]حيـث عـرض الـرئيس روبـرت موغـابي عليـه المـلاذ الآمـن ، و فـي ٢٨ مـايو/أيـار ١٩٩١م ، زحفـت الجبهـة الديمقراطيـة الثوريـة للشـعب الإثيـوبي إلـى أديـس أبابـا و اسـتولت علـى السـلطة ، و بحلـول ٣ يونيـو/حزيـران ، سـيطر رجـال ملـس زينـاوي علـى معظـم أنحـاء الـبلاد ، باستثناء إريتريا، حيث تولت الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا السلطة هناك .

[116] منغستو هيلو مريم ذهب إلى كينيا حتى وفاته عام ٢٠٠٧م (المترجم) .

الخاتمة :

ما الذي يمكن أن يتعلمه الحكام الجدد من تاريخ إثيوبيا الطويل؟ يمكنهم أن يطمئنوا إلى أنه على الرغم من أشد حالات الانفصال و ضعف الحكومات فقد توحدت البلاد ، لا مفر من محو الماضي في أسمرا ، أُزيلت كلمة "إثيوبيا" من مرتفعات إرتيريا وضواحيها و هي جوهر التكامل ، لطالما شكلت هاتان المنطقتان وحدة اقتصادية واحدة تاريخيًا و لا يبدو أن هناك ما يدعو للاعتقاد بأن السياسة الحديثة قادرة على تغيير هذا النمط الراسخ ، على إريتريا ذات السيادة أن تحتفظ بإمكانية الوصول الاقتصادي إلى المناطق الداخلية الإثيوبية ، خاصةً إذا بنت أسمرة اقتصادًا صناعيًا خفيفًا ، لطالما كانت إريتريا مُصدّرًا صافيًا لشعبها إلى إثيوبيا حيث كانت تستورد منها الكثير من غذائها بعدما تجلّت هذه الحقيقة خلال عهد مملكة أكسوم و ظلّت حقيقةً راسخة عبر التاريخ ، لم ينعكس هذا التعايش الاقتصادي بالضرورة في الولاءات السياسية للمنطقة ، و على الرغم من أن الشريط الساحلي لم يكن خاضعًا لسيادتها لفترات طويلة، إلا أن إثيوبيا استخدمت مصوع دائمًا كأحد موانئها الرئيسية حيث لا تزال الحاجة إلى الوصول إلى البحر ذات أهمية قصوى لإثيوبيا التي أصبحت الآن فجأةً حبيسة ، إن تحويل أديس أبابا لمنتجاتها إلى موانئ غير إرتيرية يعني أن مصوع و عصب ستذبلان كمركزين تجاريين ، لذلك هناك حاجة واضحة لعلاقة بين إثيوبيا و إريتريا تتجاوز العلاقات الثنائية الطبيعية بين الجيران بمرور الوقت ، و سيتعين على الدولتين صياغة علاقة سياسية جديدة تعكس الحقائق الاقتصادية ،

سيتعين على إثيوبيا أيضًا إنشاء ثقافة رسمية جديدة تعكس تنوع الأمة ، في التاريخ الحديث، تم تحديد الدولة بالسكان المسيحيين الناطقين باللغات السامية ، و منذ الحرب العالمية الثانية ، على وجه التحديد بالثقافة الأمهرية السائدة بالنسبة لغير المسيحيين و غير الشماليين، كانت التكلفة هي الاستيعاب في ثقافة غريبة ، و مع تزايد الوعي العرقي في إثيوبيا في السبعينيات والثمانينيات أصبحت جنسيات البلاد تعتبر التثاقف استسلامًا لأقلية حاكمة ، و كان صعود جبهة تحرير شعب تيغراي جزئيًا استجابة لإنكار الديرغ للحكم الذاتي الإقليمي والثقافي والاستمرار الواضح للهيمنة السياسية الأمهرية ، في الآونة الأخيرة ، أكد الأورومو و جماعات أخرى بقوة على حقوقهم الوطنية ، إذا أُريد لإثيوبيا أن تبقى كيانًا مؤسسيًا فيجب أن يشعر شعبها بأن ثقافاتهم و لغاتهم محمية من قِبل الحكومة و يجب احترام الاستقلال الثقافي والسياسي كحق من حقوق الإنسان و إلا ستتفكك الدولة مع تنافس الأقليات على السلطة ، و يجب أيضًا التوصل إلى تسوية اقتصادية بعدما بدأ الاقتصاد الإثيوبي بالازدهار في الستينيات وأوائل السبعينيات بفضل الزراعة الرأسمالية النشيطة رغم تسبب هذا النمو في اضطرابات اجتماعية كبيرة حيث طُرِد المزارعون من أراضيهم أو أُجبروا على بيعها حيث جمع الملاك قطعًا من الأراضي لإنشاء مزارع أو مزارع شاحنات كبيرة ، فاعتبر النظام العسكري هذا الدمج غير عادل واستغلالي و أدى إصلاحه الزراعي إلى توقف التنمية الاقتصادية بشكل مفاجئ ، علاوة على ذلك ، تولت الحكومة مسؤولية واسعة عن الاقتصاد ، وسعت من خلال مجموعة متنوعة من المؤسسات شبه الحكومية إلى أن تصبح وكيل شراء و تاجر

جملة و ناقلًا للسلع ، فدمرت هذه الأنشطة الاقتصاد الإثيوبي مما أدى إلى تخلفه ، إذا كان للتاريخ الحديث أي درس، فهو أن على الحكومة التخلي عن الاقتصاد الموجه و تحرير الفلاحين ليتمكنوا من تحديد مصائرهم بأنفسهم و تسهيل السوق ، أخيرًا ، لطالما كانت إثيوبيا تعمل بشكل أفضل في إطار اقتصاد موسع بعد حل الانقسامات العرقية والإقليمية ، فينبغي على أديس أبابا مناقشة تعزيز التعاون السياسي والاقتصادي مع جيرانها ، أولًا، جيبوتي و إثيوبيا حيويتان لبعضهما البعض ، المنطق يقتضي التفاوض على نوع من العلاقة السياسية بين المناطق النائية والميناء ، ثانيًا، الروابط التاريخية بين إثيوبيا وإريتريا واضحة لا تقبل الشك؛ بدلًا من تبريرها، ينبغي التأكيد عليها وإعادة تفسيرها حتى يتمكن الطرفان من تحديد مصير مشترك ، ثالثًا، ينبغي على إثيوبيا فتح نقاشات مع الصومال لإعادة التخطيط الإقليمي نظرًا لعدم وجود حدود اقتصادية واضحة تفصل بينهما ، فيجب على الشعبين القيام بتنمية اقتصادية إقليمية و خاصة مشاريع الري وتحويل المياه و الحفاظ عليها تتجاوز الحدود المستقيمة ، لقد تجاهل البدو الصوماليون الحدود لأجيال و يجب على الحكومة الآن أن تدرك عبثية هذا الفصل المصطنع و لا سيما وأن هناك حاجة ملحة لمعالجة المخاوف البيئية والمناخية طويلة الأمد. وأخيرًا، يجب على الحكومات و الحركات المختلفة التي تطالب الآن بالقرن الأفريقي أن تعيد تعلم فن التسوية المفقود في المستقبل القريب ، لن تتحمل إثيوبيا و إريتريا والصومال والسودان سوى مسؤولية مصائرها لأنها لن تتمكن بعد الآن من توجيه أصابع الاتهام إلى القوى العظمى ، تاريخيًا، عاشت إثيوبيا وجيرانها معًا بشكل مثمر عندما تم كتم المخاوف

الأيديولوجيـــة أو العرقيـــة ، و لكـــن عنـــدما أصـــبحت العوامـــل الدينيـــة أو السياســـية أو الاقتصـــادية مهيمنـــة وغيـــر متوازنـــة ســـقطت المنطقـــة بأكملهـــا فـــي حالـــة مـــن الفوضـــى ، إذا انقســـمت المنطقـــة، فـــإن عصـــر الـــدويلات الصـــغيرة ســـيجعل عصـــر الأمـــراء يبـــدو وكأنـــه عصـــر ذهبـــي! قـــد يســـتغرق الأمـــر عـــدة أجيـــال قبـــل أن يعمـــل منطـــق الجغرافيـــا والتـــاريخ علـــى إعـــادة خلـــق المجـــال السياســـي والاقتصـــادي الأوســـع الـــلازم لمســـتقبل أفضـــل ، فـــي النهايـــة، ستنهض إثيوبيا من جديد .